هارون أخي

عبد اللطيف خالد القرين











عنوان الكتاب: هارون أخي

إسم المؤلف: عبداللطيف خالد القرين

تصميم الغلاف وإخراج الكتاب: مداد للنشر والتوزيع

الرقم الدولي للكتاب: ISBN: 978-9948-02-2473

الطبعة الأولى: 2016

الطبعة الرابعة: 2016

جميع الحقوق محفوظة

"يمنع نشر أو نقل هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي وسيلة من الوسائل الورقية أو الإلكترونية إلّا بإذن خطي من الناشر."

جميع ما ورد في محتوى الكتاب يعبّر عن آراء الكاتب، ولا يعبّر عن رأي مداد للنشر والتوزيع



@medadpublishing

@medadpublishing

medadpublishing1

www.medadpublishing.com

e-mail: info@medadpublishing.com



عبداللطيف خالد القرين



Email: abdullatif.k.q@hotmail.com

إهـداء

إلى روح أبي خالد:

يُقال أن نقص الكلمات يعبر عن علو المكانة ..

لا يوجد ما أقوله، فارقد بسلام عسى أن

نلتقي بعد حين ..

إلى أمي عائشة:

لك لأنك أمي ..

ولك لأنك عائشة ..

المقدمة

ذهبتُ ذات مرة إلى المكتبة ولم أعلم سبب ذلك الذهاب، كانت مكتبتي مليئة بالكتب غير المقروءة ولا توجد في قائمتي كتب أريد اقتناءها، لم يكن هناك مبرر لتلك الزيارة لكنه القدر الذي اقتضى ذهابي والصدفة التي طالما كانت خيرًا من ألف ميعاد حيث ناداني كتاب باللغة الإنجليزية يدعى الهدوء "Quiet" للباحثة سوزان كين[1]. سحرني غلاف الكتاب ووجدتني أقلب صفحاته ورأيته يتحدث عن موضوع شائق ذي أهمية فائقة لم أجد كتابًا عربيًا تناوله بتعمق، تتحدث سوزان في كتابها عن الانطوائيين والعزلة التي كنت أعتبرها دليلًا على العُقد النفسية لا أكثر لكن هذا الكتاب قلب الموازين، حيث أشارت سوزان في كتابها إلى اختراعات وابتكارات وفنون جميلة لم تكن إلا نتاج عزلة، وكانت هذه الإشارات مدعمة بمقولات لأصحاب هذه الإنجازات إضافة إلى تحليلات نفسية وأبحاث علمية رصينة، وقررت أن أقتني الكتاب وشرعت في قراءته مقدمًا إياه على البقية في طابور الكتب، وعند النهاية تبدلت نظرتي للانطواء وأصبحت أنظر إلى الانطوائيين ككنوزٍ مدفونة لم يتم استثمارها لا كأشخاص مليئين بالعقد النفسية.

شعرت بأهمية الكتاب أكثر عندما رأيت مبيعاته وردود الأفعال عليه من كبار الكتاب وشركات النشر وأدركت أهميته وضرورة نشره باللغة العربية، فبدأت أبحث عما إن تمت ترجمة هذا الكتاب سابقًا أم لا، فوجدت أن هناك ترجمة صادرة عن نهضة مصر للأستاذة هند مهدي في عام 2015.

1- لن أقوم بذكر المراجع مع كل بحث أقتبسه من هذا الكتاب لأن جل الأبحاث التي في هذا الكتاب منه، وإن كنت سأذكر مقاطع من كتب أخرى سوف أشير إلى تلك الكتب كل في موضعه لتسهيل قراءة الكتاب.

قررت حينها أن أقدم عملًا مختلفًا عن الترجمة؛ لأنني شعرت بالملل أثناء قراءة الكتاب لوجود جزئيات كثيرة متشابهة ولأن بعض أجزائه لا تهم القارئ العربي. وهناك سبب آخر وهو أن الكتاب تمت كتابته بطريقة بحثية وهذا ما قد يجعله ثقيلًا على بعض القراء كوني أريد تبسيطه كي ينتفع به القارئ غير المختص أما الراغب في التعمق فيستطيع أن يعود إلى الكتاب الأم ليجد ضالته. ومما شجعني على هذا العمل رغم وجود ترجمة عربية للكتاب أنني وجدت شخصيات شهيرة عربية تتصف بالانطوائية مثل غازي القصيبي وعباس العقاد ورأيت أنه من المثري إصدار نسخة عربية من الكتاب بدلًا من الاكتفاء بتعريبه، ومما ساعدني على هذه الخطوة أن كثيرًا من الانطوائيين تعاونوا معي بذكر قصصهم وأعفوني من ذكر قصص للانطوائيين الغربيين.

في هذا الكتاب نستعرض تعريف الانطوائية وما صحة أنها مرض يجب علاجه، ولماذا أصبحت منبوذة وكيف ساهمت الثورة الصناعية في نبذها. سنتحدث أيضًا عن أبرز المشاكل التي واجهت الانطوائي بعد الثورة الصناعية حيث صار لزامًا عليه أن ينخرط في العمل مع غرباء بل ويعمل عملًا جماعيًا ويفكر مع الجماعة أيضًا حيث افتقد أدنى درجات الخصوصية. وهناك تبدأ أسئلة كبيرة، ما جدوى التفكير والعمل الجماعي؟ وهل نحن نطبقه بشكل سليم أم لا؟ وماذا علينا أن نفعل لنجعله أكثر اتساقًا مع جميع الشخصيات الانطوائية والاجتماعية؟ بعد ذلك يتحول حديثنا إلى قوة الانطوائيين حيث نغوص في سير العظماء الانطوائيين الذين اخترنا منهم نيوتن واينشتاين وفان غوخ وبيل غيتس والعقاد وغاندي وأخيرًا غازي القصيبي الذي لا أعتقد أن أحدًا ظن أنه قد يكون انطوائيًا. وفي أثناء حديثنا عن هؤلاء العظماء الانطوائيين سنذكر كثيرًا من الصفات التي يتفرد بها الانطوائيين طبقًا للأبحاث

والسير الذاتية للعظماء أنفسهم وسنرى كيف كانت الانطوائية سببًا لتفوقهم وتجاوزهم للبقية.

بعد أن ننتهي من ذكر الصفات التي يتميز بها الانطوائيون، سنبدأ هدم بعض الاعتقادات الخاطئة تجاه الشخصية الانطوائية، ومن أبرز الخرافات التي سيتم هدمها هو اعتقادنا أن الانطوائيين غير قادرين على التحدث والقيادة والإدارة والدفاع عن حقوقهم وهذه أساطير ما أنزل الله بها من سلطان تناقلتها عقولنا دون أي إثبات على ذلك. أما الإثباتات الحقيقية فهي تشير إلى أنهم يستطيعون رفع مستوى شركة ربحية من عادي إلى خارق غير اعتيادي كداروين سميث الأمريكي الذي تربع على قائمة أفضل إداريي العالم رغم انطوائيته المفرطة، بل وهم قادرون على أن يقودوا أممًا ويحرروها من أعظم قوى العالم كغاندي وأن يحرروا الشعب الأمريكي الملون من الاضطهاد كالسيدة روزا بارك.

وفي منتصف الكتاب سنقف لنضع مزايا الانطوائيين والاجتماعيين على الميزان وسنتأكد أننا لا نستطيع العيش بعالم مليء بالانطوائيين ولا عالم مليء بالاجتماعيين حيث آمنت بعد أن أنهيت قراءة كتاب الهدوء أننا لن نستطيع النهوض والإبداع إلا إذا قمنا بعملية تزاوج بين قوى الانطوائيين وقوى الاجتماعيين كذلك التزاوج الذي تم بين قوى نبي الله موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وسوف نعرض أمثلة كثيرة على تزاوج شبيه حدث بين انطوائيين واجتماعيين لنرى الأثر الكبير الذي يتركه التعاون بين الشخصيات.

وبعد ذلك سيأتي الجزء الأهم للمعلمين والأهالي لأننا سنستعرض فيه الطريقة الأفضل للتعامل مع الانطوائيين وسنذكر بشكل مطول حديث سيدة خليجية عن تعاملها مع ابنها الانطوائي وماذا أثمر. وسنقرأ معًا رسائل

الانطوائيين أنفسهم حيث يتحدثون عن شخصياتهم وعن تجاربهم مع المجتمع الذي ينبذهم وربما يجعلنا ذلك نعرف ما يدور في خلد أبنائنا الصامتين، وكل ما سيقولونه سيتم إلحاقه وإثباته بأبحاث علمية رصينة ذكرت في كتاب الهدوء. أما الختام، فسنتحدث فيه بشكل عام عن الشخصيات والصفات والعيوب التي تعتريها وكيفية التعامل معها بالشكل الأمثل، وسنرى أن بعض السلبيات التي أوهمنا بسوئها قد تكون قوة نتغنى بها، وأبرز تلك السلبيات الانطواء والعزلة والهدوء، سنرى لها معاني كثيرة، وسنراها بشكلٍ آخر مع هذا الكتاب، سنراها في شكلٍ لم نعتدها فيه.

الفصل الأول

مجانين

"يمكنني القول أنَّ هناك أشخاصًا اجتماعيين أو انطوائيين مئة بالمئة لكنهم مجانين وليسوا أصحاء"

سوزان كين

عندما تذهب إلى وكالات السيارات كي تقتني مركبة، فإنك وبكل سهولة تستطيع تحديد نوع محرك السيارة بمجرد النظر إليها لتكتشف ما إن كان أوتوماتيكيًا أو عاديًا، والبعض يستطيع تحديد ذلك من خلال رؤية سلوكها في السير حيث أن محركات السيارات عبارة عن فئتين لا ثالثة لهما. لكن إذا كان هذا ما يحدث في السيارات، ماذا عنا نحن البشر؟ هل تكويننا النفسي والعقلي بسيط إلى الدرجة التي تجعل تقييمنا سهلًا على العامة ليحددوا كوننا انطوائيين أو اجتماعيين من خلال سلوكنا الظاهر أمامهم؟ إننا نفعل ذلك يوميًا ونحدد شخصيات من حولنا بمجرد النظر إلى سلوك من سلوكياتهم، كأن نقول عن الصامت أنه انطوائي وعن المتحدث أنه اجتماعي.

كنت أعتقد أن حصر الإنسان بين شخصيتين من فعائل العامة لكني وجدت جميع العلماء كذلك يميلون إلى تصنيف الإنسان ضمن مجموعتين فقط، إما انطوائي (Introvert) وإما اجتماعي (Extrovert). تساءلت حينها هل يعقل أن العلماء يفعلون ذلك جهلًا أم أني أحاول الخوض فيما لا أفقه؟

بعد أن أبحرت سفينتي في أعماق الشخصيات وجدت أن علماء النفس المعاصرين يرفضون تحديد سمات يتصف بها الانطوائي أو الاجتماعي، علمت وقتها أن حدسي أصاب الحقيقة حيث أنك لا تستطيع أن تقول أن فلانًا

انطوائي لمجرد أنه لا يتحدث كثيرًا لكن تستطيع أن تقول: "الانطوائيون لا يميلون للحديث كثيرًا"، وبهذا الوصف أنت تتحدث عن الأغلبية والأغلبية لا تعني الكل. إن غلبة صفاتٍ على الانطوائي وغلبة أخرى على الاجتماعي جعلت العلماء والباحثون يصنفون البشر بين مجموعتين ليسهل عليهم البحث؛ لأنهم لو قاموا بوضع عدة مجموعات لتاهوا في عدد لا نهائي من التصنيفات وعندها لن تنتهي الأبحاث ولن نجني ثمارها، وهذا ما ألمح إليه أحد العلماء عندما وضع مقياسًا ما زال العلماء يسيرون عليه في تقييمهم للشخصيات. هذا المقياس يتضمن سبعة ألوان وهي ألوان الطيف، كل لونٍ يأتي بدرجاته من الأكثر خفة إلى الأكثر ثقلًا، وجعل المنتصف عبارة عن مجموعة معتدلي المزاج، وكلما ذهبت يمينًا فأنت أكثر اجتماعية وكلما ذهبت يسارًا فأنت أكثر انطوائية.

إذا أردنا حصر العدد الحقيقي للشخصيات فعلينا تفكيك القوس إلى ألوانه السبعة أولًا وبذلك سيكون لدينا سبعة شخصيات أساسية، ومن كل شخصية ستندرج أعداد لا نهائية من الشخصيات حيث أن لكل درجة من الألوان صفات الخاصة. لذا نلتمس العذر للعلماء عندما يصنفون الإنسان إلى مجموعتين كي يسهل إجراء التجارب؛ لأن تقليص عدد المجموعات يجعلك قادرًا على إيجاد الصفات الغالبة على الانطوائيين والاجتماعيين، وسنرى ذلك في كل الأبحاث التي سنوردها في الكتاب فعلى سبيل المثال هناك بحث يشير على أن 70% من شديدي الحساسية انطوائيون، لكن هذه النسبة لا تعني أن الانطوائي شديد الحساسية ومرهف المشاعر دائمًا.

إن كانت الأبحاث هي عذر العلماء فما هو عذرنا ونحن نعبث في شخصيات أصدقائنا وأطفالنا عندما نقوم بوضعهم أقصى اليمين أو أقصى

اليسار في قوس الشخصيات! شخصية الإنسان ليست بهذه السهولة التي يتصورها الأغلبية بل إن كثيرًا منا عبارة عن خليط من الاجتماعية والانطوائية حيث أن هناك انطوائيين يكونون في أعلى درجات الاجتماعية تحت ظرف من الظروف، فكيف نختزل الإنسان بهذه السهولة في صنفين؟ كنت لا أدرك حقيقة هذا التعقيد في النفس البشرية والشخصية على وجه الخصوص حتى قمت بإرسال اختبار تحديد الشخصيات إلى صديق لا يوجد لدي شك بأنه انطوائي وهو لا يشك في ذلك، وطلبت منه الإجابة على هذه الأسئلة بنعم أو لا، وعندما ينتهي عليه أن يخبرني بعدد الـ (نعم) والـ (لا). فكلما كانت إجاباته نعم فهذا يعني أنه يتجه إلى الانطوائية وعندما يجيب بـ لا أكثر فغالبًا ما يكون اجتماعيًا. وهذه الأسئلة العشرون قبل أن نعود إلى نتائج صديقي:

- أفضل المحادثات الثنائية أكثر من الجماعية وأحب أن أقضي يومي مع شخص في مقهى بدلًا من الجلوس مع أكثر من شخص.

- عندما أريد التعبير عن نفسي فأنا أكتب أو أرسم أو أقوم بهوايات أخرى أشعر أنني قادر على تشكيل نفسي من خلالها.

- إن تم تخييري بين البقاء في المنزل بمفردي والخروج مع الأصدقاء سأبقى في المنزل غالبًا.

- اهتمامي بالشهرة والأضواء ليس كبيرًا.

- عندما أتحدث أطيل الحديث وأتعمق في التفاصيل؛ لأني غالبًا لا أتحدث إلا في أشياء تجذبني.

- يقول من حولي أنني مستمع جيّد.

- أنا لا أحب المخاطرة، أحاول قدر المستطاع أن تكون خطواتي وفق خطة ولا أقوم بأي خطوة إلا إذا خلت من مخاطر متوقعة.

- أحب العمل الذي لا يلزمني الاحتكاك بالآخرين، كأن أنجز عملي بمفردي لا ضمن مجموعة.

- عندما يأتي عيد ميلادي أو أي احتفال بإنجاز حققته أفضل أن أقضيه برفقة شخص أو شخصين على أن أقيم حفلة كبيرة.

- يعتبرني الآخرون هادئًا ورقيق الصوت.

- عندما أقوم بعمل، لا أريد أن أناقش عملي مع أحد أو أن يراه أحدهم قبل أن أنهيه.

- أصغر المشاكل تجعلني في قلق، وأرغب أن تحل في أسرع وقت.

- عندما أقوم بعملي في عزلة وبشكل منفرد أتم عملي بشكل أفضل.

- أفكر كثيرًا قبل أن أتحدث بأي شيء.

- عندما أعود من اجتماع أو احتفال أو أي مكان يعج بالآخرين أشعر بأني مرهق وإن كنت مستمتعًا هناك.

- لا أتجاوب كثيرًا مع المكالمات الصوتية إلا مع أشخاص محددين وأتجاهل الرد على سواهم.

- أفضل أن أبقى بلا نشاط لمدة أيام على أن أحصل على جدول مزدحم.

- لا أحب الأعمال المتعددة في وقت واحد.

- لا يمكن أن يقطع تركيزي أي شيء بسهولة.

- أفضل المواد التي تعتمد على المحاضرات التي يعطيها الأستاذ على تلك التي يخرج فيها الطلاب ويتحدثون.

بعد أن أنهى صديقي الإجابة وقام بإرسالها، كانت النتيجة كالصاعقة،

كنت أتوقع أن يأتيني بثمانية عشر (نعم) على الأقل لكنه أتاني بإحدى عشر (نعم) لا أكثر، وهذا ما جعلني أشكك في مصداقية الاختبار حيث أن النتائج تقول أنه معتدل المزاج وهذا غريب حتى أن صديقي قال: "مستحيل! اختبارك غير دقيق!"

دفعني الفضول إلى معرفة تفاصيل إجاباته فطلبت منه أن يرسلها إليّ وليتني لم أفعل، فقد زادتني حيرة لأن اختياراته لم تكن عشوائية، والأفعال التي قام بوضع (لا) عليها هي حقًا تصف شخصيته. حاولت أن أجد مخرجًا آخر فلم أجد، وبعد صراع بيني وبينه وبين الأفكار لم أجد إلا تفسيرًا يتيمًا وهو أنني وإياه كنا نعتبره انطوائيًا لأننا نحكم على الصفات الظاهرة فقط التي طغت على صفاته الاجتماعية حتى جعلتنا نصفه بالانطوائي، لكنني بعد أن رأيت النتائج تنبهت إلى صفاته الاجتماعية الخارقة التي تجعله يفوق أكثر الأشخاص اجتماعية في بعض الحالات. بهذا أكون قد أيقنت أن الإنسان أشد تعقيدًا من أي شيء آخر في الكون وليس جهازًا نستطيع التنبؤ بسلوكه بمجرد النظر! وبحديثي هذا لا أقول أن صديقي ليس انطوائيًا بل أحاول توضيح مسألة عدم وجود شخص انطوائي أو اجتماعي 100% ، قد لا يُعجبك حديثي وقد تقول لدي أخ قمة في الانطوائية ولدي صديق قمة في الاجتماعية إلى درجة يستحيل معها أن تقول أنهم خليط من عدة صفات، لذلك لن نقتحم جدلًا الآن وسنترك الأجوبة تنساب فرادى.

المعمورة المهجورة

"حاولت عابثًا تحديد ما إذا كانت شخصيتي انطوائية أم اجتماعية فوجدتني تائهًا في صحراء الشخصيات"

عبد اللطيف

قد لا تصدق أنه من الصعب تحديد ما إذا كان الإنسان انطوائيًا أو اجتماعيًا لكنك لن تعرف ذلك حقًا حتى تتوه كما تهت. حاولت عابثًا أن أبحث عن شخصيتي الحقيقية وأن أعرف هل أنا انطوائي أم اجتماعي وصدمت بكوني هجينًا من هذه وتلك! وأصبحت بعدها مؤمنًا بأن حقيقة الشخصيات ككنوز تختبئ في صحراء قاحلة مترامية الأطراف لا يمكن الوصول إليها بهذه السهولة؛ حيث لا معالم واضحة وما هناك إلا أطراف علامات ما بين خيمة ونبتة! لذلك يجب أن تتأكد قبل دخول هذه الصحراء أن تصطحب معك الزاد، والزاد هنا ليس طعامًا بل هو نتائج اختبارات الشخصية التي قمت بها واعتقاداتك حول شخصيتك ولا تنسى أن تضيفها إلى اعتقادات الأهل والأصدقاء فهذه هي الخرائط التي قد ترشدنا بشكل أسرع إلى حقيقة شخصيتك!

قبل أن ننطلق في رحلة البحث عن شخصيتك عليك أن تعلم أنها ستكون مملة ولن تنتهي سريعًا إن كنت متعصبًا لأفكارك، وقبل أن أدعك تبحث عنك، سنذهب في رحلة مع شخصيتي. في البداية لم أستطع التعرف على حقيقة شخصيتي فاستعنت بأمي لتقص علي تصرفاتي عندما كنت طفلًا، وسألت أصدقائي وأساتذتي القدامى عن رأيهم فيني أثناء طفولتي وللأسف لم يهدني أحدهم رشدًا.

كنت أحاول جاهدًا تفسير تصرفاتي واستنتاج نوع شخصيتي منها، كنت في صغري أصاحب كثيرًا من الأصدقاء ودومًا أكون في المقدمة بينهم حتى تنبأت أمي بأني سأكون اجتماعيًا طالما أني أهوى مخالطة البشر على الدوام. كبرت وأصبحت مستمتعًا بإنشاء المجموعات وقيادتها فقطعت الشك باليقين وأيقنت أنني اجتماعي. مرت السنوات وأتت المرحلة الجامعية وانكببت على نفسي وأصبحت أهوى وجبات الغداء الفردية وأفضل قراءة كتاب وكتابة نص على الخروج في وليمة، بل وأصبحت أفضل التجول بمفردي في أرجاء المدينة وإن كان هناك من يخرج معي.

تحول قاسٍ وكبير في شخصيتي، خشيت حينها أني تحولت من شخص صحيح إلى شخص عليل؛ لأن الانطوائية في اعتقادي عبارة عن مرض يحتاج علاجًا. أخذت أقلب شخصيتي وما إن كانت الانطوائية اغتالتني فعلًا بعد دخولي إلى الجامعة أم لا؟ ولم تكن هناك إجابة، لأنني ما زلت مستعدًا طوال فترة دراستي للقاء أشخاصٍ جدد، ولدي الاستعداد الكامل للمبادرة إلى التحدث مع غرباء. قد تظن كما أظن، أن ما حدث لي هو تغيّر بسبب الضغوط الجامعية التي تستلزم الانطواء على النفس واعتزال الناس لإنهاء بعض التكاليف. لكن الأمر لم يكن بتلك البساطة حيث أني أتصف بصفة تعتبر من أبرز صفات الانطوائيين وهي تفضيل الأحاديث الثنائية على الجماعية. قد تقول إني معتدل المزاج، لكن ما هو المزاج المعتدل أساسًا ولماذا أسميناه كذلك؟ هل هو أصلح للحياة من أن تكون انطوائيًا أو اجتماعيًا؟ ومن سمح لنا تقرير ذلك؟ أرجوك ألا تحاول تحليل شخصيتي، بل حاول أن تدخل أرجاء معمورتك بحيادية، أقصد بالمعمورة هنا نفسك لا الأرض، بل أعتقد أن نفسك أشد غرابة من المعمورة التي تبادرت إلى ذهنك. حاول أن تستعين

بأمك وأبيك وأقرانك لأنك لن تعود، فإن الشخصيات بحر لا ينتهي وليس فقط قوس قزح!

وكي نستمر في بحثنا دعنا نسلم أنه ليس هناك إلا نوعان من الشخصيات إما اجتماعي وإما انطوائي، لكن إياك أن تنسى أنه مجرد شيء متعارف عليه بيني وبينك لا أكثر كما فعل العلماء ليسهل فهمنا لبقية الكتاب، وهو عبارة عن عَقد سيفسخ في نهاية الكتاب وسينتثر بعدها عِقد الشخصيات. أما عن بحثك عن حقيقة شخصيتك، فلا تكن في عجلة من أمرك، فقد تستغرق هٰذه الرحلة سنوات وعمرًا طويلًا لكن ما يهونها عليك أنها ليست سفرًا بعيدًا، إنما هي رحلة في رمال النفس.

تعريف الانطواء

"هناك فرق كبير بين أن تبين للآخرين قوتك كانطوائي وأن تظهر للناس قبح الاجتماعي نكاية فيه"

عبد اللطيف

منذ أن تستمع لوصف (اجتماعي) سيتبادر إلى ذهنك شخص يحب الاحتفالات ويبحث عنها ويفضل أن يشارك وقته مع الآخرين، وإن سمعت وصف الانطواء سيتبادر إلى ذهنك مباشرة شخص يفضل المكوث في المنزل بل ويشعر بضيق وإجهاد عند توالي الدعوات عليه، فهو يميل إلى أن يختلي بنفسه أو أن يشغل نفسه بإحدى هواياته كأن يقرأ كتابًا أو يكتب مذكراته أو حتى أن يستلقي متفكرًا متأملًا فيما حوله. هذا تعريف الانطواء والاجتماعية من وجهة نظر عامة، وهو كذلك من وجهة النظر العلمية حيث يقول الطبيب النفسي كارل يونج[2]: "لو أردنا أن نقسم الشخصية إلى نوعين فإن الانطوائي يعيش في العالم الداخلي المكون من أفكار ومشاعر، ويفكر في كيفية حدوث الأحداث ولماذا حدثت وماذا لو لم تحدث! أما الاجتماعي فهو يعيش اللحظة كما يقولون، يعيش الحدث وينغمس داخله ولا تهمه التفاصيل الصغيرة وغالبًا لا ينتبه لها لأنه يعيش في العالم الخارجي المكون من البشر والأنشطة. وهذا التعريف ليس غريبًا ويمكننا استيعابه؛ لأن الاجتماعي عندما يكون منغمسًا في الدائرة لا يمكنه أن يرى التفاصيل الصغيرة عكس الانطوائي الذي غالبًا

2- كارل يونج طبيب علم نفس سويسري ويعتبر مؤسس علم النفس التحليلي ويعتبر من أكثر العلماء تأثيرًا في علم النفس على مر التاريخ ويأتي في مرتبة فرويد. والعالم نفسه رغم أنه تحدث عن الانطوائية والاجتماعية بشكل عام إلا أنه عاد كما سنرى في نهاية الكتاب وقال أن تصنيف الشخصيات ليس بهذه السهولة.

يراقب الحدث بهدوء وعن بعد. وقد يكون هذا تفسيرًا مقبولًا لأنْ يصبح الانطوائيين متصدريّ الفلسفة الفكرية، فرغم عدم اختلاطهم بالناس بنفس درجة الاجتماعيين إلا أنهم يقضون صمتهم وخلوتهم في التفكير فيما حدث لهم في ذلك الاختلاط البسيط أو فيما يحدث في العالم خارج غرفهم. وهذا لا يعني أن الاجتماعي لا يفكر بل قد يرى أشياءً لا يراها الانطوائي، خاصة تلك التي تكون داخل الدائرة عندما يختلط ويخرج كثيرًا من منزله. ليس هناك شخصية سيئة وشخصية جيدة، فما نتحدث عنه هنا عبارة عن فروقات تعود إلى تكوين الشخصية ولا تتفضل به شخصية على أخرى، فكلٌ له مزاياه.

يكمل كارل حديثه ويصف الطريقة التي تستمد بها كل شخصية الطاقة حيث يقول: "إن الانطوائي يشحن نفسه عندما يكون بمفرده مختليًا بنفسه، لكن إن رأيت الاجتماعي بمفرده فاعلم أن هناك مشكلة؛ لأنه يشحن نفسه بالاحتكاك بالبشر والأنشطة الجماعية". تعبير رائع يقودنا إلى تساؤلات كبيرة: هل يحرم الآباء أطفالهم ونحرم نحن أصدقاءنا من شحن أنفسهم عندما نحاول التأثير عليهم وإجبارهم على الخروج وتكوين صداقات خوفًا من مرض الانطواء؟ وماذا سيحدث إن حرمناهم من شواحنهم، هل سيبقى الإنسان بلا طاقة؟ إذًا كيف للانطوائي أن يبدع طالما تم اعتباره مريضًا وتم حرمانه من العزلة بحجة أنها ستعزز مرضه بينما هي تزيده قوة وطاقة للإبداع في هواياته وأعماله؟ إننا نتصارع للأسف على شحن أجهزتنا ونوفر لها الشاحن المناسب كي لا نفسدها، لكننا لا نسأل أبدًا عن شواحن النفس، أليست النفوس أحق أن تشحن؟ فكيف لإنسانٍ مثقلٍ بالهموم من ازدراء من حوله أن يكمل حياته دون طاقة؟

أعلم أن الانطواء يعمل أحيانًا كمؤشر لتعرض فتاة أو فتى لمشكلة لكن

هل هو هكذا دائمًا؟ أتقبل أن يدب الرعب في قلب الأهالي عندما ينعزل طفلهم الاجتماعي فجأة فقد يكون أصابه مكروه؛ لأنه بالعادة يحب الخروج ولا يشعر بنشوة إلا مع الأصدقاء. لكن ماذا عن الطفل الانطوائي الذي ينتشي بجلوسه مع نفسه هل نعتبر عزلته مؤشر خطر كذلك؟ إننا لا نكتفي بسلب الشواحن المناسبة لتلك الشخصيات بل نجبرهم على استخدام شواحن الاجتماعيين عندما نلزمهم التصرف كما يتصرفون، وكأننا بذلك نقوم بمحاولة شحن أجهزة عن طريق القوة بشواحن أجهزة أخرى ونقوم جهلًا بغرس ذلك الشاحن غرسًا في مدخل لم يفصل لأجله، وبذلك لن يتم شحن الجهاز وسيتم تدمير المدخل الخاص بشحن الجهاز.

هذا ما يحدث عندما يجُر الوالدان والمجتمع الانطوائيين جرًا إلى المجالس والاجتماعات ويدفعونهم دفعًا للخروج من المنزل كأنهم مرضى يريدون لهم علاجًا. إنهم لا يعلمون أنهم بذلك يفسدون طاقاتهم ويدفنون كنوزًا قد وهبهم الله إياها بل ويفسدون عليهم أرواحهم، التي هي مداخل الطاقة فلا يستفيدون من الانعزال لأنهم سيعيشون في كبت وسيفكرون فيما حدث لهم من اغتصاب لحريتهم وخلوتهم. إنا جعلنا رصيد الأصدقاء مقياسًا لحلاوة الروح أو سلامة النفس من الأمراض، فما إن نرى شخصًا لا يقيم صداقات بسهولة إلا وأطلقنا عليه ألقابًا مؤسفة ونعتناه بالمريض النفسي، بل أن البعض يجعل الصمت دلالة على الكبت والعقد وهذا غير صحيح إطلاقًا. إن كثيرًا من الأبحاث أثبتت أن الانطوائيين يختلفون عن الاجتماعيين في تقبل الغرباء والأصدقاء الجدد والظروف والبيئة الجديدة وهذا كل ما في الأمر. فعندما نرى اجتماعيًا يملك رصيدًا كبيرًا من الأصدقاء فهذا لا يعني أنه مميز أبدًا، إنما يعني أن شخصيته اجتماعية، وذات الشيء ينطبق على الانطوائي الذي لا يملك إلا صديقًا أو

صديقين. بل ذهبت الأبحاث إلى أبعد من ذلك وأشارت إلى وجود فروق في طريقة تكوين الصداقات وأسباب تكوينها. فلو بدأنا بالاجتماعي سنجده دائمًا ما يبدأ علاقاته بالمحادثات القصيرة وهي ما تسمى محادثات إذابة الجليد، كأن يسأل عن وظيفة الشخص وماهي هواياته أو عن دراسته وجامعته، وكلما عمقت العلاقة بينهما بدأت الأسئلة العميقة بالظهور كالسؤال عن المشاعر والهموم التي تثقل كلًا منهما والاهتمامات التي تجمعهما. أما عند الانطوائي فالعكس يحدث تمامًا، فتجده لا يبدأ بالحديث إلى شخص غريب حتى يشعر بأن هناك روابط عميقة بينهما، كأن يسمع شخصًا يتحدث حول موضوع يهمه بشكل مفصل، سينجذب حينها الانطوائي إلى ذلك الشخص لكنه لن يبدأ بأسئلة إذابة الجليد بل سيبدأ بالأحاديث العميقة مباشرة. فمثلًا لو انجذب انطوائي إلى شخص غريب بعد سماع حديثه عن الاحتباس الحراري أو حول كتاب جذبه سابقًا، سيذهب الانطوائي إليه ويلقي التحية ثم يسأله عن حاله ويعرف بنفسه ثم يبدأ الحديث مباشرة في تفاصيل الموضوع. وربما تعقد بينهما جلسات مناقشة طويلة قبل أن يسأله تلك الأسئلة التي يفترض أن تأتي في البداية: أين تسكن؟ كم عمرك؟ ماهي هواياتك؟ وهنا نرى اختلافًا جذريًا بين الشخصيتين، فالطريقة الأولى تجلب أصدقاءً أكثر بلا شك لكن الطريقة الأخرى تجلب علاقات أكثر ديمومة.

هذا التفاوت الذي رأيناه بين الشخصيتين سواء في التفكير داخل الدائرة أو خارجها أو في إقامة العلاقات والخروج من المنزل سيتكرر في جوانب كثيرة. لذلك يجب ألا يرى هذا التفاوت بسطحية حتى لا تقع الكارثة وننتهي من كتابنا بلا فائدة. فعندما يرى الانطوائي الأمر بسطحية سيقول: "انظروا كيف أننا أرجح عقلًا وأعمق فهمًا من الاجتماعيين وكيف أننا أنفع للمجتمع وللأمة وأن هؤلاء الاجتماعيين سطحيون لا يسمعهم

الجميع إلا لعلو أصواتهم". ويأتي الاجتماعي معقبًا: "ما هذه العقد التي يعيش بها الانطوائي؟ هل أتيت إلى الحياة كي أنغمس في هواياتي وأفكاري وأختلي بنفسي دون أن أخالط البشر؟ إن الانطوائيين في كبد ويكرهون البشر والحياة". هذه النظرة السطحية سوف تقودنا إلى حرب عشواء بين الانطوائي والاجتماعي وإني لأخشى مثل هذه الحروب لأنها منتشرة بما يكفي بين أحزاب كثيرة. يجب أن يعلم الانطوائي قبل أن نكمل حديثنا أن ما نذكره هنا ليس لتفضيله على النمط الاجتماعي بل لتسوية الأمور وجعلها أكثر توازنًا، والكتاب لم يأتِ للحط من قدر الاجتماعيين على الجانب الآخر، فإن كنت اجتماعيًا فاقرأ هذا الكتاب لتفهم ما لدى غيرك لا لتقارنه بنفسك. وأنت أيها الانطوائي إن أعجبك ما ستقرأ، يجب أن تحاول ألا تعيش دور المظلوم خاصة وأنت تحاول حل مسألة معقدة كنظرة الآخرين إليك. أعلم أن لكل فعل ردة فعل مساوية في المقدار ومعاكسة في الاتجاه لكن هذا يصلح في كل مجال إلا في علاقات البشر العقلاء، يجب أن يعلم الانطوائيون أن النظرة السلبية لهم لم يخطط لها أحد وليست هجومًا مخططًا عليهم، إنما هي ثقافة تكونت من ظروف حدثت دون أن يسعى لها أحد كما سيتبين لاحقًا. عندما تشعر بأنك مظلوم كانطوائي وتبدأ بشن هجومك على الاجتماعيين وانتقادهم بكل ما تؤتى من قوة قد تتغلب في نهاية الأمر، لكن تأكد أن قوتك ستضعف ولن تكتمل أبدًا دون الاجتماعيين وإن امتلأت غرورًا، فأنت بحاجتهم كما كان موسى بحاجة هارون عليهما السلام.

الانطواء فطرة

"الانطوائيون ليسوا مرضى، إنما فُطروا على الانطوائية"

عبد اللطيف

عندما شعرت بأنني أمتلك بعض صفات الانطوائيين خشيت أني تحولت إلى حزب الانطوائيين، لكن لا أدري لماذا اعتراني هذا الخوف، وبدأت أتساءل: هل الانطوائية مرض؟ نعم إن هذا ما أعرفه عن الانطوائية والعزلة في مجتمعي وفي العالم بأسره، وكنت دائم الاعتقاد أن العزلة سلوك خاطئ في كل أحوالها حتى أبحرت في عالم الانطوائيين وصدمت بعدد الانطوائيين في أمريكا حيث أنهم يمثلون ثلث السكان رغم أن بيئة أمريكا تعرضت لانفتاح ثقافي واجتماعي كبيرين، ومع ذلك ما زال عدد الانطوائيين فيها يصل إلى الثلث فهل من المعقول أن يصبح ثلث البشر مرضى؟ بالطبع لا، إذًا لماذا لا تكون الانطوائية وراثة وفطرة يُفطر المولود عليها؟ وقد يكون الانطواء يسري في جيناتنا مع تلك المعلومات المكتوبة عليها والتي تكون من صميم خلق الإنسان كنوع جنسه ولون بشرته وعينيه وطوله. إن الوراثة لا تؤثر فقط في الأشياء الملموسة فإن الذكاء غير ملموس، وها نحن نرى أطفالًا أذكى من غيرهم في التعامل مع العمليات الحسابية وآخرين أفضل من غيرهم في التحدث أليس لكل هذا عوامل وراثية؟ فلماذا لا يكون الانطواء والاجتماع أمرًا وراثيًا أيضًا؟

وهذا ما جال في خاطر العالم جيروم كاجان[3] وجعله يستدعي خمس مئة مولود أعمارهم أربعة أشهر إلى مختبره وقام بتعريضهم لأشياء لا يألفونها

3- عالم نفس أمريكي يعد أحد الرواد في علم النفس التنموي وكثف دراساته على الأطفال وخصص جزءًا كبيرًا منها لدراسة شخصياتهم والعوامل المؤثرة عليها.

عن طريق رؤية أشخاص غرباء أو الاستماع إلى أصوات غريبة أو بتمرير أعداد كبيرة من البالون أمامهم. وكانت ردود أفعال المواليد متباينة؛ لذلك قام كاجان بتقسيم هؤلاء الأطفال إلى ثلاثة أقسام حسب تعابيرهم وردود الفعل. القسم الأول: شديدو الفاعلية (الانطوائيون) حيث كانوا يبكون بشدة بمجرد رؤيتهم لشخص غريب أو يحركون أطرافهم بشدة أثناء تعرضهم للمؤثرات الأخرى. أما القسم الثاني: منخفضو الفاعلية (الاجتماعيون) حيث كانوا لا يبالون بتلك الأشياء الغريبة عليهم وأحيانًا يبتسمون أيضًا وكأنهم معتادون عليها. وهناك القسم الثالث معتدلو المزاج، لا ينتمي أصحابه إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فهم يبكون تارة ويهدؤون تارة. وكان التقسيم كالتالي: 20% انطوائيون، 40% اجتماعيون ومثلها لمعتدلي المزاج. إذًا نحن الآن أمام 40% فقط يتصفون بالاجتماعية بمعنى أنهم أقل من النصف ويبقى 60% يتراوحون بين الانطواء والمزاج المعتدل بمعنى أن مطالبة البشر جميعًا بأن يكونوا اجتماعيين بمثابة اعتداء على أكثر من نصف هؤلاء الأطفال.

قد يقول البعض أن هذا تقسيم اعتباطي لا أكثر، في حقيقة الأمر كاجان استمر في تجاربه على الأشخاص أنفسهم لمدة طويلة وتعقب تصرفاتهم في المدارس، واستدعاهم مرات أخر وهم في الثانية والسابعة والحادية عشرة من أعمارهم وظل يجري عليهم اختبارات متعددة ومختلفة ويراقب ردود أفعالهم واكتشف أن السواد الأعظم من الأطفال ما زالوا يتصرفون حسبما صنفهم قبل إحدى عشرة سنة، وإن تغيّر شيء فإن التغيرات طفيفة وبسبب عوامل سنذكرها لاحقًا.

لم يكتف كاجان بالاختبارات بل كان يتواصل مع أهاليهم منذ أول تجربة ويستمع إلى تعليقاتهم وتعليقات معلميهم، وكانوا في الغالب يصفون

الطفل بنفس الوصف الذي وصفه به كاجان عندما كان رضيعًا. كاجان لم يكتف بالاختبارات والاستبيانات بل قام بعقد مقارنات بين الأطفال عندما دخلوا المدارس، إحدى هذه الدراسات كانت بين (توم) من فريق الانطوائيين و(رالف) من فريق الاجتماعيين. وهذه نتائج المقارنة التي تكاد تتطابق مع الأوصاف السابقة:

1- توم: يقول أهله عنه أنه طفل هادئ وخجول وقلق، ويقول المعلمون أنه يفضل التعلم بمفرده على أن يتعلم مع الآخرين ويحلم بأن يكون عالما ويفضل أن يكرس وقته بين صديق وحيد وأهل بيته.

2- رالف: طفل تشعر بأنه مقبل عليك حتى وإن كنت غريبًا، ويشعر بأنك صديقه ولا يمانع أن يخوض معك في الأحاديث، ثقته أمام الناس عالية حتى وإن لم يمتلك ما يستحق الثقة. رالف كان أقل تفوقًا دراسيًا من توم، وهذا لا يعني أنه فاشل بل أن شخصيته ممكن أن تستثمر في شيء آخر غير الانكباب على الكتب.

بالرغم من أن دراسات كاجان تمت عن طريق علم الأعضاء واعتمادًا على مقدار تحريك الطفل لذراعيه عندما يرى شيئًا غريبًا إلا أنها كانت دقيقة واستطاع من خلالها توقع شخصياتهم. هذه الدراسة تجعلنا نتأكد من أن شخصياتنا لها ارتباط وثيق بجيناتنا؛ لأن الأطفال الرُضع حينها لم يتلقوا أي تربية بعد! فهم يتصرفون بناءً على ما هو موجود في تكوينهم الأساسي. وهذا ما تؤكده أبحاث أخرى تشير إلى أن الجينات تتدخل بنسبة 50% في تكوين صفاتنا وشخصياتنا. أما الآن وبعد أن علمنا أن شخصياتنا جزء لا يتجزأ منا يجب أن نبدو أكثر تعايشًا معها ومع سلبياتها وعلينا أن نكف عن العبث في شخصيات أطفالنا من أجل أن يصبحوا كأطفال الآخرين الذين

نظنهم أصحاب الشخصيات الأصلح، فإن مكوث أطفالنا هادئين وعدم لهفتهم للعب مع أصدقائهم قد يجعلهم من العلماء والمفكرين والرسامين؛ لأنهم يتحملون البقاء عاكفين على كتبهم ولوحهم ويستطيعون أن يقضوا جل وقتهم في التفكير. وهذا ما لاحظه كاجان في إحدى دراساته حيث رأى أن الأطفال الانطوائيين يستطيعون التفكير في حل اللغز لمدة أطول من تلك التي يقدر عليها الأطفال الاجتماعيون، والسبب أن الانطوائيين لا يشعرون بلهفة ليلحقوا بشيءٍ ما في الخارج، وأهم ما لديهم هو ما بين أيديهم الآن؛ لأنهم لا يستطيعون توزيع تركيزهم وهذا بمفرده كنز يستحق البحث! بهذا نكون قد علمنا أن الانطوائية فطرة وليست مرضًا، إذًا لماذا تتم معاملة أصحابها كالمرضى وما السبب الرئيس في تضخيم الشخصية الاجتماعية وجعلها مثالًا يحتذى به؟ وهل كان الانطوائيين يعاملون بنفس الطريقة منذ فجر التاريخ أم أن هناك حدث مفاجئ انتهت معه سنوات العسل للانطوائيين!

اللعنة العشرون

"قد تحول العالم بأسره إلى المظهر تاركًا خلفه مخابر أجدادنا، وللأسف ترك أيضًا كنز الانطواء"

عبد اللطيف

هناك مثل شعبي نسمعه كثيرًا: "الرجال مخابر وليسوا مظاهر"، مثل ما زال يتكرر كإشارة إلى أهمية الفضيلة والقيم السامية الأخرى وأن المظهر سينكشف طالما أن باطنه مليءٌ بالصدأ. هذا المثل تسمعه من الآباء والأجداد ولكنه لا يجري على لسانك ولسان أبناء جيلك. فماذا حدث؟ هل انقلبت الموازين؟ ومن قلبها؟ أم أن الأجداد كانوا مخطئين وفي غفلة والصحيح أن القيم لا تهم والمظاهر هي كُل شيء؟

ألقِ نظرة سريعة على من حولك من مشاهير التواصل الاجتماعي، هل اشتهروا لأنهم مميزون كقيمة وفضائل أم لأنهم يمتلكون الجرأة ومقومات المظهر الجيّد! وأريدك أن تنظر خاصة إلى أولئك الذين يعجبونك وتتأثر بما يقولون ويطرحون من أفكار، هل أنت معجب بفكره وجودة ما يقول أم بقوة لسانه ونبرة صوته وحضوره؟ قد تقول في داخلك الآن: "كفى كفى، توقف عن هذا الهراء، كيف تقول بأن هيئة وصوت وجمال وأسلوب من يقدم المعلومة هو الفارق؟!"

نعم هو الفارق ولا أريد أن آخذك بعيدًا، سآخذك إلى أحد النجوم الذين عاصرتهم، حدثت في إحدى الأعوام السابقة جريمة اختطاف فتاتين في بريطانيا تلبسان قميص النادي الإنجليزي الشهير مانشستر يونايتد الذي كان

يلعب له ديفيد بيكهام الأكثر جاذبية في إنجلترا والأعلى دخلًا من حيث الإعلانات. استمرت القضية تشغل فئة قليلة من الناس ولم تشغل القضية أبدًا الرأي العام إلى أن استخدمت إحدى الصحف صورة ديفيد بيكهام وهو يرتدي ذات القميص ويتوسل إلى المجرمين أن يعيدوهما، وحينها أخذت القضية صدى أكبر. السؤال هنا، لماذا أخذت القضية صداها عندما تحدث بيكهام، هل القيم أصبحت أكثر قيمة عندما صرح ديفيد؟ وماذا لو صرح لاعبٌ آخر أقل جمالًا وجاذبية؟ هل القيم ستبقى هي القيم أم هي متحركة حسب من يحركها!

لم يكن هذا هو الحال لدى الغرب حيث كانت الفضيلة هي الفضيلة مهما كان الأمر وكانت الفضيلة مقدمة على الجمال والجاذبية وطلاقة اللسان حتى نهايات القرن التاسع عشر[4]. لكن مع مطلع القرن العشرين انقلبت الأمور وأصبحت الجاذبية وطلاقة اللسان معامل النجاح الأول لدى البشر حتى أصبح الآباء والأمهات يبحثون عن أطفال أكثر طلاقة وأحسن هندامًا كي يكونوا أكثر ثقةً وأكثر اختلاطًا بالآخرين. وهكذا حلت عشرون لعنة في مطلع القرن العشرين على أولئك الذين لا يملكون لسانًا طليقًا ومفردات إعجازية يؤثرون بها فيمن حولهم وإن كانت عقولهم تفيض بالأفكار المبهرة، فالمجتمع أصبح يقدس الاجتماعي المتحدث صاحب العلاقات لا أكثر. عشرون لعنة طردت الانطوائيين من رحمة العيش في شخصياتهم بكل راحة ودون احتقار، نقول عشرون لعنة لأنها حلت في بدايات القرن العشرين مع نهايات الثورة الصناعية لدى الغرب؛ حيث انتقل الناس من القرى إلى المدن

4- من يقرأ روايات الغرب في منتصف القرن التاسع عشر وبدايات العشرين يرى بوضوح الصراع الذي بين الفضيلة والمظاهر وإحدى هذه الروايات هي رائعة المنفلوطي الفضيلة وهي عبارة عن عمل مترجم لرواية فرنسية.

وتحول الناس إلى العمل في الشركات بدلًا من المزارع فكانت التحولات كبيرة على المجتمعات الغربية حتى أن نظرتهم للشخصيات قد تغيرت.

أما آثار هذا التحول على الشخصيات فنجدها في الجهد الذي قام به وارن سوزمان الباحث التاريخي في جامعة روتجرز الأمريكية عندما قام بمقارنة كتب تطوير الذات في القرن التاسع عشر مع كتب القرن العشرين فوجد أن هناك تغيرًا كبيرًا في المفردات والقيم التي تهدف لها كتب تطوير الذات. فالكتب القديمة كانت تهتم بقيم مثل: المواطنة والعمل والسمعة والشرف والأخلاق والعادات الحميدة والنزاهة كأهم الأسس إن كان الإنسان يريد أن يصبح ذا شخصية جذابة ورائعة وناجحة. أما الكتب الجديدة كما نراها هذه الأيام بأعيننا فهي مليئة بالكلمات التالية: القيادية وقوة الجسد والصوت وتكوين العلاقات وجاذبية المظهر. تغيرات جذرية قد تصيبك بالذهول، لكنك ستجد أنها طبيعية عندما تعود لتاريخ الثورة الصناعية لدى الغرب وترى أن التغير في القيم وكتب تطوير الذات جاء متزامنًا مع هذه الثورة. عندما جاءت الثورة تحول الفرد الغربي من العمل في المزرعة إلى العمل في شركة والعيش في المدينة وانتهى زمن العمل مع الجار وحان وقت العمل مع الغرباء. وكان الشخص الانطوائي أبرز ضحايا التحول لأن الظروف أصبحت مهيأة للاجتماعي حيث لا يمانع من الاختلاط بأشخاص جدد كل يوم في مقر عمله وأن يذهب هنا وهناك لعقد الصفقات وأن يصبح المتحدث الرسمي باسم الشركة وأن يذهب بعد ذلك كله إلى الحفلات والاجتماعات كي يعقد صداقات وعلاقات، لذلك خطا الاجتماعي خطًى أسرع في السلم الوظيفي والنجاح التجاري خاصة في بدايات التحول؛ لأنه كان أسرع تأقلمًا. هذا النجاح الذي حققه أصحاب الشخصية الاجتماعية جعل الجميع يمجد النمط الاجتماعي

ويضعه نموذجًا مثاليًا يجب على الجميع الاقتداء به إن كانوا يريدون نجاحًا في هذه الحقبة الزمنية. ولم يكن تفوق الاجتماعيين إبداعًا خاصًا منهم بل لأن شخصياتهم كانت متلائمة مع ذلك التحول؛ فلو ذهبنا إلى تكوين الشخصية الانطوائية سنجد أنه يحتاج أن يعود إلى المنزل فور انتهاء عمله وهذا لا يدل على أنه كسول بل على أنه يريد الاختلاء بذاته وشحن نفسه ليوم الغد، أما الاجتماعي فالاجتماعات هي المكان المفضل له وبعدها يشعر بطاقة أكبر للغد فكيف لنا أن نحكم على سوء الانطوائي والمسألة كلها تكمن في اختلاف الشخصية وتكوينها.

وعلاوة على ذلك، من المثبت علميًا أن الاجتماعي أكثر مجازفة لذلك كانت خطواته أسرع في الوصول للنجاح خاصة في إنشاء الشركات التي لا يتوقع لها مستقبل على عكس الانطوائيين الذين يفضلون الخطط المدروسة مسبقًا قبل اتخاذ القرارات. كل هذه النجاحات التي حققها الاجتماعي لم تجعله الموظف المثالي فقط، بل جعلته الزوج المثالي بالتالي أصبح الإنسان الأمثل. ونتيجة لذلك لم يكن غريبًا أن يتحول إعجاب الأمريكيين من المثقفين إلى المصارعين ونجوم هوليود في بدايات القرن العشرين حسب ما تشير إليه الإحصائيات. لعل ما ذكرناه يكفي لإخبارنا لماذا اهتم الشعب الإنجليزي بالفتيات المخطوفات أكثر عندما تحدث عنهما ديفيد بيكهام ولماذا أولئك الأفضل تحدثًا وهندامًا هم من يسيطرون على الرأي العام، بغض النظر عن سلامة الفكرة، خاصة مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي.

قبل الثورة الصناعية لم يكن بين الانطوائي والاجتماعي ذلك الفرق الكبير؛ لأنهم كانوا يعملون مع الأقارب والجيران حيث لا غرباء، وقد يبدو الاجتماعي أكثر فاعلية مع جيرانه وأقاربه ويحب أن يقضي يومه بين مزرعة

هذا ومنزل ذاك لكن شخصيته الانبساطية لم تكن لتعطيه تميزًا أكثر من أن يكون معروفًا بحبه للضحك والحديث وكونه مألوفًا لدى سكان القرية. وفي الوقت نفسه عدم فاعلية الانطوائي لم تكن لتضره لأنهم في النهاية أقاربه وجيرانه فيتقبلونه كيفما كان، ولن يتذمر من البقاء بجوارهم والعمل معهم؛ لأنه يألفهم منذ خروجه إلى هذه الدنيا وهذا ما لا يجده في المدينة، وانطوائية الإنسان القروي لم تكن تؤثر في رزقه ولا في ترقياته في العمل فهي مزرعة واحدة وعائلة واحدة وقرية واحدة، وهذا ما تغير جذريًا بعد الثورة!

لا أحد يرضى

"لا أحد يرضى أن يُفسر سلوكه سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا"

جلال أحمد أمين

قد تتساءل ما هذه الثورة التي غيرت من أسلوب حياة العالم كله وليس فقط أمريكا؟ الثورة الصناعية هي سلسلة من الاكتشافات التي بدأت عام 1712م، بمعنى أنها بدأت في بدايات القرن الثامن عشر لكنها استمرت لمدة طويلة ولم تظهر آثارها إلا بعد قرنين من الزمان، هذه المدة طبيعية إن كنت تتحدث عن تغيير جذري يحدث في المجتمعات فهذه ليست مسألة سنة أو سنتين بل تحتاج كثيرًا من الوقت. كانت بداية الثورة مع الإنجليزي توماس نيوكمان عندما اخترع أول محرك بخاري يعمل على ضخ المياه، تواصلت بعده الاختراعات ومع كل اختراع يزداد عدد المصانع ويرتفع الاقتصاد وتتحضر المدن ومع كل اختراع يصبح تواصل البشر مع بعضهم أكثر سهولة كاختراع التلفون على سبيل المثال. انتهت هذه الثورة باختراعين مؤثرين للغاية وكانا متزامنين مع التغيّر الذي لاحظه الباحث وارن سوزمان على كتب تطوير الذات. الاختراع الأول كان بمثابة المفتاح لعالم الطيران عندما قام الأخوان رايت باختراع أول طيارة قادرة على التحليق وكان ذلك عام 1903م مما جعل العالم متواصلًا بشكل أكبر وعزز الفرص الاستثمارية والسياحية وجعل الثقافات تختلط بشكل أكبر وبطرق أيسر من ذي قبل. وأتى بعدهما الأمريكي هنري فورد لينهي عصر الثورة الصناعية عام 1908م باختراع مؤثر وهو (الموديلT) من السيارات، ورغم أن هذه السيارة لم تكن أول سيارة في التاريخ

إلا أنها كانت الأكثر تأثيرًا؛ لأنها أول سيارة متوفرة للجميع حيث كان ثمنها ملائمًا للأغلبية وأضحى بين كل أربع أمريكيين شخص يمتلك سيارة مما يسر التنقل بين المدن والشركات وهكذا انتهت الثورة الصناعية.

سيغضب الكثير من تعليق السلوك البشري وتغيّر القيّم لدى المجتمعات بأسباب سياسية واقتصادية، لكن كما رأينا التغيرات التي حدثت في أمريكا كانت كافية ليتأثر بها المجتمع ككل وليس فقط نظرته للانطوائيين. ولكي نفهم ذلك يجب علينا أن نرى تغيرًا آخر قد حدث، وهو ذلك الذي طرأ على المرأة الغربية عندما انتقل الأمريكيون من المزرعة إلى المدن. يقول عالم الاقتصاد الكندي الشهير جون كينيث جالبريث عن تغير مفهوم المرأة الفاضلة في عقلية الرجل الأمريكي بعد الثورة الصناعية في بدايات القرن العشرين ويقول:

"بعد الثورة الاقتصادية (الصناعية)، خرج الرجال من مزارعهم إلى المدن كي يعملوا في الشركات والمصانع لتوفير حياة كريمة أكثر مما توفره لهم الزراعة. وهذا ما جعل أحوالهم المالية تتحسن بالتالي زادت السلع التي تملكها الأسرة وزادت الخدمات التي ترغب بها كذلك، وهذه السلع بحد ذاتها تحتاج عناية وكذلك الخدمات تحتاج من يقوم بها، وبذلك ازدادت الأعباء على الرجل الأمريكي فلم يستطع قادرًا على الذهاب إلى عمله ومراجعة فواتير الكهرباء والماء ومتابعة تأمين المركبة والعناية بها وتنسيق الحدائق وغيرها من الأعمال. ونتيجة لهذه الضغوط التي تعرض لها الرجال أصبح من المغري أن تحصل على زوجة تشاركك في حمل هذه الأعباء، لذلك حدث تغيير جذري في مفهوم المرأة الفاضلة وأصبحت المرأة المميزة هي تلك التي تقوم بمشاركة الرجل مهامه وليست ذات الشخصية القوية والذكية والمثقفة"[5].

5- وصف مصر في نهاية القرن العشرين، جلال أمين.

إن كانت الثورة قد غيرت نظرة المجتمع للرجل المثالي والمرأة المثالية، فما أسهل أن تؤثر في نظرتنا للانطوائي طالما أنه لم يستطع دخول معترك الحياة الجديد والتأقلم مع حياة المدينة والشركات بشكل سريع لأنه بطبيعته كما رأينا في اختبارات كاجان ينفر من البيئات الجديدة بالتالي يحتاج كثيرًا من الوقت للتأقلم. من الخطأ أن ننكر تأثير التغيرات الاقتصادية والسياسية على المجتمعات، فبعض التغيرات تطال أمورًا حساسة كالأمور المادية التي تعتبر بمثابة الروح للإنسان ولا يستطيع أبدًا التخلي عنها، فيجد نفسه مجبرًا على التكيف خاضعًا للتغيرات الجديدة. ولو تجاوزنا الحديث عن الثورة الصناعية التي حدثت في أمريكا سنجد ذات السيناريو يتكرر في بلدان عربية، فكثيرٌ من بلداننا تبدلت وتغيرت عاداتها وتقاليدها بسبب ثورات مماثلة سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي. ولنا في المجتمع المصري مثال حيث تحدث عنه الكاتب جلال أمين في (سلسلة ماذا حدث للمصريين) التي طرح فيها عددًا من الظروف السياسية والاقتصادية التي أثرت في صميم الشعب المصري، وأعجبني تعليقه على هذه التغيرات حيث قال: "للأسف لا أحد يرضى أن يتم تفسير سلوكه على أنه متأثر بظروف سياسية أو اقتصادية". نعم للأسف هذا خطأ لم يقع فيه العامة فقط بل وقع فيه العلماء والمثقفون حيث اعتقدوا أن المؤثر الوحيد على المجتمعات هو الدين وأنه الشيء الوحيد الذي يجب أخذه في الاعتبار مما جعل كثيرًا من المؤلفات الدينية لا تتسق مع المجتمع لأنها لا تواكب الجديد، وأصبح الدين يعاني من جمود وركود بسبب تكبرنا على المؤثرات الأخرى كالسياسة والاقتصاد، وهذا ما جعلنا نرى أن بعض البلدان العربية حرمت أشياء لعلة دينية في ليلة قدومها تحت بند المؤامرات الغربية لكنها لم تصمد أمام ثورة الصناعة والتكنولوجيا وأسلوب الحياة العالمي فقررت

إباحته. إن الإنسان يرفض أن يعلق سلوكه على أسباب اقتصادية أو سياسية؛ لأنه بذلك يشعر أنه فقد ميزته كإنسان يميز بين الأمور ويختار أفضلها بمحض إرادته وتفكيره وإدراكه. وفي الحقيقة إنه لا يفقد إنسانيته وعقلانيته ولا دينه بذلك لأنه كائن اجتماعي مهما بلغت انطوائيته ومتأثر بما حوله من الظروف أبى أم رضي كما حدث من تغيير على مفهوم المرأة الفاضلة. إن هذا التأثير يمتد إلى المتعلمين أيضًا وسنرى كيف تأثر علماء النفس والحكومة الأمريكية بظروف الثورة الصناعية وأصبحوا يقدسون الاجتماعية ويعتبرون الانطوائية مرضًا من الأمراض.

غزو اللاشعور

"غزوة بلا غزاة، فقط قتلى"

عبد اللطيف

آمنا بأن الثورة الصناعية تركت آثارها على العالم كله، لكن كيف يمكن انتشارها بهذه السهولة وكيف تخترق العقول؟ هنا يحدث ما أسميه بغزو اللاشعور وهو يختلف عن الغزو الفكري رغم تشابههما، فكلا الحالتين تفيدان بأن مبادئك تتغير دون أن تعلم كيف حدث ذلك ودون أن تشعر، وكأن دماغك قد فُتح وسكبت فيه الأفكار الجديدة وأُغلق، لا دماء لا آلام ولا آثار جراحة! لكن الاختلاف أن الغزو الفكري غالبًا ما يكون وراءه غزاة، كأن يرغب حزب سياسي أو ديني بدس أفكاره في لعبة أو رواية أو فيلم، يدسها في أشياءٍ يتعرض لها أفراد المجتمع فيشعرون بتعاطفهم مع مجرم أو فكرة إجرامية دون شعور بجرمها. لكن في غزو اللاشعور الجميع قتلى ولا يوجد غزاة ومخططون ومدبرون، فالجميع هنا متأثرون؛ لأن الشرارة الأولى انطلقت من أشخاص خطرت ببالهم أفكار وحولوها إلى اختراعات ما زلنا نستفيد منها ولا يمكننا أن نتخيل الحياة دونها، فهم أرادوا تقديم شيء للبشرية ولم يخطر لعقولهم أن يقتلوا شخصية من الشخصيات باختراعاتهم. لكن هذه الاختراعات مجتمعة فرضت على المجتمع أن يرتقي بأنظمته ومعيشته إلى مرحلة الاختراعات كي يستطيعوا مواكبتها وفرضت على الجميع تغيير مكان عيشه وعمله، وكتبعات بدأت الشركات في الظهور ثم ظهر التلفزيون وكان السلاح الأكثر قوة في عملية الغزو حيث تعزز معه حضور الإعلانات التجارية وكانت هي أداة الغزو التي يحملها أناس لم يتقصدوا الغزو بل كانوا هم بحد ذاتهم قتلى

وممن تم غزوهم، وكان كل مقصدهم مواكبة التحول ظنًا منهم أن الشخصية الاجتماعية فعلًا هي الشخصية الصحيّة، فقاموا لا شعوريًا بالتشجيع على الاجتماعية ونبذ الانطوائية من خلال الإعلانات التجارية.

لم يكن التغيّر في المحتوى مقتصرًا على كتب تطوير الذات بل تغيّر محتوى الإعلانات التجارية كذلك، وتم التركيز على جلب أشخاصٍ يتمتعون بالفاعلية الاجتماعية والانبساطية أو الجرأة العالية وغيرها من الصفات الشبيهة التي تمثل الشخصية المثالية الصحية في نظرهم. ولم يكتفوا بتضخيم النمط الاجتماعي بل بدأت الإعلانات تحط من قدر النمط الانطوائي بشكل ملحوظ. فعلى سبيل المثال، قامت شركة لوكس في إحدى الإعلانات بإظهار سيدة تشتكي من عدم قبول الآخرين لها ونصحها الخبير باستخدام إحدى منتجات لوكس كي تبدو أكثر ثقة بنفسها وأكثر سحرًا، بالتالي ستكون صداقات أكثر وتحقق قبولًا اجتماعيًا أكبر. ولم يكن هذا الإعلان هو الوحيد من نوعه بل إنه امتداد لإعلانات كثيرة شبيهة مما أدخل الشك في قلوب الانطوائيين بشخصيتهم حيث أصبح عدم تكوين علاقات كثيرة وعدم التحدث أمام الجميع مشكلة كبيرة يجب حلها. ولكي تتخيل هذه الإعلانات بشكل أكبر عليك أن تنظر إلى أغلب إعلانات شركات الاتصالات لدينا فستجدهم يظهرون الباقة الشبابية تحت بند الصخب والاحتفالات والأنشطة الشبابية وكأن فئة الشباب دائمًا ما تكون بهذه الطريقة. لماذا يتم توجيه هذا الإعلان للشاب الاجتماعي محب الصخب رغم أن الباقة تخص جميع الشباب سواء كان جريئًا أم خجولًا؟ هذه الإعلانات ستترك ترسبات لدى الانطوائي عندما يرى الإعلانات والمنابر تحتفي بالاجتماعي علاوة على الضغط الأسري الذي يطالبه بالخروج من قوقعته وترك شواحنه وراء ظهره.

البعض لا يؤمن بتأثير الإعلانات ويعتبر تعظيم أمرها من التفاهات. إن كانت بهذه التفاهة فلماذا تدفع الشركات الكبرى مثل بيبسي وكوكاكولا أموالًا طائلة على الإعلانات؟ هل ما زالت بحاجة إلى تعريف؟ أم أن للإعلانات تأثيرًا بالغًا كما يدلل جوستاف لوبن في كتابه (الآراء والمعتقدات): "في إحدى انتخابات فرنسا، قام مرشح بوضع صورته داخل إعلان تجاري لمدة نصف ثانية كي لا ينتبه أحد لما فعل من مخالفة لقواعد الانتخابات. وفي نهاية الأمر فاز المرشح بالانتخابات وعندما سألوا الناخبين عن سبب تصويتهم له، أجابوا بإجابة غريبة: إنه شخص مألوف لدينا!". أمر مخيف، عندما يقول الناخبون أن المرشح شخص مألوف لكنهم لا يتذكرون أين رأوه! ما هذا التأثير الذي تحمله نصف ثانية على أدمغتنا إلى درجة أننا نرشح شخصًا في انتخابات حكومية، بناءً على مرور صورته لمدة نصف ثانية على أذهاننا فالتصقت بهذا العمق، إذًا ماذا ستفعل الإعلانات المتكررة والضغوط المستمرة والانتقادات التي لا تتوقف عن الشخصية الانطوائية؟

إن الإعلانات ليست الوحيدة التي أخذت تحارب الشخصية الانطوائية بل وصل الأمر إلى المسلسلات التي تعد الأكثر تأثيرًا، فلا أذكر أني رأيت يومًا من الأيام مسلسلًا أو فيلمًا يمجد الشخصية الانطوائية أو يكون فيها البطل انطوائي وبشكل إيجابي. أما عن تأثير الأفلام والمسلسلات، فيكفينا أن نذكر أن أعلى الإعلانات تكلفة هي تلك التي تتضمنها الأفلام والمسلسلات دون أن يشعر المتابع لكنه يتأثر بشكل أكبر من تأثره بالإعلانات المعتادة، وتكون هذه الطريقة بجعل بطل الفيلم يتناول طعامًا من مطعم معين أو أن يتسوق من متاجر محددة، ولهذا تأثير كبير جدًا في الإقبال على تلك المنتجات بمجرد أن الذي استخدمها أحد المشاهير دون إشارة صريحة إلى أنها دعاية لكنها

تسربت إلى العقول! إذا كان هذا ما يحدثه إعلان وحيد في أرباح شركة، إذًا ماذا يحدث عندما يأتي أبطال المسلسلات بالشخصية الاجتماعية دائمًا، تلك الشخصية التي لا تهتم للظروف الجديدة ولديها كم كبير من الأصدقاء، بالتأكيد سيحاول الجميع أن يصل إلى تلك الشخصية المثالية. ومن الطبيعي ألا تشعر إن لم تكن انطوائيًا بالألم الذي يعتصر قلوب الانطوائيين عندما يرون كل ما حولهم يضج بالأصوات والاحتفالات وتأتي الأفلام والإعلانات لتؤكد أن النمط الاجتماعي هو النمط الصحي وأن الانطوائيين ليسوا إلا مرضى أُبتلي فيهم الكون ويجب أن يعالجوا أنفسهم في أسرع وقت ممكن. ونتيجة لهذه الضغوط يستسلم كثير من الانطوائيين ويجدون أنفسهم مجبرين على تقمص أدوارٍ ليست لهم وتكون حينئذٍ المثليّة الشخصية!

الفصل الثاني

المثليّة الشخصية

"الجميع يُحارب المثليّة الجنسية، لكن لا أحد يتحدث عن المثليّة الشخصية"

عبد اللطيف

عندما رأيت العلماء يقيسون الشخصيات على شريط من ألوان الطيف تشكل لدي مصطلح المثليّة الشخصية كإشارة إلى عملية التحول من شخصية ولدنا بها إلى شخصية أخرى مهملين مزايا شخصياتنا الأصلية، وأسميتها مثليّة لأنها تشابه المثليّة الجنسية، وإن كانت أقل منها سوءًا بمراحل، ففي كلتا الحالتين يحدث تعدٍ على عوامل وراثية. لكننا نحارب المثليّة الجنسية ولا نحارب المثليّة الشخصية، رغم أن شخصية الإنسان من أهم الأشياء التي يجب الانتباه لها وحمايتها من العبث إلا أن العبث بها يتم بمباركة الأهالي والأصدقاء والمعلمين بل وتراهم يشجعون الانطوائيين على تغيير شخصياتهم بكل ما لديهم من قوة تحت المسمى اللطيف تطوير الذات. وما هذا التطوير في نظري إلا عملية تدميرية؛ لأنها تجعل الانطوائي يتخلى عن الخامة التي خُلق بها والوظيفة التي وجد لأجلها وتجعله يرتدي لباسًا ليس له. ومهما أقنع الانطوائي نفسه بأنه يستطيع تغيير جلده إلا أنه سيتفاجأ أنه يحقق تأخرًا لا تقدمًا في كل مرة يحاول فيها الانسلاخ من شخصيته، وسيحدث له ما يحدث لكثير من الأجهزة التي قد تبدو أقوى وأجمل بعدما يتم تعديل برمجياتها لكنها تبقى معرضة للانهيار في أي وقت؛ لأنها لم تصنع لتأدية ذلك الغرض. إن مشكلتنا مع المثليّة الشخصية أن الإنسان أصبح لا يفرق بين تحسين بعض السلبيات التي تشوب شخصيته وبين الانسلاخ كليًا منها، فتجده يتعرى من شخصيته الأم ويوهم نفسه بأنه أتقن الشخصية الجديدة ويبقى تائهًا متحسرًا على مزايا

الشخصية الحقيقية التي وهبه الله إياها فأهدرها، ولن يعي تيهه إلا بعد فوات الأوان!

بدأ تبجيل الاجتماعية بعد الثورة الصناعية كما رأينا ووصل تأثيره إلى كتب تطوير الذات وخرج ما يسمى بإطلاق القدرات وأتت الإعلانات والمسلسلات التلفزيونية لتغرس هذا التمجيد في عقول العامة. ولم يقف الأمر عند هذا الحد وأخذ بالتأثير على المختصين وغزا الجهات التعليمية واخترق البيت الأبيض حيث أصدرت الحكومة الأمريكية بعد نهاية الثورة الصناعية بأربعين عامًا أي في خمسينات القرن الماضي شعارًا يقول: "نحو شخصية صحية لأطفالنا"، ويقصدون بها الشخصية الاجتماعية. وأصبحت الشخصية الاجتماعية بهذا الإعلان رسميًا هي الشخصية الصحية متجاهلين بذلك الشخصية الانطوائية التي يمثلها ثلث المجتمع الأمريكي، ولم يكتفوا بتجاهلها بل تم اعتبارها مرضًا من الأمراض النفسية التي أشغلت علماء النفس وأصبحت أولى اهتماماتهم بعد أن كان الاهتمام منصبًّا على مرضين:

أولهما: العنف المبكر من الأطفال الذكور، حيث أن هناك نسبة من أطفال أمريكا يتعلمون الإجرام والسرقة ويشاركون في عصابات أثناء طفولتهم.

ثانيهما: الطفلة التي تسأل عن تفاصيل جنسية قبل سن البلوغ، وهذه الحالة تحدث لدى بعض الطفلات عندما يسألن عن أمور جنسية تخص الرجال وهن ما زلن دون سن البلوغ.

لك أن تتخيل أن يتجاوز خطر الانطواء خطر هذين المرضين فضلًا عن تصنيفه كمرض أصلًا، إن هذا الاستنفار من قبل علماء النفس جاء متزامنًا مع إطلاق شعار الحكومة الأمريكية وشكلا سويًا نقطة الانطلاق الرسمية نحو المثليّة الشخصية حيث أصبح المعلمون يشددون على ضرورة مشاركة جميع الأطفال بنفس الكمية في النشاط الجماعي بل وينخفض تقييم الطفل إن لم

يشارك في النشاطات الجماعية دون أي اعتبار لقدراته الكامنة التي لا يملكها الاجتماعيون والتي قد تستغل دون إجبارهم على الخروج من قواقعهم، وأصبح هناك تقارير شهرية تخرج من المدارس إلى الآباء كي توضح لهم ما إن كان أطفالهم اجتماعيين أم لا. ومع ازدياد الهوس بالاجتماعي ودورات تطوير الذات تم إنشاء مدارس متخصصة في تطوير الذات وتسمى باللغة الإنجليزية:
Self-Development schools و Self-Expression
وهي كالمدارس النظامية لكن تزداد عليها في أنها مصممة لجعل ابنك أكثر اجتماعية، وبهذه المدارس وصل الشعب الأمريكي إلى أعلى مراتب العبث بالشخصيات حيث أصبح هناك معاهد متخصصة في العبث، إذا كان هذا ما يحدث في قطاعات تعليمية وتربوية فماذا ننتظر من العامة؟ وماذا سيحدث لأولئك الأطفال المساكين الذين يخضعون لرقابة آباء وأمهات يتأثرون بالرأي العام أكثر ولا يعلمون عن الكنز المختبئ بين ثنايا طفلهم، بل ويدفنونه أكثر عندما يحرمونه من الهوايات التي يحب لأنها لا تتضمن أنشطة تفاعلية.

إننا بتطوير الذات المبالغ فيه نساهم بوأد ما يقارب الثلث من مجتمعاتنا دون أن نعي خطورة ذلك، قد لا تخيفك هذه النسبة وهذا يعني أنك لم تتخيلها بشكل جيّد، أن يكون ثلث المجتمع انطوائيًا فهذا يعني أنك ستتزوج زوجًا انطوائيًا إن لم تكن انطوائي، وإن كان كلاكما اجتماعي فسوف تنجبان طفلًا انطوائيًا أو سيكون لديكما حفيد انطوائي، وإن لم يحدث ذلك فبالتأكيد حولكما أصدقاء انطوائيين. إنها نسبة كبيرة ويجب علينا التسليم بأن الانطواء نوع من الشخصيات لا حالة مرضية. وقد تكون مذهولًا بالنسبة الكبيرة للانطوائيين في المجتمع لأنك ترى أن أغلب من حولك لا يصلون إلى درجة الانطوائية مما يدل على أن بعض ممن حولك ممثلون باحتراف وربما أنت أحدهم. وهذا من تبعات ما ذكرناه سابقًا حيث أن الكثير يريد أن يصبح

اجتماعيًا إلا ما رحم ربي، ومما يدلل على وقوع كثير من الشعب الأمريكي في المثليّة الشخصية الشهرة التي حققتها العقاقير المضادة للتوتر والخجل التي أنتجتها شركة Carter-Wallace في عام 1955م، أي تزامنًا مع شعار البيت الأبيض وإعلان الانطوائية كمرض، وأصبح هذا الدواء الأكثر مبيعًا في أمريكا خلال عام واحد؛ لأنه كان العلاج المنقذ للانطوائيين كي يقللوا من الأعباء التي تواجههم عند الانخراط في بيئة عمل جديدة أو تقديم كلمة أمام جمهور رغم أن ما يشعرون به من توتر هو رد فعل طبيعي ومتوقع منهم منذ أن كانوا رضعًا لم يتجاوزوا شهرهم الرابع في مختبرات جيروم كاجان، فلماذا يتعاطون دواءً لعلاجِ شيء من صميم شخصياتهم بدلًا من التكيّف والتعامل معه بذكاء؟ لو كان استعمال الدواء مقتصرًا على من يعانون من توتر مفرط لكان الأمر مقبولًا، لكن أن يصل الأمر إلى أن يقوم بتجربته واحد من كل عشرين أمريكي فهذا رقم ضخم جدًا يدل على أن الكثير استخدموه وهم ليسوا بحاجته.

وفي الحقيقة لا يلام الإنسان الانطوائي إذا عمد إلى إخفاء انطوائيته بشتى الوسائل والطرق وإن استدعى الأمر تناول أدوية طالما أن شخصيته لن تفيده خصوصًا أن تقييمه المدرسي أصبح متعلقًا بعدد أصدقائه ومشاركته أمام الجميع باستمرار بل وتجاوز هذا الهوس أسوار المدارس واجتاح الجامعات حيث يقول أحد عمداء جامعة (Yale) في عام 1950م، وعليك أن تلاحظ تزامن كل هذه الأحداث مع شعار البيت الأبيض: "في جامعتنا نقوم بقبول الطالب الاجتماعي حتى وإن لم تتجاوز درجاته الثمانين ونفضله على الطالب الانطوائي حتى وإن كان الأذكى لأن الانطوائي ليس متعدد الاستخدامات، صحيح أن مجال الجامعة أكاديمي وبحثي ولا يتطلب شخصية اجتماعية لكننا نريد الاجتماعيين؛ لأنهم سيفيدون الجامعة في تسويق الأبحاث، والتسويق

يتطلب وجود علاقات كثيرة مع العالم الخارجي واستطاعة على قضاء اليوم بين اجتماع واجتماع". وما هذا التصريح إلا مثالٌ على تصاريح كثيرة بنفس اللهجة حيث وصل الهوس بالاجتماعي إلى حرمان الانطوائي من مهارات يتقنها أكثر من الاجتماعي بكثير كالبحث العلمي؛ لأنه يمتلك طاقة للتركيز على موضوع واحد دون ملل وطقوسه الاسترخائية تساعده على التأمل والتقدم كثيرًا في بحثه بينما الاجتماعي لا يتصف بهذه الصفات لكنه فضل على الانطوائي لامتلاكه الصداقات واحتكاكه المستمر بالغرباء وبهذا تم تفضيل الشخصية الاجتماعية على جودة العمل فأصبحت النظرة إلى الاجتماعي نظرة تقديس عمياء. أما عذر تسويق الأبحاث فما هو إلا عذر قبيح جدًا حيث أنك تستطيع أن تجعل لك فريقًا تسويقيًا متخصصاً في هذا الأمر وفريقًا بحثيًا مكونًا ممن يريد البحث بغض النظر عن اجتماعيته وانطوائيته والبشر بطبيعتهم مكملون لبعضهم ولا يمكن لشخص أن يقوم بالعمل من ألفه إلى يائه بمفرده كما سنرى بشكل مفصل في جزئية التيار الكهربائي.

كل ما مضى من ظروف تكالبت جعل الأمريكيين يصرفون سنويًا بالدولار الأمريكي ما يقارب أحد عشرَ بليونًا على برامج تطوير الذات، وبالتأكيد من ضمنهم كثير من الانطوائيين حيث أجبرهم العالم على المثليّة الشخصية وأصبحوا كالغراب الذي أراد أن يتعلم مشيَ الحمام الساحر ولم يتقنه فأضاع المشيتين، وأصبح الانطوائيون بذلك غربان الحمامة مسوخًا بلا هوية!

حرية الشخصية

"نُدافع عن الحرية الشخصية لكن ماذا عن حرية الشخصية"

عبد اللطيف

في كل مكان يتلألأ مصطلح الحرية الشخصية ونجده مترددًا على مسامعنا في أكثر من منبر لكننا لا نسمع دفاعًا عن حرية الشخصية. إن الحرية الشخصية مصطلح واسع يندرج تحته كثير من البنود أهمها حرية الرأي والتعبير، لكن حرية الشخصية هي أن يعيش الإنسان داخل شخصيته الحقيقية دون أن يجبر على الانمساخ في شخصية أخرى، وأن تحفظ له خصوصيته ويعطى الخيار الكامل في اختيار العمل المناسب وفي تنظيم جدوله بالطريقة التي تجعله أكثر إنتاجية في العمل وفاعلية في الحياة وأفضل صحّة. أما اختطاف هذه الحرية فيبدأ مع تصريح مسؤولي الجامعات بأنهم يفضلون الطالب الاجتماعي، ومن أشهر الجامعات التي تطالب الطلاب بالاجتماعية الجامعة الشهيرة هارفرد وتحديدًا كلية هارفرد للأعمال حيث أنهم هناك يحملون اعتقادًا لا يقبل النقاش وهو: "إن لم تكن اجتماعيًا فلن تصلح للإدارة أبدًا"، ويعتبر أساتذة هارفرد أنفسهم فاشلين إن لم يستطيعوا تحويل شخصيات الطلاب؛ لذلك قررت الباحثة سوزان أن تتحقق بنفسها من تلك المقولة وذهبت في رحلة للبحث عن انطوائي في هارفرد وقال لها أول طالب قابلته: "لن تجدي انطوائيًا هنا، فهذه كلية لا ينجح فيها إلا الاجتماعيون؛ لأن تقييم الطلاب يعتمد على مدى اجتماعيتهم". إن حديث الطالب لا يحمل أي مبالغة بل يصف الحقيقة، فعندما تزور هارفرد ستراها مليئة بالصخب وترى الطلاب يخرجون في حفلات يومية كي يبنوا صداقات خارجية تساعدهم في مستقبلهم الإداري وهذا ما لا يستطيعه الانطوائي. وهذا ليس نقصًا فيه بل لأن شخصيته ليست

ملائمة للتنقل المستمر بين هذا المكان وذاك بعد الفراغ من الدوام الرسمي، إن قوة الانطوائي تكمن في انعزاله فإن حرمته منها فإنك تخسره. ونستطيع أن نرى معاناة الانطوائيين في هارفرد عندما وجدت الباحثة أول طالب انطوائي[6] وسألته عن أكثر الصعوبات التي تواجهه فقال: "إنهم يطالبونني بالخروج يوميًا ويطالبونني بعقد صداقات فوق طاقتي، إن هذا يعتبر عملًا بالنسبة لي وأنا لا أستطيع أن أقضي يومي عاملًا، إن أصدقائي الاجتماعيين يبتهجون عندما يخرجون لوجبة عشاء بعد الفراغ من المحاضرات؛ لأنهم بذلك يقومون بشحن أنفسهم بعد الإرهاق، لكنني انطوائي وأحتاج أن أعود إلى منزلي وأختلي بنفسي كي أستعيد قواي لليوم التالي فكيف يريدونني أن أستنزف طاقتي طوال اليوم، ماذا سيتبقى لي غدًا؟".

إن هوس الشخصية الاجتماعية لم ينشأ لدى الجامعات فقط بل حتى المدارس غيرت أشكال الطاولات لتجبر الطفل على التحدث مع أصدقائه طوال اليوم وهذا كله تلبيةً لمتطلبات سوق العمل الذي أساء فهم العمل الجماعي وجعله اغتصابًا للحريات حيث أصبحت الشركات تعتقد أن العمل ضمن فريق يجلب نتائج أكثر جودة دائمًا حتى اعتمدت عليه بشكل كامل إلى الدرجة التي منعت الانطوائيين من خصوصيتهم، فقامت شركات كثيرة بتحويل مكاتبها إلى مكاتب جماعية حيث الضوضاء وحيث أنظار زملائك مركزة على كل ما تفعله لمدة ثمان ساعات يوميًا. وللأسف أن بعض الشركات ذهبت إلى ما هو أبعد وأصبحت تصمم مبانيها على مبدأ الفوضى، فعلى سبيل المثال هناك شركة أمريكية متخصصة في الإعلان تدعى "TBWA/Chiat/Day" قامت بإلغاء مكاتب العمل نهائيًا فلا يوجد لدى الموظف مكتبًا

6 جدير بالملاحظة أن هذا الطالب يتفوق على أصدقائه الاجتماعيين رغم أن جميع التخصصات في هذه الكلية إدارية مما يعني أن إلمامه بتخصصه عالٍ جدًا ومن الممكن أن يتحول إلى إداري ناجح في الغد وهذا ما يلغي خرافة أن الانطوائيين لا يصلحون أبدًا للإدارة مبدئيًا.

خاصًا يضع فيه أوراقه واحتياجاته ومستلزماته وأبدلتها بمكاتب عامة للجميع حيث يأتي الموظف كل صباح ليعرف ما هو مطلوب منه ويذهب للمكتب المحدد في الجدول كي يعمل مع زملائه، مما يعني أنه سيبقى لمدة ثمان ساعات على الأقل متنقلًا بين مكتبٍ وآخر وسيجبر على الحديث مع هذا تارة ومع ذاك تارة دون أن يلقى لنفسه ملجأً يلجأ إليه أو حتى أن ينجز الجزء المطلوب منه في هدوء. لم تستمر الشركة بالطبع بهذه الطريقة ووصفها المختصون بأنها فاشلة ولا يمكن الاستمرار بها؛ لأنها تحرم الموظفين من الخصوصية ولاحظوا أن إنتاجية الموظفين انحدرت كثيرًا في جميع الشركات التي بالغت في تطبيق العمل الجماعي، وهذا الانخفاض في الإنتاجية تؤكده دراسة تم إجراؤها على 600 مبرمج وأشارت إلى أن نسبة أخطائهم تزداد كلما عملوا في مكاتب جماعية.

إن إرغام الأشخاص على البعد عن حرياتهم ليس مضرًا من الناحية الإنتاجية والاقتصادية فقط بل يمس حالتهم الصحية كذلك حيث أشارت دراسات كثيرة إلى أن الذين يعملون في مكاتب مفتوحة أكثر عرضة لارتفاع ضغط الدم والضغوط النفسية ولديهم مشاكل أكثر مع زملاء العمل وهذا منطقي جدًا لاختلاطهم بهم طوال الوقت، ولأنهم معرضون إلى ضوضاء غير قابلة للتحكم مما يؤثر على ضربات القلب ويزيد من عدوانية الشخص ويزيد من صعوبة تقبله لمساعدة الآخرين وهذا ما يعود بالسوء على الناحية الاقتصادية؛ لأنه سيؤثر على كفاءة الشركة حيث يقال أن الذي يعمل في مكتب عام تنخفض كفاءته بنسبة 50% عن صاحب المكتب المستقل.

قد يستغرب البعض هذه السلبيات التي يجلبها العمل الجماعي، لكن في الحقيقة المعضلة ليست في العمل الجماعي بل في فهمه، لأن ما حدث في الشركات أعلاه هو نوع من الفوضى واعتمادية كلية على العمل الجماعي وتهميش للعمل الفردي. ولو ذهبنا للتعريف الحقيقي للعمل الجماعي سنجد

أنه يعني عمل عدة أفراد لإنتاج منتج أو حل مشكلة بتوزيع المهام على الأفراد مع حفظ استقلاليتهم، فلو كانت مجموعة العمل مكونة من خمسة أفراد ليقوموا بتصميم موقع وتم توزيع المهام عليهم وكل منهم يمتلك حاسبًا آليًا فما هي فائدة وجودهم في نفس المكان؟ أم أنه هوس الاجتماع؟ إن العمل الجماعي ليس سلبيًا لكن علينا أن نطبقه بشكل جيّد، ولكي نفهم قوة العمل الجماعي علينا أن ننظر إلى شركة قوقل التي خرجت كثير من منتجاتها من العمل الجماعي؛ لأنها تميزت عن غيرها بانتباهها لحرية الشخصية، فقد تجبر قوقل الانطوائي على العمل ضمن مجموعة أحيانًا إلا أنها تحفظ له استقلاليته وراحته النفسية وتكفل له مكانًا هادئًا يستطيع شحن نفسه فيه متى ما فرغ من عمله[7]. ولذلك إن القول بإلغاء العمل الجماعي ضرب من الجنون، فكل ما علينا فعله هو إجراء بعض التحسينات عليه كما فعلت مايكروسوفت وتوي ستوري عندما جعلا جدران المكاتب متحركة لخدمة نظامين في نظامٍ واحد، النظام الفردي والجماعي، يزيدون بذلك الإنتاجية ويتشاركون الأفكار ويحترمون حرية الشخصية.

7 سنتحدث بالتفصيل لاحقًا على منطقة إعادة الشحن.

لنُفكر جميعًا

"لا أحد منا أذكى منا جميعًا"

وارن بينز[8]

العمل الجماعي لم يكن التغير الوحيد الذي حدث في الشركات بل أتت معه نظرية التفكير الجماعي لأليكس أوسبرون، وكانت نابعة من أننا نخرج بأفكار أفضل عندما نفكر جميعًا كما يقول وارن بينز: "لا أحد منا أذكى منا جميعًا". وهي مقولة منطقية جدًا وهذا ما جعلها تنتشر بشكل كبير في الشركات؛ لأنها بلا شك ستنتج أفكارًا أكثر طالما أن عدد العقول أكثر. وهذا ما تؤكده الأبحاث التي وردت في كتاب من أين تأتي الأفكار الرائعة (Where Good Ideas Come From)، حيث يشير الكاتب إلى عدة اختراعات عظيمة كانت عبارة عن مشاركة بين أكثر من عقل كجهاز تنظيم ضربات القلب الذي كان مشاركة بين مهندس إلكتروني وجراح قلب، ويذكر كثيرًا من الندوات التي كانت تتم بقيادة كبار العلماء مثل فرويد وكانت كالمجالس لتبادل الأفكار. إذًا التفكير الجماعي عملية نافعة لكننا للأسف نعود ونقع في ذات الخطأ الذي وقعنا فيه عندما أردنا أن نطبق نظرية العمل الجماعي حيث أننا نلتقط المسمى ولا نفكر بكيفية التطبيق، وأصبحت الشركات تحشر الموظفين في قاعة وتقول: "هيّا نفكر".

هذه هي النظرية التي جاء بها أليكس أوسبرون حيث اعتقد أن جمع الموظفين في قاعة تحت مسمى التفكير الجماعي كافٍ لجلب أفكارٍ عظيمة،

8- عالم أمريكي له مؤلفات في الذكاء والعبقرية.

ولم ينتبه مؤسس هذه النظرية إلى وجود شخصيات مختلفة ضمن فرق العمل فإن كان الانطوائي لا يرغب أساسًا في أن يطلع أحد على عمله قبل أن ينجزه فكيف له أن يأتي بأفكار مبدعة وهو يخشى ردود فعل من حوله؟ وهذه السلبية ليست لدى الانطوائي بمفرده بل إن كثيرًا من الناس لديهم إشكالية مع النقد بالتالي سيقل إبداعهم في التفكير الجماعي. ومن أبرز الدلائل على فشل النظرية وعدم ملاءمتها لأي فرد بغض النظر عن شخصيته أنها تعرضت للنقد فور خروجها إلى النور من قبل علماء النفس ولاحظوا فيها ثلاث سلبيات رئيسة.

أولى هذه السلبيات الاتكالية في التفكير "Loafing" وهي أن الإنسان الذي يفكر أو يعمل ضمن مجموعة غالبًا ما يعتمد على غيره في إنتاج الأفكار خاصة إذا شعر بأن هناك من هو قادر على إنتاجها مما سيقلل الأفكار بدلًا من أن يزيدها مع زيادة الاتكالية من كل عضو. وثانيها انحصار الإنتاجية "Production Blocking" وهي شبيهة بالاتكالية وتعني أن التفكير الجماعي غالبًا ما يحصر الإنتاجية على المتحدثين والذين يملكون كاريزما خاصة حيث أن بعض الأفكار تنتشر لأن صوت قائلها أعلى مهما كانت رداءة الفكرة مما يجعل الهادئين لا يقدرون على إبداء آرائهم وإن أبدوها فستضيع هباءً منثورًا في صخب الغير. أما آخر السلبيات وأهمها فالخوف من التقييم "Evaluation Apprehension" وفي هذه السلبية يشترك الاجتماعي والانطوائي حيث يقول علماء الأعصاب أن الخوف من النقد طبيعة بشرية لا أحد يستطيع التخلص منها، ومن يقول أنه لا يهتم أبدًا بانتقاد من حوله ولا يتأثر به فهو كاذب. إذا كان الجميع لا يريد أن تنتقد فكرته فكيف للأفكار الجميلة أن تظهر خاصة إن كانت مشكلة مستعصية

فغالبًا ما تتطلب حلًا مبدعًا والإبداع ضربٌ من الجنون، فمن يتحمل النقد الذي سيأتيه عندما يطرح فكرة مجنونة؟

إذا كانت كل هذه سلبيات في نظرية التفكير الجماعي إذًا أين الإيجابيات؟ ولماذا نسعى لتطبيق التفكير الجماعي رغم أن كثيرًا من العلماء قدموا للبشرية أفكارًا عظيمة لم تخرج إلا من عزلتهم ولا يوجد مثال أبلغ من نيوتن وآينشتاين أكثر البشر انطوائية وانعزالًا وأكثرهم ذكاءً وتأثيرًا؟ هنا يتأكد أننا أسأنا فهم المصطلح كما فعلنا مع العمل الجماعي؛ لأننا أهملنا اختلاف الشخصيات وأهملنا طبيعة النفس البشرية التي لن تبدع في ظل السلبيات الماضية. لذلك علينا أن نقلل تلك السلبيات قدر المستطاع كي نستفيد من نظرية التفكير الجماعي لأنه وبلا شك أكثر قوة من التفكير الفردي وهذا ما ثبت فعلًا عندما قاموا بدراسة التفكير والعمل الجماعيين عبر الإنترنت حيث أشارت النتائج إلى أن التفكير الجماعي عبر الأثير له فوائد جمة على صعيد الإنتاجية والإبداع. وأبرز الأدلة على نجاح التفكير الجماعي عبر الإنترنت هو ما يحدث في وسائل التواصل الاجتماعي حيث يستطيع الفرد الحصول على معلومات ومفاتيح كثيرة لبحث ما بمجرد ضغطة زر، وشخصيًا شعرت بجدوى التفكير الجماعي عبر الإنترنت عندما كتبت في تويتر أن لدي بحث عن الانطوائيين وأريد أن تزودوني بشخصيات انطوائية، فأتتني قائمة تزيد عن الأربعين اسمًا وأتتني مئات الرسائل من الانطوائيين فتحت لي آفاقًا في بحثي.

ما حدث معي جعلني أتأكد أن التفكير الجماعي أقوى من الفردي لكنه نجح عبر الإنترنت ولم ينجح في الحقيقة لأن السلبيات قد اختفت، فعندما يكون التفكير عبر الإنترنت فلا أحد يخشى أن تنتقد فكرته ولا أحد يجد نفسه مجبرًا على المشاركة كي يتكل على غيره، فإن الجميع عبر الإنترنت يناقش ويشارك لأن الموضوع يهمه فيصبح التفكير والعصف الجماعي ذا

مردود قوي وفعال. إذًا الحل هو محاولة تقليل السلبيات التابعة لعملية التفكير التقليدية، وإحدى المحاولات الرائعة جاءت من شركة "HP" الشهيرة حيث تركت الموظفين في مكاتب خاصة يؤدون ما عليهم من عمل ولا يوجد لدى الشركة ما يسمى بالتفكير الجماعي، لكنهم عوضوها بوضع فترتين للقهوة وتسمى فترة تبادل الأفكار في العاشرة صباحًا والثانية ظهرًا، في هذه الفترة يأتي كل شخص يحمل فكرته إلى الشخص الذي يريد أن يناقشها معه ويأخذ ما لدى أصدقائه من تحسينات على فكرته ثم يعود ليعمل عليها ويفكر بشكل أكبر بعدما فتح له النقاش أُفقًا. هكذا تمكنت الشركة من إلغاء السلبيات؛ لأن الشخص لن يذهب إلا لأشخاص يتقبل نقدهم، ولم يعد هناك وجود لمن يحصر الانتاجية فكل شخص يفكر في معزل عن الآخرين ثم يناقش فكرته في فترتي القهوة ويعدل عليها. وهناك طريقة أخرى جميلة وهي أن تضع الشركة برنامجًا على أجهزة الحاسوب لدى الموظفين ويكون عبارة عن صندوق أفكار بإمكان الموظف أن يدخل فيه فكرته، وتمر الأفكار على شاشة كل موظف وتترك له حرية الإضافة والتقييم إن أراد وبهذه الطريقة نجعل الفكرة تنتشر كأنها عبر الإنترنت دون أن يخشى أحد النقد المباشر وفي الوقت ذاته نستفيد من الأفكار والتعديلات التي ستطور الفكرة من بقية الموظفين بدلًا من حبسها في الأدمغة. إن التفكير الجماعي مثرٍ جدًا في تطوير الأفكار، أما عندما نأتي لابتكار الأفكار الأساسية فغالبًا ما يحتاج الإنسان إلى عزلة لينتجها، فلا إفراط ولا تفريط، قفوا بين العزلة والاجتماع.

ثورة على الصمت

"ماذا فعل الصمت كي يثوروا عليه؟"

عبد اللطيف

مع نهاية الثورة الصناعية كان المجتمع الأمريكي متحفزًا لظهور ثورة على الصمت بعد أن تم تشويهه وأمسى وجهًا آخر للخجل والقلق والتوتر ولا بد أن يقضى عليه، ولم تتأخر هذه الثورة، فقد حدثت في بدايات القرن العشرين بقيادة المزارع الانطوائي الخجول الأمريكي دالي كارنجي.

ولادة دالي تزامنت مع نهايات الثورة الصناعية وتحديدًا عام 1888، في صغره لم يكن سوى شخص هادئ خجول انطوائي حتى وصل إلى المرحلة الثانوية وعندها كانت نهاية الثورة الصناعية رسميًا وبداية التحول الكبير من القرى إلى المدن. مع هذا التحول بدأ دالي ينظر إلى شخصيته بشكل سلبي؛ فكيف له أن ينجح في العالم الخارجي وهو لا يملك أصدقاء كثر ولا يمتلك مقومات الخطيب الجيد، وجد دالي ضالته في المرحلة الثانوية عندما رأى الاهتمام بالخطابة[9] في مدرسته حيث تقام فعاليات ومسابقات لها، وشعر بشيء يجذبه نحو الخطابة وآمن أنها المفتاح الذي سيجعله يمتلك كثيرًا من الأصدقاء وأنه بحاجة إلى الصوت إن أراد النجاح. ظل دالي عاكفًا على تمارين

9-كي لا يحدث لبس في موضوع الخطابة لأن الاجتماعيين والانطوائيين لديهم خوف شديد من الوقوف أمام الجمهور بشكل عام والخطابة تعتبر أكثر ما يخيف البشر حول العالم وربما أكثر من الموت. ومع ذلك يبقى الانطوائيين أكثر خوفًا لأنهم يتأثرون أكثر بالأضواء والأصوات ونظرات الغرباء كما سنرى لاحقًا. وهذا لا يجعلنا نقول أن الاجتماعيين في كل الأحوال يتقنون الخطابة أكثر من الانطوائيين بل قد تجد انطوائيين يفوقون الاجتماعيين كثيرًا في مجال الخطابة لكنهم بحاجة إلى فهم شخصياتهم كي يتقنوا الوقوف أمام الجمهور دون أن يشعروا بنقص.

الخطابة حتى التحق بكلية المعلمين ووقتها لم يكن لدى أسرته رسوم التنقل فأخذ يذهب على حصان واستغل الوقت الطويل بين كليته وبيته في التمرس على الخطابة ومراجعة ما تعلمه حتى أتقنها إلى الدرجة التي جعلت من حوله يدفعون له مالًا ليعلمهم الخطابة، وعندما رأى دالي الإقبال على دروسه قرر أن يعلن عن دروس للخطابة وأقبل كثير من الناس عليها حتى أصدر كتابه الأول المتعلق بالخطابة في عام 1935م[10] وحاز الكتاب على قبول كبير من قبل الشعب الأمريكي. لكن دالي لم يقف عند الخطابة فهو مؤمن بأن كسب الأصدقاء وتكوين العلاقات له أهمية قصوى فقام بنشر كتابه الآخر (كيف تكسب أصدقاء) وتمت ترجمته إلى العربية وما زال يتصدر الكتب الأكثر مبيعًا في المطارات والمكتبات رغم مرور فترة طويلة على إصداره.

لا غرابة أن تحصل كتب دالي على قبول وانتشار كبيرين لمجيئها في وقتٍ حرج حيث قرر الكثير من الأمريكيين الانسلاخ من ذواتهم خاصة من يريدون التخلص من الخجل والانطواء ليواكبوا التغير الذي حدث في المجتمع بعد الثورة الصناعية. ولو عدنا إلى المقارنة التي قام بها ذلك الباحث التاريخي بين كتب تطوير الذات القديمة والجديدة سنعرف أن دالي كارينجي هو أب تطوير الذات الحديث بلا شك لأنه اهتم كثيرًا بالمظهر واللسان والجاذبية وكسب الأصدقاء بدلًا من التركيز على الفضائل كما كان في القرن التاسع عشر. لكن علينا أن ننوه أن كارنجي لم يكن ذلك المتفسخ أخلاقيًا منعدم الفضيلة بل كان يمارس أخلاقًا إسلامية إلى الدرجة التي جعلت مفكرين مسلمين يقتبسون من كتبه ويربطونها بالآيات والأحاديث الشريفة وكان على رأسهم

10 - لسنا بحاجة إلى لفت الانتباه في كل مرة إلى التواريخ، فهنا مثلًا جاءت كتب دالي كارنجي قبل شعار البيت الأبيض بخمسة عشر سنة تقريبًا وأخذت صدى كبير وهذا ما أثر على مسؤولي الجامعات والمؤسسات الحكومية أيضًا.

المفكر الإسلامي محمد الغزالي الذي ألف كتابًا بعنوان (جدد حياتك) يعتمد بالكامل على كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) لدالي.

دالي في الحقيقة ثار على شخصيته فقط ولم يثر على كل البشر لكنه للأسف أتى بآثار سلبية فأصبح الكل يعتقد أنه يستطيع فعل ما فعله دالي، متجاهلين أن لكل شخص حدًا يستطيع أن يغير شخصيته فيه دون أن يتجاوزه كما سنرى لاحقًا. تجربة دالي الناجحة جعلته رمزًا وشكلت ضغطًا كبيرًا على الانطوائيين حيث أصبحوا مطالبين بالانسلاخ وأُقنعوا أن الانطوائية ليست وراثة طالما أن أحدهم استطاع الانسلاخ منها. بعد دالي أصبح الناس يبالغون في مسألة الخطابة وأصبحوا لا يفرقون بين تحسينها وبين أن تكون شغلك الشاغل ونقطة قوتك الوحيدة، وزاد الهوس بالخطابة يومًا بعد يوم حتى تجاوزنا الحدود وأصبحنا نصف الطفل الأكثر جرأة وطلاقة في الحديث بأنه أكثر ذكاءً، وأصبحنا نفضل التحدث بغير علم وبطريقة جذابة على الصمت عند عدم وجود ما يستحق الحديث، وبهذا نكون قد انتهينا من إغلاق آخر الأبواب في وجه الانطوائيين فلا عزلة احترمت ولا صمت تم تقديره.

الارتجالية الميتة

"ليس هناك أي علاقة بين الأفكار الجيدة والتحدث"

سوزان كين

جاءتني أمي ذات ليلة مندهشة من أحد الأطفال وتقول إنه سيصبح ذكيًا عندما يكبر، وعندما تساءلت عن سبب توقعها قالت إنه يتحدث بجرأة وبشكل مميز قياسًا على عمره ووافقتها عمتي الرأي، وعندما التقيت أصدقائي في تلك الليلة دار بيننا نقاش عن وجود علاقة بين طلاقة لسان الطفل وقوة مفرداته ومستوى ذكائه؟ فأجاب الأغلبية بنعم! لكن هذا لم يكن صحيحًا، فعندما كبر أولئك الأطفال لم أجد علاقة بين طلاقة ألسنتهم في صغرهم وذكائهم عندما كبروا، بل إن أحدهم لم يكن ليسمع له صوت وكان شديد البكاء إلا أنه كان أفضلهم قدرات في الحياة والدراسة. حينها توقفت لأبحث عن الذكاء وتعريفه وهل هو نوع واحد أم عدة أنواع اختصرناها في ذكاء وحيد، فكان الجواب شافيًا في نظرية الذكاءات المتعددة حيث يقول صاحبها عالم النفس الأمريكي هوارد غاردنر هناك تسع أنواع من الذكاء: منطقي، لغوي، فضائي، موسيقي، طبيعي، حركي، بيني ذاتي، اجتماعي وعاطفي. يقول غاردنر أن الإنسان قد يمتلك أكثر من ذكاء في حين واحد وقد يمتلك ذكاءً وحيدًا منها لا أكثر، ولو لاحظنا هذه الذكاءات سنجد أنها مختلفة عن بعضها، فليس من الضروري أن يكون صاحب الذكاء المنطقي الخارق جيدًا في التحدث! لكننا للأسف بمجرد عدم إجادة الطفل للتحدث بشكل ملفت للأنظار لا نعيره أي اهتمام ولا نتنبأ بأنه ذكي وأيُّ ظلمٍ هذا!

فليس من المعقول مثلًا أن تحرم الجامعات شخصًا بارعًا في الفيزياء يريد أن يجري بحوثًا متقدمة لأنه لا يجيد التحدث أمام جمهور أو لا يمتلك صداقات كثيرة لتسويق بحثه! وقد تقول أن ما ذكرته هو خلل في توقع أصدقائي وأمي ولذلك أتينا بتجربة أخرى تثبت أن تمجيد المتحدثين أصبح متوغلًا في اللاشعور دون أن نعلم. في هذه التجربة تم اختبار مجموعة من الطلاب في الرياضيات وجلب آخرين ليتوقعوا من الذي سيحقق درجات أعلى ووجدوا أنهم اختاروا الأشخاص الأفضل تحدثًا باعتبار أنهم أكثر ذكاءً، وعندما عادوا لنتائج الاختبار وجدوا أن ذلك غير صحيح ولا يوجد أي علاقة بين القدرات الرياضية والتحدث.

وهنا تبدأ كارثة الكوارث لأننا سنعتبر الأفضل تحدثًا أفضل أفكارًا كذلك، وسنمجد المشاهير ونأخذ أحاديثهم على أنها حقائق لا تقبل التغيير ولا تخضع للنقاش فقط لسحر حديثهم وللعدد الكبير الذي يجرونه خلفهم. ومن جهة سنجد أن هذا الأمر سيجعل أفكارًا جيدة توأد لأنها خرجت بصوتٍ هادئ، وهذا ما أثبتته إحدى الدراسات عندما طلب الباحث من كل طالب أن يكتب حلوله لمشكلة ثم وضع الطلاب في مجموعات وتركهم يتخذون قرارًا جماعيًا، وعندما شاهد الحلول المتفق عليها تفاجأ أنها أقل جودة من الأفكار المكتوبة على الورق. وعندما سأل الطلاب عن عدم اختيار تلك الفكرة الجيدة قال أحدهم: "السبب أن صاحب الفكرة عرض أفكاره بصوت هادئ وهذه هي شخصيته لكن علو صوت من حوله جعل أفكاره تختفي وتبقى مهملة، وذهبت السيادة للفكرة التي خرجت بصوت أعلى". أي انجذابٍ للمتحدثين هذا؟ وأي إهمال لمن يكون الصمت جزءًا من شخصياتهم؟ أفكارٌ جيدة تهدر وأفكارٌ قبيحة ترتفع بسبب الصوت لا أكثر.

وسوف نشعر بخطورة ذلك عندما نرى أثره في الشركات والاقتصاد حيث أن الشركات اعتمدت العروض التقديمية كأداة لتقييم الأفكار، وأي فكرة لا يستطيع صاحبها تقديمها بشكل جيّد يتم صرف النظر عنها وإن كانت رائعة فهم ينظرون إلى جمال العرض وسرعة الإجابة على أسئلة الحضور حتى وإن كانت الفكرة متوسطة المستوى، وهكذا لم يعد المطلوب من صاحب الفكرة أن يجلب فكرة ذات جدوى فقط بل عليه أن يكون ساحرًا في عرضه كي يقنعهم بها. وهذه الطريقة بالتأكيد ستساهم في وأد كثير من الأفكار حيث أن كثيرًا من الأشخاص يمتلكون أفكارًا رائعة لكن لا يجيدون شرحها، لذلك تنبهت بعض الشركات لخطورة الأمر وقررت شركة "Right-Solution" أن تنهي هذه المشكلة بإلغاء العروض التقديمية، واستبدلتها بصندوق الأفكار حيث يقوم الموظفون بإرسال أفكارهم النهائية عبر الإنترنت ويشرحونها نصيًا كي لا تؤثر عوامل أخرى على عملية اختيارها.

وعندما نعود للتبجيل الذي تعطيه كلية هارفرد للأعمال للنمط الاجتماعي سنجد أن الطلاب كذلك ملزمون بالتحدث وإن لم تكن لديهم خلفية كافية، وستجد أنهم يصنعون الكلام من قشور المعلومات حيث أن أحد المختصين في هارفرد يقول: "إن كانت لديك معلومة متأكد منها بنسبة 50%، قم واعرضها وكأنك متأكد منها 100%!". وهذا ما لا يتسق أصلًا مع الشخصية الانطوائية فالانطوائيون كما سنرى يميلون للإتقان في أعمالهم ولا يحبون التجريب ويفضلون التحدث عندما يلمون بلب الموضوع لا قشوره، إن تقديس الأصوات العالية أخذ منحنًى خطرًا إلى درجة تفضيل الارتجالية المميتة على الصمت الحكيم بل وجعلوا هذه الارتجالية إحدى صفات الإداري الناجح رغم أن الأبحاث أثبتت خطأ هذه الطريقة حيث شاهدوا أن المحللين

السياسيين الذين يبنون تحليلاتهم على معلومات ناقصة تكون تحاليلهم أقل دقة من لو أنهم قاموا بتحليلها عن طريق القرعة! فما هو الأهم الآن، جودة الفكرة والصمت مع وجود معلومات ضخمة أم الحديث بقشور المعلومات؟

إن القداسة التي منحت للمتحدثين سببت عقدًا للصامتين حيث تقول إحدى الانطوائيات في رسالة لها: "أكبر العقبات التي واجهتني هي صوتي المنخفض وصمتي وهي غالبًا ما تكون صفة ملتصقة بالانطوائيين، الأساتذة ليس لديهم صبرٌ ليستمعوا إليّ، ويتذمرون مني ويسخطون ويقولون ساخرين: "بهذا الصوت المنخفض كيف ستصبحين أستاذة في الغد؟". شكل هذا ضغوطًا نفسية لدي خاصة عندما يأتي وقت العروض التقديمية فإن الخوف يتملكني. في إحدى الأيام قررت أن أقدم لهم أفضل ما أملك وقمت بالاستعداد جيدًا لكن لم أنل إعجابهم بسبب صوتي المنخفض فعندما انتهيت قالت لي الأستاذة: "لو أنك قمتِ بعرضه وأنتِ جالسة أفضل"، أصبحت أشعر بسوء أعمالي وأفكاري مهما فعلت وأصبحت لا أثق بها بسبب صوتي الهادئ". هكذا تندثر المواهب والأفكار فقط لأن أصحابها يمتلكون أصواتًا هادئة بالفطرة، وهكذا تندثر لأنهم لا يمتلكون علاقات كثيرة. أصبحنا نفضل الارتجالية المميتة والحديث وإن كان الكلام فارغًا.

تيار كهربائي

"يمتلك سلكًا كهربائيًا ومقبسًا، ويقول إنه لا يعمل، نسي أنه من قطع التيار"

عبد اللطيف

لا أدري كيف يفكر أولئك الذين ينتجون كتب تطوير الذات وتحديدًا عندما يتحدثون عن خلطات النجاح وكأن النجاح عبارة عن قالب واحد لا يوجد غيره. إن عجبي لا ينقضي من هؤلاء، فلا أدري ماذا يقصدون بالنجاح؟ فهل يريدون أن يصبح كل أهل هذا الكون متحدثين، وأن يملك كل فرد عددًا لا نهائيًا من الأصدقاء؟ هل يريدون عالما مليئًا بالصخب؟ إذًا من سيعمل هناك في الهدوء ومن سيغرق في الأبحاث؟ وإن كانوا يريدون من الجميع تعلم فنون التسويق، فمن سيسهر على إنتاج المنتج الذي سيتم تسويقه؟ إن كان الكل يريد أن يصبح متحدثًا كي يكون في الواجهة إذًا من سيأتي بالأفكار العظيمة التي لم تنشأ إلا في الهدوء؟ ومن سيكون خلف الكواليس ليخرج لنا أعمالًا سينمائية إن كان الكل يريد التمثيل؟

أسئلة كثيرة تؤدي إلى نفس المعنى وهو ما مدى التقدم الذي سيحدثه البشر إن كانوا مطابقين ومشابهين لبعضهم تمامًا؟ أعادتني هذه الأسئلة إلى نظرية جميلة للباحث الأمريكي مالكوم جلادويل تدعى (The Law of Few)، وفي هذه النظرية استحدث جلادويل طريقة لتقسيم البشر وقام بوضعهم في ثلاث مجموعات ولكل مجموعة أهمية قصوى لا يمكن التخلي عنها، ودون إحداها لن يكتمل العمل أبدًا. وسنذكر هنا تصنيفات جلادويل

لكن بأسماء تختلف عن تلك التي ذكرها الكاتب في كتابه[11] وسنضع الأسماء الأصلية بين قوسين:

1- التيار (Maven): هذه المجموعة تضم الأشخاص المستعدين للاعتكاف أيامًا وشهورًا وسنوات في منازلهم لكي يخرجوا بفكرة أو بحث جديد أو اختراع. لذلك يمكننا أن نعتبر جميع العلماء والمخترعين من هذه الفئة، كأديسون مخترع المصباح الكهربائي الذي قال: أن النجاح والإبداع 1% منه إلهام، والإلهام هو بوادر الفكرة التي قد تأتيك وأنت في منامك أو في هدوء أو حتى في احتفال مليء بالضجيج، لكن 99% منه لا يأتي إلا بالجهد والمثابرة والصبر وهذا تجده فقط لدى من كانت العزلة جزءًا لا يتجزأ من شخصيته كالانطوائيين مما سيساعدهم على تحمل العزلة الطويلة في سبيل بحث علمي، أو لوحة خالدة كلوحات بيكاسو الذي كان رمزًا للعزلة حيث قال: "بلا عزلة حقيقية، لا يمكنك القيام بعمل جاد"، أو في كتابة رواية يبقى صداها مترددًا حتى بعد رحيل كاتبها. ولأن الانطوائيين يتصفون بعدم الملل والكلل من العزلة فهم أكثر إصرارًا على أن يخرجوا بنتيجة نهائية من محاولاتهم لتصبح جاهزة للاستثمار ولهذا نسميهم التيّار الكهربائي.

2- السلك "Connector": عندما ينشأ التيّار في عقل ذلك الانطوائي أو الاجتماعي المنعزل[12] يجب أن يخرج بطريقة منظمة إلى النور كي لا يتبدد في الهواء ويذهب هباءً منثورًا، بمعنى أن التيّار الآن بحاجة إلى سلك ينظم خط سيّره ويجعلنا نستفيد من تلك الأيام التي قضاها الانطوائي في توليده.

The Tipping Point-11

12- هناك فرق بين الانعزال والانطواء سنوضحه في نهاية الكتاب، لذلك لا يمكن اقتصار مجموعة التيار الكهربائي على الانطوائيين فقد ينضم لها الاجتماعيون.

ولذلك فهناك أشخاص خلقوا لمهمة السلك هذه، ومهمتهم تحديدًا أن يكونوا قناة اتصال مع ممول للفكرة مثلًا، أو حلقة وصل بين الباحث وأحد المسؤولين عن مراكز البِحث العلمي؛ لذلك عادة ما يكون صاحب شخصيةالسلك من أصحاب العلاقات، ويصفهم جلادويل قائلًا: "هناك أشخاص تراهم وتُذهل من كم العلاقات التي لديهم حتى تعتقد أنهم يعرفون جميع البشر". وهؤلاء في الحقيقة يعتبرون إقامة العلاقات هواية، لكنهم يتعرضون للانتقاص سواء من قبل الانطوائيين أو من قبل الأغلبية حيث أن الكثير ينظر إليهم على أنهم فارغين ويضيعون أوقاتهم في المناسبات واللقاءات. ولكنك إن تحاورت معهم وسألتهم أسئلةً لا يحسنون إجابتها، ستجدهم يدلونك فورًا على من يعلم الإجابة. فلو كانت لديك فكرة اعتكفت عليها سنوات طوال وأثر ذلك على علاقاتك مع الناس، عليك بصاحبك الذي ينتمي إلى فئة السلك؛ لأنه قادر على إنقاذك وإنقاذ فكرتك بإيصالك إلى من يساعدك في إتمام الفكرة سواء ماديًا أو إعلاميًا أو غيره.

3- المقبس "Salesperson": المقبس هو ذلك الصديق الذي يقنعكم بأن السفر إلى هذه المدينة أفضل من تلك وهو من تشعر أن كلامه يمتلئ بالمنطق والجاذبية ودائمًا ما ينتهي النقاش لصالحه مهما كان رأيه، لذلك نستطيع أن نسمي أفراد هذه المجموعة المسوقين؛ لأنهم سيجعلون المنتج أكثر جاذبية وأكثر حضورًا وهم من سيضعون الفكرة الأم في شكلها النهائي. وأفراد هذه المجموعة أيضًا يتم استنقاصهم وينعتهم الكثير بأنهم متحدثون غوغائيون لا أكثر، لكنك إن رأيتهم بعين محايدة ستدرك أهميتهم. ولتدرك أهميتهم تخيّل لو جاء صديقك بفكرة وجئت أنت بوسائل الاتصال للأشخاص المتوقع دعمهم للفكرة، من سيقنعهم بجدواها سوى المقبس؟

خلاصة ما مضى أننا لو حاربنا العزلة سنفقد التيّار ولو حاربنا الذين يقضون يومهم في تكوين العلاقات سنفقد السلك الموصل ولو حرمنا المهتمين بدورات الخطابة سنفقد المقبس ولن يعود هناك فائدة لكل ما مضى، لذلك علينا أن نحترم جميع الشخصيات وندعها تعمل كيفما تريد، ولا نجبر أحدًا على التحول إلى شخصية أخرى، وعلينا ألا نتصيد السلبيات، فكل مجموعة لها سلبيات وكل ما علينا الدعوة إلى معالجة هذه السلبيات والتقليل منها، أما محاولة تمجيد مجموعة على البقية فسيجعلنا نمتلك قدمًا واحدة وبهذه الطريقة لن نستطيع السير. ولأننا في هذا الكتاب نتحدث عن فئة الانطوائيين وعن فوائد العزلة والهدوء سيأتي الفصل الثالث كاملًا في تبيان مزايا فئة التيّار الكهربائي والتي لولاها لافتقدنا أشياءً كثيرة.

الفصل الثالث

كنوزٌ لا تُرى

"كن وحيدًا، فهذا يعطيك وقتًا للتأمل، يعطيك وقتًا للبحث عن الحقيقة، ويجعل حياتك ذات معنى"

ألبرت آينشتاين

الكنوز عادة ما تخبأ في الكهوف وأزقة المدن ومخازنها، لكنها أحيانًا تكون ملقاة على شوارع المدن الرئيسة لكن لا أحد ينتبه، ظنًا أنها ليست كنوزًا. وهذا ما يحدث في مدينة الانطوائيين المليئة بالكنوز التي ندفنها جهلًا وظلمًا بغير علم، حيث اعتقدنا عزلتهم مرضًا ولم نلتفت إلى تلك القدرات التي يملكونها ولا إلى ما يحدث في تلك العزلة. وهكذا أصبح الطريق إلى الانطوائيين مسدودًا بسبب تلك الخرافات التي ترسبت في عقولنا وكونت صخورًا تمنعنا من إدراك جمالهم ومزاياهم، ولعل الحجارة تبدأ في الانجلاء بمعرفتنا أن نيوتن وآينشتاين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه ولم يكن لهم الإسهام في تطوير العلوم إلا عبر عزلتهم حيث أنهم كانوا انطوائيين بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، لكننا نتغنى بإنجازاتهما ولا نتغنى بشخصيتيهما رغم أنها السبب الرئيس لاكتشافاتهما ونظرياتهما. العزلة هي منبع الإبداع على مر التاريخ كما ثبت في كثير من الأبحاث، وأبرزها دراساتٌ تمت في جامعة كاليفورنيا قاموا فيها بجلب رسامين وعلماء رياضيات وعلماء في العلوم الطبيعية ومهندسين وكتاب بشرط أن يكون لهم أثر كبير في مجالاتهم، وبعد سلسلة من الاختبارات وبعد أن تمت مقارنتهم مع أولئك المتخصصين الذين لم يتمكنوا من التأثير في مجالاتهم رأوا أن الأكثر تأثيرًا غالبًا ما يكونون انطوائيين أو اجتماعيين اعتزلوا الناس فترة

من الزمن. بل ووجدوا أن الأكثر تأثيرًا غالبًا ما يصفون أنفسهم بأنهم كانوا خجولين في صغرهم وأنهم يتوقون للعزلة والاختلاء بأنفسهم، وهذا لا يعني أن الانطوائيين أكثر ذكاءً من الاجتماعيين؛ لأن الأبحاث تثبت أنه لا يوجد علاقة بين انطوائية الانسان وذكائه. لكن الفرق الذي جعل الانطوائيين أكثر تأثيرًا هو أن الأعمال الخالدة والمؤثرة تحتاج عزلة وشخصًا ذا بالٍ يصبر عليها لينتج عملًا مبدعًا سواء كان عملًا بحثيًا أو روائيًا أو حتى لوحة رسام.

لكن كيف لنا أن نستخرج الكنوز من الانطوائيين طالما أننا لسنا مقتنعين بوجودها ولا نعطي أصحابها احترامًا كافيًا يجعلهم يقبلون علينا ويخبروننا بما لديهم من أفكارٍ ومواهب فذة؟ إن الانطوائيين مدن مليئة بالمواهب والأفكار والفلسفة والاختراعات ولكنهم يريدون من يحترم خصوصيتهم ويقدر أن الانطوائية هي سبب إبداعهم وليست سلبية تعيبهم! فكلما حصل الإنسان، أي إنسان، على الاحترام كلما أصبحت البيئة أخصب للإبداع. إن كنوز الانطوائيين متنوعة فقد تكون أناملَ ذهبية ترسم آيات الجمال وكأن الطبيعة تُحاكى بأناملهم، وقد نكون على موعد مع مبدع على طراز الرسام الانطوائي فان غوخ، الرسام العظيم الذي عانى اضطهادًا يعانيه كثير من الانطوائيين حولنا حيث كان عاكفًا على رسوماته أكثر من أي شيء آخر وكان الناس يتهمونه بأنه مريض نفسي مليء بالكآبة لا يحب البشر وأن رسوماته طلاسم لا أكثر، حتى ضاق بحدة النقد وأرسل إلى أخيه قائلًا: "من أنا في نظر الناس؟ تافه وغريب أطوار؟ شخص لا يمتلك أي مكانة في المجتمع؟ إنهم يرونني في مرتبة وضيعة ولا أمتلك أي مشاعر نحو الحياة والبشر، لكنهم سيرون من خلال أعمالي كيف أني أحمل في قلبي ما لا يحملون".

وما أشبه رسالة فان غوخ بتلك الرسالة التي جاءتني من انطوائية حيث

تقول: "لا أحد يفهم رسوماتي والكل يقول أنها عبث ومضيعة لوقتي وكان علي أن أقضيه مع صديقاتي بدلًا من الرسم لكني أشعر بأن رسوماتي تمثلني وتصف مشاعري وفيها كثيرٌ من البوح". بعد أن قرأت رسالتها طلبت أن ترسل شيئًا من رسوماتها وكانت غاية في الإبداع والروعة ولا أقول أنها فان غوخ مصغر لكن لمَ لا تكون فان غوخ نفسه بعد فترة من المران وقليل من الاحترام لشخصيتها وعزلتها؛ فلولا عزلة فان غوخ لما رأينا أعماله تباع بالملايين بعد وفاته. لكن هي عادتنا، لا نشكر الشخص على إبداعه إلا بعد وفاته فلو عدنا إلى زمن فان غوخ لرأينا استنكار من حوله لرسوماته ووصفهم لها بالكئيبة لأن صاحبها غارق في العزلة، وكادوا أن يقتلوا موهبته بكثرة انتقادهم واستحقارهم لشخصيته.

ولا تقف مزرعة العزلة على إنتاج الرسامين بل إن كثيرًا من الروايات والأعمال الأدبية التي نستمتع بها تعتبر من ثمراتها، كسلسلة (هاري بوتر) التي قامت بإبداعها الانطوائية ج. ك. رولينج، ونستطيع التحقق من انطوائيتها عن طريق مقولاتها حيث قالت في أحد التصاريح: "أنا شديدة الانطوائية". وقد يسأل سائل ما علاقة العزلة بإنتاجها لسلسلة هاري بوتر والجواب أن هذه السلسلة تتكون من ثلاثة آلاف ورقة فكيف لشخص أن ينتج هذا الكم من الصفحات بشكل متقن وساحر دون أن ينعزل؟

وقد تتجول كثيرًا في مدينة الانطوائيين ولا تجد أنامل ذهبية ولا أقلامًا تنسج من الخيال تحفًا، لكنك ستجد مفكرًا عظيمًا ينسج أفكاره في رواية أو كتابٍ فكري يغير أمة كاملة. فلولا الانطواء لما أبدع جورج أورويل الذي أنتج روايات خالدة جميعها يحمل كمًا لا يصدق من الأفكار، وكتب أعظم أعماله (رواية 1984) في حالة لا تصدق من العزلة ومع ذلك اختيرت ضمن

أفضل مئة رواية إنجليزية وترجمت إلى أكثر من ستين لغة، تحدث فيها الكاتب عن مصير العالم اعتمادًا على تفكيره وتأملاته وهو في معزله، ويقال أن أغلب ما ذكر في الكتاب يحدث الآن بشكل أو بآخر وهناك أشياء يتوقعون أنها ستحدث. لم يكن جورج المنعزل مريضًا أو جاهلًا بالأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية بل كان يتأملها عن بعد، وقد تكون هذه ضربة قاضية لمن يتهم الانطوائي بالمريض النفسي الذي لا يفقه ما يدور حوله. إن الانطوائي كما قال كارل يونج يعيش داخل الأفكار ويفككها وينظر لأدق التفاصيل ويقرؤها، ولذلك تجد السواد الأعظم من المفكرين عبر التاريخ مروا بفترات من العزلة.

أما على صعيد العلم فما إن تقرأ سيرة عالم عظيم إلا وتجد العزلة جزءًا منها والسبب الرئيس في عظمته، فلو لم يكن نيوتن انطوائيًا لما ترك أصدقاءه وجلس مستلقيًا تحت شجرة حتى سقطت التفاحة، ولو لم يكن ذا شخصية انطوائية غارقة في الأفكار لما اهتم لسقوط التفاحة ولا تأمل أسباب السقوط، ولو لم يكن شديد العزلة لما استطاع أن يغوص في أعماق الأرض بحثًا عن الأسباب، ولو لم يفرغ نفسه لما وضعت أسس علم الفيزياء التي ما زالت قائمة حتى الآن. والمدهش في الأمر أن علم الفيزياء قائم برمته على انطوائيين فحتى العالم الأشهر والعقل الأذكى على مر التاريخ آينشتاين كان انطوائيًا إلى درجة يستحيل معها وصفه بالاجتماعية كما تشير مقولاته حيث أنه يكره الشهرة والأضواء ويتغزل بالانطوائية صراحة: "كن وحيدًا، فهذا يعطيك وقتًا للتأمل، يعطيك وقتًا للبحث عن الحقيقة، ويجعل حياتك ذات معنى". وتصديقًا لمقولة آينشتاين يجب أن يكون أغلب أساتذة الجامعات من ذوي الشخصية الانطوائية؛ لأنهم يمتلكون وقتًا أكبر للتأمل والبحث والاستذكار، وهذا ما

أثبتته الأبحاث عندما أشارت إلى أن أغلب أساتذة الجامعات انطوائيين.

هاهي العزلة تغدق علينا من خيراتها، فإن كان الاجتماعيون هم المترأسون للمجالس والمناصب القيادية لامتلاكهم الكاريزما ومهارات التحفيز، فاعلم أن الانطوائيين هم قادة العلم والفن. ولا نستطيع أن نستهين بالعلم فبه وعليه تقوم الدول واقتصادها وله تأثير كبير على المجتمعات، وما الثورة الصناعية ثم التكنولوجية التي ربطت العالم بأسره إلا دليلٌ على تأثر الدول والمجتمعات بالعلم وتحديدًا باختراعات خرجت من العزلة كأجهزة أبل ومحرك البحث قوقل، أما الفن فبه يستأنس البشر، شكرًا للعزلة على الروايات التي نقرأها واللوح التي نمتع بها نواظرنا.

العقاد متوحدًا

"أنتِ متوحدة، هذا ما يقُلنه قريباتي لي عندما لا أحضر مناسبات كثيرة"

رسالة إلكترونية

ما زلت مترددًا بين ربما وربما، فلا يوجد شيء أستدل به على أن العزلة تولد تيارًا فعلًا حتى أخذتني الذاكرة إلى أحد أدباء عصر النهضة في مصر عباس محمود العقاد الذي اشتهر بسلسلة العبقريات التي تحدث فيها عن سيدنا المسيح وسيدنا محمد عليهما أتم الصلاة والسلام ثم ذهب إلى دراسة عبقرية الخلفاء الراشدين وأتبعهم بخالد بن الوليد وتحدث عن معاوية وعمرو بن العاص. مررت بهذه الكتب وهذا الاسم كثيرًا عندما كنت صغيرًا لكن جميع كتبه التي رأيت كانت دينية في عناوينها واعتقدت أنه باحثٌ ديني، لكن اعتقادي لم يكن صحيحًا فهو عبارة عن موسوعة حيث امتد موجه إلى علوم كثيرة حتى شعرت أنه بحر بلا شاطئ. علمت بهذه الثروة التي يحملها العقاد في عقله عندما قرأت سيرته الذاتية (أنا) التي كتبها بنفسه وطبعها طاهر الطناحي بعد وفاته ورأيت فيها أن العقاد ليس باحثًا دينيًا فقط ورأيت فيها عقادًا يستحق أن نؤلف فيه كتابًا نسميه عبقرية العقاد.

رأيت شخصًا ملمًا بجميع العلوم، يقرأ في كل المجالات، بل ويكتب في مجالاتٍ شتى، فعندما تقلب مؤلفات العقاد سترى كتابًا عن أدب شكسبير الأديب الأشهر في تاريخ إنجلترا وستجده متجاوزًا للأدب الإنجليزي ذاهبًا ليبحث في عقائد المفكرين ويدرس شخصياتهم كما فعل مع غاندي القديس الهندي حيث ألف فيه كتابًا يعنى بدراسة شخصيته وفكره. ويتنقل العقاد من

الأدب إلى الفكر والفلسفة إلى أن يصل إلى ابن سينا العالم العربي الشهير ويؤلف فيه مؤلفًا كاملًا يدرس فيه شخصيته وإنجازاته وإسهاماته في العلم، ولم يقف العقاد إلى هذا الحد من التنوع بل تجاوزه ليكتب في التاريخ فقد كتب في مؤسس الدولة السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن وهو أيضًا شاعرٌ يكتب الشعر وكتب كتبًا في الشعراء كابن الرومي وأبي العلاء المعري. عندما ينتج شخص واحد هذا الإنتاج الضخم الذي تجاوز السبعين كتابًا وبكل إتقان، فلا يوجد تفسيرٌ لذلك إلا أنه فرغ حياته للقراءة والبحث وأنه يمتلك ذهنًا صافيًا خاليًا من ضجيج الحياة وبمعنى آخر لا يمكن للعقاد أن يفعل كل هذا إن لم يكن انطوائيًا بالفطرة. وها هو العقاد يصف نفسه بالانطوائي في كتابه (أنا): "لقد ورثت طبيعة الانطواء عن أبي وأمي، فلا أمل الوحدة وإن طالت، إني أقضي بمفردي أيامًا والناس لا تقدر على قضاء ساعات أو لحظات، ولكنني أشغل وحدتي بالقراءة والكتابة. وإذا كنت في عزلة وانطواء عن المناسبات، فإني لست في عزلة عن أصدقائي وإخواني".

عندما تقرأ هذه السطور فإنك تستدعي كل أحاديثنا في الصفحات الماضية بما فيها من نتائج أبحاثٍ وتحليلات لعلماء النفس. فإن تحدثنا عن الوراثة فهو يشعر بأنه ورث الانطواء عن أبيه وأمه اللذين كانا انطوائيين، وإن ذهبنا إلى مسألة الانطوائي الذي يشحن نفسه بعيدًا عن المناسبات فسنجدها في حديث العقاد عندما قال أنه يشغل وحدته بالقراءة والكتب ويشعر بأنه اجتماعي بين الكتب كما هي طبيعة الانطوائيين الذين يشعرون بأنهم يجتمعون مع أشيائهم. إن العقاد ولد انطوائيًا، وحف ببيئةٍ انطوائية حتى استطاع أن يصبر على الخلوة بنفسه لمدة أيام، لا يوجد حوله سوى أقرب أصدقائه وإخوته والأطفال. فهل سنصف العقاد بما يصفون تلك الفتاة؟ هل سنقول أنه مريض

نفسي ومتوحد لأنه لا يخالط الناس كثيرًا؟ أخبروني من سيكتب لنا كل هذه الكتب التي نتسلى بها الآن ونزداد بها علمًا والتي تأخذنا إلى شخصية الخلفاء الراشدين والأنبياء والقادة، من سيكتب لنا كل هذا لو كان العقاد هاويًا للاجتماعات غير محب للعزلة؟ أم أننا نمارس عادتنا المضحكة بألا نبكي على شخص حتى يرحل، لماذا نبكي عبقرية العقاد ونبتهج لذكرى ميلاده أو نخلد ذكرى رحيله ونحن نهمل ألف عقادٍ حولنا؟

لماذا نفضل أن يخرج أطفالنا وأبناؤنا للقاء الآخرين على أن يمسكوا قلمًا ويخطوا أفكارهم، أليس من الممكن أن يخرج لنا منهم مفكر وأديب؟ إن العقاد الذي نتباهى به بدأ كتاباته الأدبية وهو في السادسة عشرة من عمره بل إنه كتب أول قصيدة في الحادية عشرة من عمره، فلماذا نفضل لعب أطفالنا على قراءتهم لكتاب بحجة أنهم لن يستمتعوا بطفولتهم! لماذا نشعر أن ابننا المراهق سيدخل في متاهة إن أمسك بكتاب فلسفي ونصل إلى درجة أن الأب يفضل ذهاب ابنه في اجتماع فارغ على أن يمسك بكتاب خشية عليه من العقد كما يعتقد. إن العقاد عاش بروح رجل كبير في عز طفولته وشبابه فلماذا نغضب عندما نرى أبناءنا وأصدقاءنا يعيشون بفكر أعلى من أقرانهم بحجة أنهم لن يستمتعوا بالحياة؟ ومن يحدد متعة الحياة سوى الشخص نفسه؟ إذا كان أحدهم يستمتع بالتجمعات والأفلام والسفر فهناك أشخاص يستمتعون بعزلتهم مع الكتب والألوان وغيرها من الهوايات. كان العقاد رغم صغر سنه غارقًا في مكتبته ولم تكن كتبًا اعتيادية بل كان غارقًا بين دفاف الكتب العلمية والفلسفية ويشعر بمتعة قصوى حتى قال: " لا توقظوني عندما أقرأ كتابًا". ها هو العقاد يشبه قراءته للكتب بالأحلام وبمنامٍ على سرير صنع من الشجر، هكذا نشأ المفكر ولولا العزلة لما نشأ، فشكرًا لعزلة صنعت لنا عباقرة!

عندما تبحر في سيرة العقاد لا يمكنك التوقف عن الانبهار، فلم يكن كاتبًا مفكرًا وحسب بل كان جامعًا لكل أنواع الذكاء، وتشعر في كل حرف تقرؤه أنه استثناء. فمن المتعارف عليه أن الأديب والباحث الذي يكتب في علوم كثيرة عادة ما يكون مكتفيًا بذلك ولا يمتلك قدرات أخرى كالذكاء الكمي إلا أن العقاد أبى أن يكون اعتياديًا. يقول العقاد: "في إحدى المرات سألت مدرس الرياضيات عن مسألة معقدة الحل فحاول حلها ولم يستطع ثم قال إنها مستحيلة الحل، لكني ذهبت إلى المنزل وقضيت يومي كله في حلها ومراجعتها مرة ومرتين حتى تمكنت من حلها وراجعتها لأتمكن من حلها أمام الطلاب في اليوم التالي!". إن توقفت لتنبهر من مقدرة العقاد الرياضية، أتمنى منك التحرك لنتعرف على السبب وراء ما يفعله هذا العبقري؟ بأي قوة يندفع العقاد إلى كل هذه الصفات؟ مفكر، كاتب، باحث وبارعٌ في الرياضيات! إنه مدفوع بقوة الانطواء، قوة الهدوء والعزلة، فكيف لشابٍ أن يصبر على محاولة حل مسألة رياضية قال عنها الأستاذ أنها مستحيلة الحل إلا إن كان معتادًا على العزلة ولا يجذبه شيء بالخارج.

هذه هي العزلة، إن كانت بعيدة عن العقد النفسية والأسباب الدنيوية ستكون نقطة قوة ودافعًا لصاحبها وتجعله أكثر تحكمًا في نفسه وذاته عند المذاكرة وتحثه على المثابرة كما يصف العقاد نفسه: "أميل إلى التنظيم والمثابرة". وهذه المقولة تحديدًا تعكس نتائج دراسات عدة أشارت إلى أن الانطوائي أكثر تنظيمًا في الحل من الاجتماعي وأكثر صبرًا على المحاولة في حل مسألة معقدة. وهذا ما جعل العقاد أكثر قدرة على حل هذه المسألة من أصدقائه فهو انطوائي وغير مستعجل على انهاء المسألة لأنه متفرغ لحلها ولا يشغل باله شيء آخر كما يشغل أصدقاءه.

نريد أن ننسى ما قاله العقاد عن نفسه بأنه انطوائي ونريد أن نكتشف شخصيته بأنفسنا قياسًا على تحليلات علماء النفس، لو عدنا إلى أسئلة إذابة الجليد سنرى أن العقاد لا يجيدها ولا يقيم علاقات عميقة حتى يشعر بأن هناك رابطًا وثيقًا بينه وبين الطرف الآخر، حيث يقول:" إني لا أميل إلى التوسط في العلاقات، فلا أعرف إنسانًا نصفه صديق ونصفه عدو، وإنما أعرفه صديقًا مائة في المائة، أو عدوًا مائة في المائة". لم يكن العقاد مهتمًا بالكم بل بالكيف في علاقاته لذلك لم يكن لديه علاقات كثيرة وبهذا نستطيع الجزم بأن العقاد كان انطوائيًا، ولك القرار في وصفه متوحدًا أم لا عندما لا يذهب للاجتماعات كثيرًا، وإن قررت أن تصفه بالتوحد، ففضلًا لا تقرأ له كتابًا واحدًا، فإنها جميعًا من ثمار العزلة!

أما الفتاة التي أرسلت رسالتها متأثرة من حديث الناس عنها بأنها متوحدة لعدم ذهابها إلى مناسباتهم، لدى العقاد رسالة لها: "أعترف أنني مطبوع على الانطواء، لكني خالٍ من العقد النفسية الشائعة بين الكثيرين من أندادي في السن ونظرائي في العمل وشركائي في العصر. ليس كل انطواء كبتًا للنفس أو كتمانًا لسر من الأسرار الخفية. إن هناك فارقًا كبيرًا بين السكوت خشية الكلام والسكوت لأنك لا ترى حاجة إلى الكلام. فإن سكت الإنسان خاشيًا فهنالك عقدة نفسية أو مشكلة ما، وإن سكت لأنه لا يشعر بالحاجة إلى الحديث فلا عقدة هناك ولا كتمان، إنه صامت لأنه لا يحتاج إلى الحديث لا أكثر".

كطفل صغير

"كل طفل عبقري حتى يبلغ العاشرة"

ألدوس هكسلي[13] – خوارق اللاشعور

منذ بدأت القراءة وأنا أقرأ في كل حين قولًا عن ذكاء الأطفال بداية من تغني ألدوس هكسلي بعبقرية الأطفال، وصولًا إلى قول المعلم الأمريكي جون هولت: "ليس علينا أن نجعل أطفالنا أذكياء، كل ما علينا فعله أن نكف عن جعلهم أغبياء!"، هل من المعقول أن تكون هناك عبقرية لدى الأطفال ونقوم نحن بتدميرها جهلًا؟ لم أعر الأمر اهتمامًا حتى قرأت كتابًا يدعى "Think Like A Freak" وهو يدعو إلى التفكير بشكل مختلف عن الطريقة الاعتيادية. وفي إحدى فصول الكتاب يتحدث الكاتب عن تفكير الأطفال ومميزاته ومدى أهمية أن نفكر كالأطفال لنأتي بحلول مبتكرة لم ينتبه لها أحد.

هناك عاملان يتفق الباحثون على أنهما أبرز نقاط قوة الأطفال، أولهما طرح أسئلة لم يسألها البقية؛ لأنهم يعتقدون أنها سخيفة وهي في الحقيقة تحمل الحل للمشاكل الكبرى. فلو أتينا إلى متخصص في خفة اليد سنجد أنه يستطيع خداع الكبار أكثر من الصغار؛ لأن الكبار يحاولون ملاحظة أشياء كبيرة فلا يرون فيها حلًا، وتراهم يضعون جل تركيزهم على نقطة واحدة أوهمهم الساحر بأنها مربط الفرس. أما الأطفال فتركيزهم أكثر عشوائية ولأنهم لم يتعلموا شيئًا بعد تراهم ينظرون إلى الأشياء البديهية التي يستبعدها الكبار وتكون هي مربط الخدعة. بمعنى آخر، إن الأطفال يتميزون بالنظر من زوايا

13- ألدوس هكسلي كاتب وروائي إنجليزي وكتب العديد من القصص القصيرة والأفلام.

ضيقة أو بتقسيم المشاكل إلى أسبابها الصغيرة ويقومون بحل كل مشكلة صغيرة بمفردها، وهذا ما لا يفعله الكبار فدائمًا ما نحاول إيجاد سببٍ واحدٍ لنحل به المشكلة. وحتى نفهم ذلك بشكل أكبر سنأخذ مشكلة حدثت في الصين حينما رأوا أن الأطفال يحققون درجات متدنية وحاولوا إصلاح التعليم، قام فريق من الخبراء بالتفكير كالأطفال وقالوا لعل المشكلة في نظرهم! وعندما فحصوا النظر وجدوا أن 40% من الطلاب الذين يحتاجون نظارات طبية لا يستعملونها فقاموا بتوزيع نظارات طبية قيمة الواحدة منها لا تتجاوز خمسين ريالًا سعوديًا، وكانت النتيجة أن درجاتهم تحسنت بنسبة 25% إلى 50%.
ماذا لو نظرنا إلى كافة مشاكلنا بالطريقة نفسها؟ بدلًا من أن نغير مناهجنا في كل مرة وتتكلف ميزانية الدولة في ذلك ما تتكلف دون أي تطوير فعلي.
بالتأكيد حل الجزئيات الصغيرة لن ينهي المشكلة كلها في حالة الصينيين لكنه على الأقل ألغى ربع إلى نصف المشكلة وعندما يبحثون عن بقية الأسباب سيتمكنون من حلها تمامًا، فما مشاكلنا إلا مشاكل صغيرة متراكمة.[14]
ولو عدنا إلى مسألة الساحر فسنجد أن الكبار ينخدعون بواسطة كثير من السحرة في وقتنا هذا ونجد أن هناك أفرادًا يتحكمون بالآراء ويوهموننا أن السبب وراء مشكلة ما هو ذلك الشيء، فيقوم الكبار بإقصاء أي سبب آخر؛ لأن المتحكم بآرائهم لم يتحدث عنه! وهذا لا يحدث مع الصغار؛ لأن تفكيرهم لا يحده شيء ولا يعرفون شيئًا اسمه بديهة وهم متفرغون للسؤال عن كل شيء. ومما يساعد الأطفال على الاستقلالية، أنهم لم يتعرفوا بعد على التيارات الفكرية ولم تأخذ العادات والتقاليد حيزًا من عقولهم ولم تضيق

14- Think Like A Freak، أقترح أن تكون هناك دورات للمسؤولين مشتقة من هذا الكتاب الرائع لأنه يوسع الآفاق التحليلية.

من زاوية رؤيتهم، لذلك نجد أن الأطفال أكثر حيادًا ونجدهم لا يأبهون بردود الفعل لأنهم لا يعرفونها أصلًا، ولذلك يفقد الطفل عبقريته بعد العاشرة لأن الترسبات والقيود وتأثره بمن حوله تزداد كلما كبر ويبدأ بإلغاء كثير من الأفكار والحلول كي يتجنب صدامًا مع أستاذه الذي ينتمي لتيّار معين وكي لا يغضب أباه عندما يخترق بسؤاله عن أحد التقاليد المقدسة ويبدأ تفكيره بالاضمحلال.

أما العامل الآخر الذي يميز تفكير الأطفال فهو التأمل العميق في الأشياء والسرحان والانهماك في العمل الذي يحبونه وهم لا يجاملون في ذلك أحدًا، فعندما ينجذب الطفل لشيء ما فإنه سيذهب إليه وسيترك كل ما حوله، إن هذا التأمل يفتح للطفل آفاقًا كبيرة وتجعله يكتشف ما لم ينتبه له الكبار رغم أنهم رأوا ذلك الشيء مرات عدة لكنهم لم يتأملوه. إن للتأمل الطفولي قوة خارقة حينما يطبقه الكبار ولعلنا نجد في الطبيب الفرنسي ستيفن ترينر مثالًا كافيًا. هذا الفرنسي كان طبيبًا للنساء والولادة في نهايات 1870م، كانت وفيات المواليد مهولة وكان موتهم أكثر المشاكل التي أشغلت العالم في وقتها حتى قرر ستيفن أن يأخذ إجازة من المستشفى ليقوم بزيارة لمدة يوم كامل إلى حديقة الحيوان. أخذ الطبيب يتجول كالأطفال يراقب صغار الحيوانات وهي تختبئ في الأماكن الدافئة هروبًا من البرد في بداية ميلادهم وكيف أن الأمهات يحاولن توفير الدفء لها مما استرعى اهتمامه وجعله يربطه بعدم وجود وفيات بين صغار الحيوانات كما يوجد لدى الإنسان. فقال لم لا يكون غياب البيئة الحاضنة لمواليدنا هو السبب في وفاتهم؟ وكان هذا التساؤل والتأمل والاستغراق الطفولي بداية اختراع الحضانات التي أسهمت في خفض معدل الوفيات بين المواليد إلى نسبة كبيرة! ترك ستيفن الأسباب الكبيرة التي

يتناقش حولها كبار الأطباء وترك عمله وذهب في نزهة لحديقة الحيوان متأملًا كالأطفال وهناك وجد الفكرة التي ساهمت في تقليل الوفيات.

حان وقت ربط ما مضى بالانطواء، ألم يقل عالم النفس كارل يونج أن الانطوائيين يعيشون داخل الأفكار ويسألون عن التفاصيل الصغيرة؟ إن الانطوائيين عندما يفكرون بعمق هم في الحقيقة يتحولون إلى أطفال. ودائمًا ما يكون الانطوائيون مبدعين أكثر في التفكير الطفولي؛ لأنهم يعيشون ساعات استقلال واسترخاء أكبر من تلك التي يعيشها الاجتماعيون، فهم عندما يقرؤون كتابًا أو يفكرون لا يقاطعهم شيء. وهذا ما تغزل به العقاد الانطوائي عندما قال: "لا توقظوني عندما أقرأ"، لا يريد أن يوقظه أحد من الانهماك والبحث في أدق التفاصيل، لا يريد أن يوقظه أحد من تأمله الذي يشبه النوم في عمقه. إن طفولة العقاد كانت مليئة بالدلالات على ميلاد مفكر عظيم لكن من يدرك ارتباطها بالانطوائية؟ يقول العقاد: "كنت في طفولتي أحب مراقبة الطير والحيوان في الفضاء حتى أنني مرة من المرات تتبعت السرب حتى ضللت الطريق ولم أستطع العودة إلى المنزل إلا بعد عناء!" وهذا الطفل لم يندثر مع مرور السنوات بل ما زال يسكن العقاد حيث يقول أنه يحمد الله على الساعة التي ينام فيها الجميع، لا أحد في الطريق ولا في البلاد كلها! إلى الدرجة التي تجعله يستيقظ قبيل الفجر كي يتأمل الكون الهادئ من نافذته. العقاد ليس طفلًا كبيرًا بل إنه انطوائي وهذه إحدى نقاط قوة الانطوائيين، إن الانطوائيين يتشابهون مع الأطفال في قلة القيود التي تمنعهم من التفكير وطرح الأسئلة الصغيرة؛ لأنهم أقل اختلاطًا بالناس فهم أقل تأثرًا بالعادات والتقاليد وأقل تأثرًا برأي من حولهم وهذا منطقي جدًا. فمن الطبيعي أن يتأثر الإنسان بشكل أكبر عندما يختلط بالناس أكثر وهذا لا يعني أن الانطوائيين لا يتأثرون! لكنهم يستطيعون التخلص من هذه الآثار عندما يختلون بأنفسهم

ويدخلون بعمق في أفكارهم ويفككونها ويتخلون عن مواطن الانحياز فيها. قلة تأثر الانطوائيين بالمحيط تجعلهم أكثر عبقرية كما قال الفيلسوف الألماني شوبنهور: "كلما قل تقليد الإنسان للآخرين كلما زاد عبقرية" وختم تعريفه للعبقرية بقوله: "كلما كان الإنسان أكثر اجتماعية أصبح أقل عبقرية".

وكالعادة يقوم الأهالي جهلًا بنسف هذه القوى، فنحن لا نجعل الأطفال أغبياء فقط، بل وندمر الانطوائيين، إن الأهالي يحاولون قدر المستطاع قتل الاختلاء بالنفس لدى الانطوائيين كما يقتلون أي سرحان يجدون فيه أطفالهم وأيما إبداع يدمرون بأفعالهم! يقول علي الوردي: "إننا نفسد عبقرية الطفل عندما نؤنبه لأنه لا يلتفت إلينا بسرعة، إننا عندما نناديه نفسد عليه تفكيره واستغراقه الجدي المبارك فيما بين يديه". ولم يسلم العقاد من السلوك ذاته حيث يحكي أن من حوله كانوا يصفونه بالطفل المخبول لأنه يبقى صامتًا متأملًا في الكون، وعندما كبر العقاد قال ردًا عليهم: "إن حركة الطائر وهو يتقدم ويتأخر أو يأكل ويشرب أو حتى يغني ويلعب، مسألة ذات خطر وليست سخرية لمن سخر". وذات الاستهزاء تكرر لداروين عندما قال والده أنه غبي ولا يهمه سوى صيد الكلاب والتأمل فيها وإنه لن يصبح إلا عارًا على عائلته، لكن في النهاية أصبح داروين أشهر علماء القرن العشرين. الآن أستطيع أن أقول لك بكل ثقة إن كان لديك طفلٌ أو انطوائي حالم فاحمد الله، فقد يكون عالما أو مفكرًا كالعقاد!

كفاقدٍ للوعي

"الإبداع ابن العزلة فلا تقتلوها"

عبد اللطيف

إذا كان التخلص من القيود والاختلاء بالنفس والتأمل ينتجون لنا مفكرين، فماذا عن فقدان الوعي بكل قيوده؟ إن الأطفال يستفيدون أحيانًا من فقدان الوعي لكن ليس بالشكل المطلوب؛ لأن الاستفادة منه تحتاج إلى مخزون معرفي وهذا لا يتوفر لدى الطفل. يستفيد من غياب الوعي والاسترخاء الشخص الذي قضى وقته قارئًا أو ممارسًا لهوايته حتى تنبثق من خياله الأفكار العظيمة بشكل مفاجئ وهو في لحظة استرخاء أو منام أو لحظة أدائه لعمل روتيني لا يتطلب أي تفكير، وهذه الأفكار توصف بهدايا اللاشعور، ونقصد بغياب الوعي أن يترك الإنسان التفكير لعقله الباطن ويقوم بتعطيل العقل الواعي.[15] ينقسم العلماء في تعريفهم للعقل الباطن إلى قسمين، فجزء يقول أنه مقر الرغبات المكبوتة والجزء الآخر يقول أنه مهبط الوحي والإلهام ومنبع العبقرية وهذا ما يهمنا.

استعمال العقل الباطن مرحلة ما بين الطفولة والرشد حيث أنك بحاجة إلى خليط من عدة صفات كي تفعل عقلك الباطن. أولها أن تمتلك اهتمام الطفل وتأمله بالأشياء التي يحبها واستغراقه فيها دون دافع غير الشغف، ويجب أن يكون حبك لما تعمل هو الباعث الوحيد، وهنا فقط سيأتي الإلهام، أما إن كنت تعمله للخلاص منه ولاستيفاء مرتبٍ نهاية الشهر فلن يأتيك الإلهام

15- يمكنك الرجوع إلى كتاب خوارق اللاشعور للمفكر العراقي علي الوردي إن أردت أن تقرأ تفاصيلًا عن العقل الباطن.

أبدًا. إذا كنت تريد الإلهام فعلًا، عليك أن تنكب على المسائل لأنك تحبها أو لأنك تريد حلها بأي طريقة وليس لأنك تريد الانتهاء من واجب منزلي يثقل كاهلك، أو أن تنكب على الرسم كطفل لا يريد أكثر من أن يمارس هوايته ليتجلى فيها. أما ثاني الصفات الباعثة للإلهام فهي أن يكون لديك تراكم معرفي إن كنا نتحدث عن علم من العلوم، وتراكم ساعات المران إن كنا نتحدث عن فن كالرسم. وقد تحتاج إلى تراكم معرفي ولغوي حتى تنتج نصًا مبدعًا إن كنت تهوى الكتابة وهذا ما تحدث عنه علي الوردي فقال: "إن الكاتب يقوم بالقراءة حتى يتكون لديه مخزون عالٍ، وبعد ذلك ما إن يمسك بورقته إلا وتنهال الأفكار عليه". ويستطرد قائلًا: "كلما حاولت التركيز في عملية الكتابة سيقل الإبداع في النص، عليك أن تكتب كل ما تريد يدك أن تكتبه ثم عد إلى النص وأزل منه ما تشاء". هذه ليست من فلسفات الوردي وحده بل هي حقيقة تحدث عنها كثير من الكتاب على رأسهم الكاتب الأمريكي بوكوفسكي حيث قال: "إذا لم تخرج الكلمات منك كانفجار رغم كل شيء، لا تكتب. إن لم تخرج دون سؤال من قلبك وعقلك وفمك وأحشائك، لا تكتب. إن كنت تحتاج أن تبقى منحنيًا لساعات باحثًا عن كلمات، لا تفعلها. إن كنت ستكتب لأجل المال والشهرة، لا تفعلها. إن كنت ستكتبها ألف مرة، لا تفعلها. إن كنت ستقلد شخصًا آخر، لا تفعلها. افعلها فقط إن كانت تخرج منك كالصاروخ، إن كان توقفك عن الكتابة سيقودك للانتحار، حينئذٍ ابدأ بالكتابة".

كل كلمة في هذا الاقتباس تقودك إلى كنز اللاوعي، كيف للكلمات أن تخرج من الأحشاء والقلب وكيف تنطلق كالصاروخ وكيف لا يريد بوكوفسكي من الكُتاب أن يراجعوا ما يكتبون أو يبحثوا عن حروف؟ ما يتحدث عنه

بوكوفسكي أشبه بحالة غياب عن الوعي حيث تبدأ يدك بالالتقاط من مخزون المشاعر والمعرفة عشوائيًا وتكتب وهنا تتلاقح المشاعر وتختمر وتلد نصًا عذبًا. ولو عدنا إلى علي الوردي سنجده يقول: "إن مرحلة ما بعد القراءة بالنسبة للكاتب هي مرحلة اختمار وتلاقح للأفكار حيث يجدها تخرج لوحدها دون أن يعلم ما الذي يدفعها للخروج حتى يشعر بأنه بحاجة لأن يكتب ومستعد لأن يلقى حتفه لأجل الكتابة." وليس الاختمار حكرًا على المعرفة لتصدر كتابًا فكريًا شائقًا بل إن المشاعر تختمر كذلك في وجدان الكاتب حتى تخرج كلماته كطلقات وتنتج عملًا لا يضاهيه فكر مفكر في الإبداع.

هكذا تخرج الأعمال الأدبية المبدعة وبنفس الطريقة تخرج الابتكارات العظيمة في المجال العلمي. إن التاريخ مليء بالاختراعات التي كانت نتاج أحلام المنام أو لحظات الاسترخاء ولم تكن ابتكاراتٍ عابرة بل نقاط تحول في تاريخ البشرية. وأبرز ما جاء به العقل الباطن هو مركب البنزين ولسنا بحاجة لذكر أهميته، أما عن قصة اكتشافه فكان عالم الكيمياء الألماني أوغست كيكولة نائمًا ورأى في منامه أفعى تأكل ذيلها، فاستلهم منها صيغة تركيبية على شكل حلقة وقام بتجريبها باستخدام الكربون وخرج بمركب البنزين الكيميائي، وأصبح الحلم بمثابة مفتاح لفرع البنية التركيبية للعناصر واكتشف العلماء بناءً عليه كثيرًا من العناصر ودخل في كثيرٍ من الصناعات. إن هذا العمل الذي قام به العقل الباطن ليس صدفة، فلم يكن لهذا الحلم أن يأتي لو أن كيكولة لم يقض عمره باحثًا عن المركبات ذات القاعدة الكربونية حتى أمسى العقل الباطن مفكرًا بالنيابة عنه حتى يصبح. ولو أنه لم يؤسس التراكم المعرفي الكافي لإدراك أي تنبيه يأتيه عن طريق المنام لما استطاع أن يفك شفرة

الأفعى في المنام.[16] وعلينا ألا ننسى أنه كان منكبًا على الكيمياء حُبًا لها متأملًا ومستمتعًا بها، لا يرجو من ورائها مجدًا ولا شهرة. إن كثرة الاستغراق في الشيء برغبة وحب تجعل النفس لا تنفر منه بمجرد الانتهاء بل أنها تظل منشغلة به وتوكل مهمة التفكير إلى العقل الباطن حتى يكمل التفكير في لحظات الاسترخاء والنوم.

ودائمًا ما تكون حلول العقل الباطن أكثر إلهامًا لذلك يلجأ كثير من الفلاسفة والمفكرين إلى الاسترخاء عندما تستعصي عليهم المسائل ومن الأمثلة على ذلك الفيلسوف الكبير ابن سينا الذي يلجأ للوضوء والنوم إن استعصت عليه مسألة. قد تقول أن هذه خزعبلات لكن الأبحاث أثبتت فائدة الاسترخاء حيث تقول أن النوم بعد القراءة والاستذكار يجعل العقل الباطن يقوم بمهمة ترتيب ما قمت بتحصيله ثقافيًا أو دراسيًا. ويقول الكثير أنهم يعجزون عن حل مسألة ما حتى يأخذون قسطًا من الراحة فيجدوا أن هناك أساليبَ جديدة تبادرت إلى أذهانهم. إن الاسترخاء أشبه بعملية تصفية للذهن من الشوائب التي تصيبه من كثرة التفكير ومن كثرة المشتتات، لكن علينا ألا ننسى أن الاسترخاء ليس كافيًا إن لم يقترن معه حبٌ للعمل وهذا ما تحدث عنه العقاد قائلًا: "إن كنت تريد نجاحًا في عملٍ ما، فاعمل لأجل العمل ذاته، ليس لأجل المادة أو الشهرة أو الوجاهة والتاريخ".

إن الإلهام ليس وليد المنام والأحلام فقط بل يأتي بعضه وأنت مستيقظ بشرط أن تكون مسترخيًا ومستلقيًا ومغلقًا عنان التفكير لا مطلقه، كأن تمارس المشي الذي لا يستدعي أي تفكير وتمشي بغير هدى أو أن تعمل عملًا روتينيًا كغسيل الأواني، وقد تلهمك دورة المياه الأفكار العظيمة كما

16- Where Good Ideas Come From. Steven Johnson

فعلت مع أرخميدس الذي ظل مستلقيًا في حوض السباحة وجاءته الفكرة الأم لكيفية حساب مساحات الأجسام. يذكر مؤلف كتاب (من أين أتت الأفكار الجيدة) أن كثير من الأفكار أتت بنفس الطريقة ومن خلال نزهة ولو تذكرنا النزهة التي قام بها الطبيب الفرنسي لكفتنا مثالًا! حيث أن النزهة والمشي والاستجمام بمثابة انتزاع للعقل من مشاغل الحياة وتركه في جو السماء يطير حتى يأتي بما لم نحط به خُبرًا. فإن أردت أن تأتيك الفكرة العظيمة من مملكة الإلهام فيجب أن تختلي بنفسك وتتغافل عن الهدهد حتى يأتيك بها.

وكي تستفيد من غياب الوعي عليك أن تكون انطوائيًا؛ لأنك بحاجة إلى وقت للاستغراق في العمل وتحتاج وقتًا لتصفية الذهن والاسترخاء وهذا كمٌ كبيرٌ من الوقت. لذلك نحن أمام اعتراف جبري أن الانطوائيين لديهم فرصة أكبر للحصول على كنوز اللاشعور لأنهم يختلون بأنفسهم لمدة أطول. ونستطيع التدليل على ذلك بغزل العقاد بساعات الفراغ: "إن كل ما نجمعه من تجارب وكتب هو محصول نفيس لكننا بحاجة لساعات الفراغ كي نرتبه في خزائن العقل والضمير". إن العقاد يعتبر العلم والتجارب ساعات حرث وزرع، فإن لم تعط عقلك ساعات استرخاء لتنمو فيها الأفكار الجديدة وتختمر لن تستفيد شيئًا من أوقات الزراعة ولن تحصد شيئًا. إنه ليس تعصبًا للانطوائيين، لكن بقاءهم في غرفهم لساعات أكثر من الاجتماعيين يجعلهم يقضون ساعات أكثر في القراءة والتأمل، فقد تجد انطوائيًا مستلقيًا على سريره مطالعًا سقف غرفته دون أي شاغل وآخر مشاهدًا للعابرين من النافذة. هذه الساعة المليئة بالروتينية الخالية من المنبهات تخرج العقل من حالته الواعية إلى اللاواعية ليأتي بأفكاره الجهنمية. وكما قلنا أن الانطوائي طفل كبير، نستطيع القول بأن الانطوائي نازعٌ للتصوف بالفطرة كما يقول الفيلسوف الفرنسي برجسون:

"إن العبقري فيه نزعة من التصوف". لا يتحدث برجسون عن التصوف بمعناه الديني الدقيق بل هو كناية عن الاختلاء والاعتكاف على العمل حبًا وتأملًا، وهذا لا يحدث بالتأكيد إلا لدى الانطوائي أو لدى اجتماعي اعتزل الناس كي يتصوف قليلًا، لذلك نحيطكم علمًا بأن الإبداع ابن العزلة فلا تقتلوها.

ناجٍ من الغرق

"إذا كان الجميع يفكرون بشكل متشابه، هذا يعني أنه لا يوجد أحد يفكر"

جورج باتون

كنت في بحر من المعلومات في محاضرة اللغة العربية مع قبطاننا الأستاذ عبد المجيد المبارك، وقال حينها عبارة غيرت فيني الكثير حيث مثلت العبارة احتياجًا لي وانقاذًا من الغرق. قال أستاذي: "قف من كل شيء موقفًا"، واستطرد شارحًا: "نحن لا نعي السلبيات الكبيرة التي نمارسها أو نتصف بها ولا ندرك أن الأفكار التي نحملها سيئة أحيانًا والسبب أننا غارقون في الدائرة ولا نرى ما يحدث فيها بشكل جيد، فعندما يكون أحدهم مستغرقًا في هواية من هواياته أو عملٍ له لذة ونشوة كيف له أن يستدرك التأثير السلبي التابع له؟" كان حديثه تنظيرًا خاليًا من التطبيق لذلك لم تستقبله عقولنا بشكلٍ جيّد حتى أردفه بقصة:

"كان هناك شخص مدمن للخمر ولم يجد والده أي طريقة لنصحه، فقال له: لا أريد منك شيئًا إلا أن تمتنع عن الخمر يومًا واحدًا حدادًا علي إن رحلت عن هذه الدنيا، وبلا مبالاة هز الابن رأسه موافقًا. حتى جاء اليوم الموعود وتوفي الأب وذهب الابن إلى أصدقائه وامتنع عن الخمر كما أوصاه أبوه. في ذلك اليوم وقف الابن خارج دائرة شرب الخمر دون أن يتعمد ذلك فكل ما يريده هو تنفيذ وصية والده، لكن وصية والده جعلته خارج الدائرة يراقب ما كان يفعل بعين فاحصة وعقلٍ واعٍ، فشاهد بعينه ما يفعله الخمر بعقول أصحابه حتى رآهم كالبهائم أمامه واستشعر الابن وقتها سوء ما كان

يفعل طوال تلك السنوات. كان الأب يعلم تلك المفاسد لأنه ينظر من خارج الدائرة وعندما وجد أن نصائحه لابنه لا تؤتي أكلها جعله يرى نفسه في المرآة ورآها وكان المنظر بشعًا!"

(قف موقفًا) هو مبدأ يجب تطبيقه على أفكارنا وليس على أفعالنا فقط، بل إن تطبيقه على الأفكار أهم بكثير، إن أفكارنا متأثرة بما يحدث حولها من أحداث وبما يتحدث به من حولنا. عندما يولد أحدنا يتم تحديد اسمه ودينه خلال دقائق وبعد سنوات يتشكل فكره حسبما تريد جماعته ويقضي حياته مدافعًا عن ذلك الفكر بكل ما يحمله من أخطاء ويؤمن به أشد الإيمان وتجده يفسر ما يجري حوله من أحداث سياسية وفكرية ودينية واجتماعية بناء على الأسس التي وضعت له منذ ولادته وما يعزز هذه الأسس هي تلك النقاشات والاجتماعات التي تجري بينه وبين أصدقاء وأقارب يحملون الفكر ذاته فإن كان حسنًا فنعمًا هي وإن كان سيئًا فهي الكارثة ويصبح الجهل حينها مركبًا أشد تركيب. لا نقول أن على الإنسان أن ينسلخ ممن حوله ويبتعد عن الاجتماعات لكن الأمر كله في التوسط بين الاجتماع والانطواء؛ لأننا بحاجة إلى الانعزال لمراجعة أفكارنا ولقراءة كتابٍ من تيّار فكري آخر ونذهب بعدها في خيالنا لنربط هذه الأفكار بأفكارنا ونزن الأمور بميزاننا الخاص وحينها تكون لنا شخصية فريدة ونتمكن من نقد الوسط الذي نعيش فيه بدلًا من الغرق فيه.

وقبل أن نتغزل بابتعاد الانطوائيين عن خطر الغرق، علينا أن نذهب إلى مفكر عظيم كي نثبت أثر التوسط في الاجتماعات في جعلنا أكثر إنتاجًا.

عبد الوهاب المسيري[17]، عالم الاجتماع المصري الذي ألف واحدة من كبرى الموسوعات الفكرية في القرن العشرين والتي كانت تدور حول اليهود واليهودية والصهيونية وجعلها في ثمان مجلدات وعندما أراد تلخيصها وضعها في ألف صفحة. فإذا كان هذا حجم الملخص فما هو حجم المجلدات الثمان ومدة العمل عليها والإجابة أنه قضى ربع قرن فيها، قضى خمسة وعشرين عامًا في البحث والكتابة وعلى حد قوله كان المسيري يعمل ما يقارب الخمس عشرة ساعة يوميًا! فهل تعتقد أن هذا المفكر كان لديه وقت ليجتمع مع أحد؟ خمسة وعشرون عامًا ذهبت لأجل عمل فكري واحد، وقضى زهرة عمره بعيدًا عن الأصدقاء والأقارب لينتج هذا العمل المهم. وهذا العمل لم يتطلب فقط الانعزال عن البشر بل تطلب منه الانعزال عن المحيط والأخبار اليومية كي لا يغرق مع بقية العرب والمصريين خاصة حيث كانت الحرب مع إسرائيل في أوجها وكان الجميع مشغولًا بالعروبة والتخوين والتحليلات السياسية التي أصبحت وظيفة من لا وظيفة له. لكن المسيري ظل عاكفًا على عمله الجوهري مهددًا بذلك إسرائيل إلى الدرجة التي جعلت إسرائيل ترسل له تهديدات بالقتل. ومما ساعد المسيري على الهروب من حالة الغرق أنه كان مبتعدًا عن الأخبار اليومية حيث يذكر أنه كتب مقالة في أيام حرب أكتوبر عن "نظرية الأمن الإسرائيلية" وهي مقالة بعيدة جدًا عن الوضع الراهن في مصر ومختلفة عما يكتبه بقية العرب وهذا ما أدهش الكاتب محمد حسنين هيكل؛ لأنه رأى أن المسيري لم يتأثر أبدًا بسخونة الوضع الراهن فسأله: "كيف نجحت فيما أخفق فيه البقية؟"، وأجاب المسيري ضاحكًا: "لأني لا

17- لا أقول إنه انطوائي ولا اجتماعي فأنا لم أدرس شخصية هذا المفكر العظيم ولم تتسن لي قراءة كتبه بشكل جيّد لكني استند على مقتطفات من سيرته الذاتية اقتبسها الأستاذ إبراهيم السكران في كتابه الماجريات، وكل ما سيرد بشأن عبد الوهاب المسيري هو مأخوذ من كتاب الماجريات.

أقرأ الصحف اليومية". إجابة المسيري تأخذنا إلى أفقٍ بعيد حيث تدل على أننا متأثرون متأثرون لا محالة لو انشغلنا بتوافه الأمور وبكل خبر يعبر أمام أعيننا وسائل التواصل الاجتماعي.

ومما يؤكد أن العزلة هي من صنعت المسيري المفكر، أنه توقف عن أعماله الفكرية عندما تقاذفت عليه الاستضافات والندوات من كل حدب وصوب وأصبح يظهر بشكل دوري في القنوات الفضائية وكان هذا الخروج المتكرر من مكتبه مشتتًا لذهنه حيث شعر بعدم قدرته على التفكير، وعندما أراد أن ينهي فترة النضوب الفكري قرر الامتناع عن أي ندوة واستضافة. يقول المسيري: "قررت العودة إلى حياتي الهادئة كي أفكر وأنتج وقلت مبتسمًا لكل من يطلب مني اجتماعات ولقاءات أنا أفكر إذًا أنا غير موجود".

ورغم تغزل المسيري بهذه العزلة إلى الدرجة التي جعلته يطلق عليها أسماء أخرى كالانغلاق النسبي لكنه كان يرفض الانغلاق الدائم حيث يقول: "رغم انغلاقي النسبي على ذاتي، وهو أمر أرى أنه ضروري أحيانًا ليحمي الإنسان مما هو شائع ومألوف، وليقي نفسه شر التفاصيل والتفاهات ولغو الحديث والأحداث اليومية، فإني لم أتقوقع قط، بل ظللت منفتحًا على ما هو أمامي ومن هم حولي، وهذه العزلة النسبية لم تمنعني من التعرف على بعض المفكرين والأدباء". يؤكد المسيري هنا أنه من الضروري التوفيق بين الانعزال ووصل الأصدقاء والأهل وحضور بعض الاجتماعات؛ لأنها تفتح آفاقًا لا تنفتح بالانعزال أحيانًا. ويؤكد أن انعزاله لا يعني كره البشر وهذا ما قاله لي أحد الانطوائيين: "أنا لا أكره البشر لكني أريد الانعزال قليلًا".

ولو أمعنا النظر فيما قاله المسيري سنجد أن هناك اقتباسًا ملائمًا لما بدأنا به حديثنا وهو أن العزلة مهمة لصيانة الإنسان من الشائع والمألوف، فالمألوف والشائع بين جماعتك وأبناء بلدك ليس بالضرورة حقيقة تستحق

الدفاع عنها بل قد تكون كارثة الكوارث وأنت لا تعلم. إن تأثير الجماعات في أفكار أفرادها كبير جدًا حيث تشير الأبحاث إلى أن الجماعات تجعل الأفراد يؤمنون بأفكار خاطئة، اقتناعًا لا إجبارًا، وينافحون عنها. وأحد هذه الأبحاث كان عن طريق الباحث سولمون اسش في عام 1956، أتى سولمون بعدد من الطلاب وطلب منهم أن يقوموا بحل عدد من الأسئلة بمفردهم وكانت غاية في البساطة كأن يضع لهم خطين ويقول أيهما أطول فوجد أن 95% منهم أجابوا بشكل صحيح. بعدها أمرهم بأن يقوموا بحلها بطريقة جماعية وقام بتقسيمهم إلى مجموعات ودس في كل مجموعة ممثلين يقومون بتضليلهم واختيار إجابات خاطئة، رأى الباحث أن الذين أجابوا بشكل صحيح انخفضوا إلى 25% بدلًا من 95%، إنه انخفاض مذهل جدًا ومخيف أن يستطيع فردان تغيير إجابة الأغلبية فقط لأنهم سبقوهم بذكر الإجابة الخاطئة، إنه تأثير الجماعة. وجاء بعده عالم الأعصاب جورجي بيرنز ليتأكد من البحث الماضي ووجد أن الأفراد عندما يلعبون بمفردهم يخطئون بنسبة 14% تقريبًا لكن عندما تم إدخالهم في مجموعات فيها مضللين ترتفع نسبة الأخطاء إلى 41%. هذه النتائج أرعبت الأخصائيين وأرادوا أن يبحثوا عما إذا كان الأفراد يغيرون آراءهم لأنهم اقتنعوا بالرأي الآخر أم فقط مجاملة للجماعة، فلو كانت المسألة فقط مجاملة فلا داعي للخوف، لكن أشعة الرنين المغناطيسي على أدمغة المشاركين كشفت أن الأفكار نفسها تتغير وأن اختيارهم للخيارات الجديدة كان عن اقتناع بعد أن تعرضوا لضغط الجماعة.

ضغط الجماعة له تأثير خفيّ ويطالنا مهما حاولنا تجنبه والتقليل من خطره، ويمكننا أن نرى تأثير الجماعة في رسالة إحدى الانطوائيات: "كلما انعزلت كلما استطعت أن أعزز أفكاري وآرائي بحجج وبراهين أستقيها من مصادر شتى وأراجعها مع نفسي وأدرسها حتى أستطيع الدفاع عنها بكل

ثقة، وهذه الميزة لا أجدها عندما أنغمس في الاجتماعات كثيرًا حيث أتأثر بآراء الآخرين وأفكارهم إلى الدرجة التي تتغير معها قناعاتي الثابتة خاصة عندما أكون في مجلس جميع من فيه يفكر بنفس النمط". واستطردت قائلة: "عندما أخضع لتأثير الجماعة وأفكار المجتمع أشعر وكأن عقلي تم تغييبه حتى أنني لا أستطيع تذكر أسباب جعلتني أقتنع بأفكارهم لكن كل الذي أعرفه أنني اقتنعت وأن أفكاري تبدلت". قد تستهزئ بهذه الفتاة وتقول أنها مهزوزة الشخصية، لكن من يقول ذلك فهو يغالط الحقيقة والأبحاث الماضية وعليه أن يثبت لنا حديثه بأبحاث. في الأبحاث الماضية تغيرت أفكار أفراد حول خطين أيهما أطول، إذًا ماذا سيحدث في الأفكار الأكثر تعقيدًا؟ ومن يريد التأكد من تأثير الجماعات عليه أن يعود إلى الأبحاث النفسية في تكوين الجماعات وتبدل الأفكار ولعل أبرز ما جاء في هذا السياق فيلمي الموجة الألماني وسجن ستانفورد الأمريكي.

نعود لأختنا الانطوائية حيث تلفت انتباهنا إلى أنها شبيهة بالمسيري، ترفض الانعزال الكلي وتمارس الانفصال المؤقت لا أكثر، فهاهي تقول: "أنا أحب الغوص في المكتبة وقراءة ما لا يعرفه من حولي وفي نفس الوقت أكره الغوص بالشكل الذي يغيبني عن الواقع بشكل كامل". وكأن هذه الفتاة امتلكت خبرة المسيري وكبار المفكرين حيث أردفت قائلة: "إن حب العزلة والانطواء لم يمنعني من الاجتماع مع الأصدقاء المقربين، وإني أفضل البقاء مع من يحمل أفكارًا مستقلة خاصة به ولا أحب التابعين للقطيع، وأحب المشاركة في الحملات التوعوية". وعلاوة على أن الانفصال المؤقت يصون الأفكار عن التشويه فهو يجعل الإنسان أكثر انتاجًا من غيره لأنه ابتعد عن

الغرق في التفاصيل اليومية وهذا ما ورد في حديث الفتاة[18] أيضًا: "أستطيع أن أختصر انطوائيتي في أني كلما ابتعدت عن الناس، كلما أصبحت أكثر قدرة على الإنجاز وإني ألاحظ انخفاض إنجازي بشكل ملحوظ عندما يطول اجتماعي بهم ومشاركتهم جميع أفكاري وحالاتي". إذًا الانفصال المؤقت لا يجعلك خارج القطيع فكريًا فحسب بل يجعلك مغردًا خارج السرب بتميزك في الإنتاج؛ لأنك ستهرب من الضغط المجتمعي خاصة عندما يكون الوعي المجتمعي منخفضًا ولا يقوم على مبدأ التشجيع، وهذا ما تشير إليه الفتاة: "كلما شاركت الآخرين أفكاري حول تحسين مستواي الدراسي قاموا بتثبيط عزيمتي، وعندما توقفت عن إخبارهم تحسن مستواي بشكل ملحوظ خلال فصل دراسي واحد". ويحدث ذات الشيء معها على صعيد الكتب والثقافة فكلما حدثت أحدًا حول قوائمها القرائية أو موهبتها في الكتابة جاءها وابلٌ من التثبيط. وبعد كل ما ذكرناه، ما بين الخير والشر يجب أن نقف، العزلة المطلقة لا خير فيها، والانفتاح المطلق يجعلك أسير اللحظة وفردًا من قطيع، أما إن قمت بتطبيق العزلة النسبية فستنجو من الغرق وستغرد بأروع ألحان النجاح خارج السرب.

18- عندما أقول الفتاة، فأنا لا أخفي اسمها، فإما أنها طلبت مني إخفاء اسمها لكي لا أحد يعرف القصة أو أني لا أعرف اسمها في الحقيقة، وجرى هذا التوضيح لكي لا يعتقد أحد أنه تحقير من اسم المرأة، فالنساء فخرٌ لي ولم أخرج إلا من سيدة فاضلة.

غاندي

" إن انطوائيتي كالغشاء الذي جعلني أنمو بشكل أفضل"

غاندي

قد تستلهم مما مضى أن قوة الانطوائيين تكمن في العلوم والإبداع الأدبي وقد تظن أن التيّار الكهربائي الناشئ عن العزلة لا يمكن أن يكون إلا بامتلاك قدرات عقلية خارقة كالتي يمتلكها العقاد وآينشتاين ونيوتن، لكن غاندي جاء ليخبرنا أن الانطوائيين قادرون على أن يكونوا زعماء لمجتمعاتهم ومحررين لهم من الاستعمار. إن غاندي لم يكن ذا ذكاء كمي عالي، وتقول أقاربه أنه كان ضعيفًا في الحساب والعلوم وأنه ليس قوي الحفظ، لكنه أرانا قوة جديدة وسلاحًا فتاكًا نابعًا من هدوء الانطوائيين وصبرهم وهو اللاعنف. جاء غاندي من أقاصي الهند ليستحدث تيارًا من الهدوء يهز به العالم ويجعل اسمه خالدًا في تاريخ بلد عظيمة، إنه لعجب العجاب أن يحدث الهدوء صخبًا يعلو ضجيج الأصوات في هذا العالم! وهكذا كان صوت غاندي ذلك الصوت الرخيم الذي انسحبت أمامه قوى بريطانيا العظمى. الهدوء سلاح فتاك، لم يطرأ على مخيلتي يومًا أن استخدام اللاعنف قد ينجح أمام الأسلحة المدمرة، لكن غاندي استطاع تحرير الهند من استعمار الإنجليز بواسطة اللاعنف لا أكثر كما يقول عباس العقاد في كتابه (روح عظيم): "هناك عوامل كثيرة دفعت الإنجليز للخروج من الهند، لكن إن أردت أن تحصرها في شخص واحد فهو غاندي بلا شك، هو الذي أدخل في عقولهم أن بقاءهم في الهند مكلف أكثر من الخروج منها".

ولد غاندي في الهند وذهب لإكمال دراسته في بريطانيا ليكون محاميًا، وعندما عاد للهندِ حاول أن يكافح الاستعمار الإنجليزي الذي استمر لأكثر من مئتي عام، لكنه جاء بسلاح جديد وهو سلاح الحب والمسامحة واللاعنف وقام يدعو الهنود لمقاومة الإنجليز عن طريق المقاطعة والإضراب عن الطعام فقط، لا عن طريق التخريب والعدوان حتى وإن كان هذا العدوان من حقهم حيث أن الإنجليز اغتصبوا بلادهم. الكثير اعتبروا ما يفعله غاندي خضوعًا، لكن غاندي لم يكن ضعيفًا ولا خاضعًا، بل كان يركز على أهداف بعيدة يرى أنها لن تتحقق بالعنف وأن العنف سيجلب خسائر بشرية على الهند وأن إنجلترا ستخرج طال الزمن أم قصر فلماذا الخسائر؟ حاول غاندي أن يغير شيئًا لكن لم يجد من يتقبل هذه الدعوة، وبقي عاطلًا عن العمل حتى جاءته دعوة إلى جنوب أفريقيا وعندما ذهب حدثت له مواقف كثيرة من الاضطهاد؛ لأنه ليس أبيض البشرة ورأى كثيرًا من الهنود هناك يضطهدون للسبب ذاته. فاتخذ قرار أن يمارس أول حرب من حروب اللاعنف في جنوب أفريقيا فترك كل أعماله في القضاء والمحاماة وتخلى عن حياة الترف وأنشأ مزرعة كبيرة أسماها تولستوي ليعمل فيها جميع المضطهدين ويأكلوا منها ولتتسنى لهم مقاطعة البيض الذين يسيطرون على البلاد ويحرمونهم حقوقهم ويقسون عليهم في العمل.

إن غاندي[19] كان يتحلى بصفات محمدية جليّة واضحة لمن يقرأ سيرته، حيث أنه كان يدعو لرفع الظلم عن هؤلاء الملونين بالوعظ والخطب دون أن يستخدم أي سلاح، ودون أن يدعو لإراقة الدماء. كان غاندي

19- قال لي البعض أن غاندي كان يمارس أهدافًا بصمت ضد الإسلام والمسلمين، وتجنبًا لأي لغط حول هذه النقطة أريد إخبارك عزيزي القارئ أن هذه قراءة في شخصية غاندي وقدرته على هزيمة الإنجليز لا أكثر ولا علاقة لها بالأديان والمؤامرات.

يعيش مع العمال في المزرعة نفسها وينام على الأسرة نفسها كي يشعروا أنه جزء من قضيتهم ولا يريد التكسب من ورائهم، وهذا ما دفع المضطهدين في جنوب أفريقيا لتصديق دعوته وتنفيذ ما يصدره من أوامر. كان يقول لهم إذا ضربوكم الجُند وأخذوكم قهرًا وغصبًا إلى العمل لا تقاوموهم ولا تضربوهم، فإن ضربكم لهم لن يجعلهم يمتنعون عن ضربكم. كانت أوامر غريبة ولا يتحملها أي فرد إلا أنهم تحملوها لأجل غاندي. استمر هذا الصبر عند غاندي عشرين سنة، ولم يطل صبر المصانع والشركات ولا الجند ولا الملوك، فقد يئسوا من المقاطعة التي استمرت عشرين سنة دون ملل، فقامت حكومة جنوب إفريقيا مستسلمة بتغيير الكثير من القوانين التي تضطهد العمال الملونين في الإقامة والأجور. بعد هذا النصر العظيم وصلت سمعة غاندي أقاصي الهند وهو ما زال في جنوب إفريقيا. قرر غاندي العودة إلى الهند ليستكمل مسيرة اللاعنف هناك، ولم يصل إلا والهند كلها تعلم من هو غاندي بل جعلوه رمزًا مخلصًا إياهم بطريقته من استعمار الإنجليز. وصل غاندي إلى الهند وحارب العنف، وأبلغ الشعب الهندي أنه لا يرضى العنف ولن يستخدمه في مهمته لإقصاء الإنجليز لكن كثيرًا من الهنود لم يرض وقد تعرض لمحاولات اغتيال وإضرار من الهنود أنفسهم لأنهم كانوا في حماسة لإقصاء الإنجليز لكنه ما انفك يكرر: "سنخرجهم بالمقاطعة السياسية والاقتصادية لا أكثر"!

كان هدوء غاندي مبالغًا فيه، وقد لا يحتمله القارئ، لكنه لا يعني خنوعه بل إن عباراته في الرد على الإنجليز كانت قوية في مضمونها رغم هدوء صوته، وأبرز ردوده ذلك الرد الذي صدح به في وجه القاضي الإنجليزي عندما أرادوا محاكمته على مقاطعة الحكومة الإنجليزية: "أنا لا أقف هنا لأتقبل أخف عقوبة تفرضونها بل أقصاها، إنني لا أطلب الرحمة، ولا أتوسل لتخفيف

العقاب عني، إنني أرحب وأتقبل راضيًا بأقسى عقوبة يمكن معاقبتي بها على ما يعده القانون جريمة، وما يبدو لي أنه أسمى ما يجب على المواطن أداؤه". تبيّن للإنجليز بعد ردوده هذه، أن بقاءهم لمدة أطول في الهند يعني خسائر أكبر، فلا يوجد أي حل إلا واتخذوه مع هذا المحارب الغريب الذي يدعوا إلى السلم في حربه لكن بلا فائدة وقرروا الرحيل عن الهند. هكذا استطاع غاندي إبعاد الإنجليز عن أرض الهند بسلاحه الجديد الذي لم يتوقف عن التغني به، وله مقولة شهيرة: "اللاعنف هو أعظم وأقوى سلاح يمتلكه الإنسان لكنه ذهب واخترع سلاحًا أضعف بكثير وهو الدمار الشامل". ولم يكتف غاندي بوصف التسامح بأنه أكثر قوة من أسلحة الدمار الشامل بل أرسل إلى هتلر في فترة الحرب العالمية الثانية يقول: "أعتقد أنك اليوم الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يمنع حربًا قد تفتك بالبشرية وتحول الأرض إلى حظيرة مليئة بالهمجية، أتمنى أن تصغي إلى توسل رجل لم يستعمل أبدًا القتال في حياته السياسية وحقق كل مطالبه. وأتمنى المعذرة إن كنت أخطأت في الكتابة إليك". عندما يتجرأ غاندي ليبعث لهتلر هذه الرسالة فهذا لا يعني إلا أن اللاعنف عقيدة عند غاندي وليست مجرد صفة.

أعلم أنه من الجنون أن تحكم على شخصية غاندي من قراءة قصته لكنني لم أفعل إلا عندما أخبرتني سوزان كين في كتابها أن غاندي كان خجولًا وانطوائيًا وهادئًا حسب سيرته الشخصية التي كتبها بنفسه. إنه كان لا يحب الاختلاط باستمرار مع أشخاص لا يعرفهم، بل ودفن نفسه في طفولته بين الكتب وفضلها على الاختلاط بالناس، وكان عندما يخرج من المدرسة لا يبحث عن اللعب مع الأطفال بل يذهب إلى منزله فور انتهاء اليوم الدراسي، إنه يعود ليشحن نفسه بعد يوم اجتماعي كافٍ. تقول سوزان أن غاندي في

صغره يمتلك أفكارًا جيدة لكنه يتردد في النطق بها؛ لأنه لا يحب التحدث كثيرًا، ويتحدث غاندي عن شخصيته الانطوائية: "إنها كالغشاء الذي جعلني أنمو بشكل أفضل". وكأنه يقول لولاها لما كنت ولما أصبحت غاندي الزعيم. تشجعت حينها للقراءة عنه وكان العقاد هو المنقذ حيث وضع مؤلفًا يدرس فيه شخصيته سماه (روح عظيم) ويقول فيه: "إن غاندي لم يخلق بصفات قيادية ولا متحدثًا. عندما تراه، فلن تعتقد أبدًا أن هذا زعيم قاد شعبًا وحرر دولة. إنه لا يمتلك طبائع الزعماء ولا شخصية الغزاة الفاتحين، إن غاندي ليس صاحب شخصية بارزة ولا ذاك الذي تعجبك هيبته، إنه رخيم الصوت صاحب نظرات وديعة إذا رأيته حسبته طفلًا".

يستطرد العقاد قائلًا إن هذه الشخصية الفريدة هي من جعلت غاندي عظيمًا، وإن هدوءه وانطوائيته منحاه منزلة دينية رفيعة لدى الهنود وجعلاه قديسًا في أعينهم. إلى هذا الحد نرى إجماعًا من غاندي نفسه وسوزان كين والعقاد على انطوائية غاندي، نعم إنها قوة الهدوء! إن الاختلاء بالنفس يجعل القائد يراجع قراراته أكثر ويحدد الرؤية الصحيحة، وقلة الضجيج من حوله تجعله أكثر هدوءًا وصبرًا حتى يتحقق هدفه. إن غاندي لم يترك بصمته على شعبه فقط بل على كل من سمع به. وإذا ذهبنا لاستعراض مكانته سنراه متربعًا على قلوب الجميع. يقول المؤلف الإيرلندي برنارد شو: "غاندي من العظماء الذين لا يأتون إلا في كل ألف عام مرة"، ويقول الأديب الفرنسي رومان رولان: "إنه أحد أقطاب الإنسانية". عندما تكون انطوائيًا فهناك فرصة كبيرة لاحتلال قلوب الجميع دون أن تكون مجبرًا على الخروج من قوقعتك. غاندي مارس الاجتماعية في أحيانٍ كثيرة لكنه كان يهرب إلى بيته ليستريح من هذه المهمة. وبالتأكيد لم يغب عنك أن أحد عوامل تفوق غاندي خروجه عن

القطيع وجلبه لأسلوبٍ جديد في الحرب، قام بتكوينه في معزل ثم جاء به ليقود الجماعات بدلًا من أن تقوده. فكن كغاندي، لا أقول كن زعيمًا لكن احترم شخصيتك ولن تحرمك شخصيتك من الوصول إلى أهدافك، فإن غاندي قد هز العالم بكل لطف!

غازي القصيبي

"عندما أصاب بالحمى وأبقى في منزلي ولا ألتقي أحدًا أكون أسعد الناس"

غازي القصيبي

رجلٌ توفاه الله وهو في السبعين من عمره ولم يزد عليها إلا خمسة أشهر، كيف له أن يعمل أستاذًا في الجامعة وعميدًا لإحدى كلياتها ومستشارًا في وزارات عدة ومديرًا لسكة الحديد ووزيرًا للصناعة والكهرباء والصحة والعمل وسفيرًا لدى البحرين وبريطانيا، وكيف له أن يتبع ذلك بإصداراتٍ شعرية ويلحقها برواياتٍ عدة ويضيف إليها عملًا ترجميًا؟ هل يعقل أن للانطواء نصيبًا من شخصية غازي؟ وأي انطوائية هذه طالما أنه غارق في الوزارات والاجتماعات؟ وإن قلنا إنها عزلة فمن أين له الوقت كي يعتزل الناس مع هذه المناصب الإدارية الكبرى؟ التساؤلات محيّرة، لكن مسيرة غازي الغنية جعلتني أكثر إصرارًا على أن للعزلة دورًا كبيرًا فيما قدمه غازي، وعقدت العزم على إيجاد ما يثبت ذلك وقادتني الأقدار إلى كتاب (حكاية اسمها غازي القصيبي) للصحفي كمال عبد القادر وتصفحته على وجه السرعة على أمل أن أجد ما يثبت توقعاتي وفعلًا وجدت ما أبحث عنه، بل ووجدته عنوانًا لإحدى المقالات (كائن غير اجتماعي) وهنا قبسٌ من المقال: "كثير من الناس يعتقد أنني اجتماعي وأحب الأضواء والظهور في الحفلات والمناسبات، ولكني عكس ذلك تمامًا. فأنا كائن غير اجتماعي، وتغلب علي الرغبة الشديدة في الانطواء، وقد تصل إلى درجة الخجل ولا أزال أتهيب لقاء أناس لا أعرفهم، ولا أشعر بالراحة عند ملاقاة جمهور كبير".

كلماتٌ تفيض بالانطوائية، ولا نستطيع القول بأن غازي كان يعاني من عقد نفسية وشعور بالنقص لأنه لم يترك منصبًا إلا وجلس على كرسيه فمن أي نقص وعقد يشكو؟ إن كلمات غازي تشعرك بأنه لو كان ضمن الأطفال الذين اختبرهم كاجان لكان من صنف شديدي الفاعلية، الانطوائيين، حيث أنه يتهيّب لقاء الغرباء ويشعر بضيق كلما ازداد عددهم! وتلتصق الانطوائية أكثر بغازي عندما نراه مفضلًا للقاءات الفردية على الجماعية كما ذكر في كتابه (حياة في الإدارة): "وصلت إلى البحرين وسألني صديقي يوسف الشيراوي ما إذا كان هناك شيء معين أود عمله، فقلت له أتمنى أن تتاح لي فرصة صيد السمك. ورد يوسف: هل تريد صيدًا حقيقيًا أم صيدًا اجتماعيًا؟ واستفسرت عن الفرق بينهما فقال: إذا كنت تريد صيدًا حقيقيًا فسوف أمرُ عليك قبل الفجر، ونذهب في زورق صغير أنت وأنا، ونعود قبل الظهر. أما الصيد الاجتماعي، نذهب في يخت صغير مع الأصدقاء ونتناول غداءً فاخرًا ونعود في المساء. واخترت الصيد الحقيقي".

يعتقد الأغلبية أن الإدارة والعمل الوزاري يتطلب شخصيّة اجتماعية قادرة على قبول جميع الدعوات التي تأتي للوزير لحضور الاحتفالات والندوات، لكنه اعتقاد خاطئ! إن المسألة تعود برمتها إلى شخصية صاحب المنصب، لذلك نجد أن غازي يرفض جميع الدعوات التي تأتيه ولا يقبل منها إلا مآدب الدولة الرسمية إضافة إلى حفلات اليوم الوطني، ويعلق على ذلك قائلًا: "يأتيني عندما كنت سفيرًا لدى البحرين ما يقارب الست دعوات يوميًا وتصل إلى العشر أحيانًا، ولو ذهبت لكل هذه الدعوات لاستنزفت طاقتي ولم أستطع العمل". وفي حديث غازي هذا إجابة بأن الوزير ليس مجبرًا على الاختلاط بالآخرين طوال يومه وفيه إثباتٌ على انطوائيته؛ فلو كان اجتماعيًا لكانت

الاجتماعات بمثابة الشاحن له والمحفز ليصبح أكثر نشاطًا وليست استنزافًا لطاقته!

بعد فراغنا من إثبات انطوائية غازي، علينا أن نندهش مرة أخرى فكيف لشخص انطوائي أن يصبح من أفضل القيادات الإدارية في تاريخ المملكة، أليست الإدارة بحاجة إلى شخص اجتماعي لا انطوائي شخصيته مهزوزة ومتردد في قراراته؟ للأسف، تهوى عقولنا اختلاق الأساطير فمن قال أن الانطوائيين لا يصلحون للإدارة ومن قال أن شخصياتهم مهزوزة؟ إن الأبحاث تثبت أنه لا علاقة بين نوع الشخصية والقدرات الإدارية وسنتعرف في الفصل القادم على انطوائي استطاع أن يكون أحد أفضل المديرين التنفيذيين في أمريكا. أما نجاح غازي الإداري فلا يحتاج إلى ذكر ولا يتسع المجال لذكره لكن من المهم ذكر إحدى أبرز صفاته الإدارية، والتي قد يعتبرها البعض مناقضة للشخصية الانطوائية، وهي الصرامة حيث يقول عندما كان وزيرًا للصحة: "كان من الممكن أن أبعد من لا أرغب بهم عن طريق تجميد الموظف حتى يسأم ويرحل لكني لو فعلت ذلك لما استطعت أن أتخلص من هؤلاء الموظفين الغير صالحين إلا بعد سنتين أو ثلاث. إن هذا الأسلوب المراوغ لا يتفق مع طبيعتي ولا مع الروح التي قدمت بها إلى وزارة الصحة: الانضباط من أول يوم والانضباط بأي ثمن". وبالفعل كان غازي غير مكترث بإقالة الأطباء واحدًا تلو الآخر مع أول جلوس له على كرسي الوزارة. في حقيقة الأمر لا توجد أي علاقة بين قدرتك على الإدارة وشخصيتك ولا توجد مهام حكر على الاجتماعين ولا على الانطوائيين فهاهو غازي يستغل الانضباطية التي تعتبر من صفات الانطوائيين بشكل أكبر ويجعلها إحدى نقاط قوته. ويتميز غازي أيضًا بحسن تنظيمه للوقت وإرادته العالية لإلزام نفسه بجداول ذاتية، وهذه أيضًا صفة تتوفر في الانطوائيين بشكل أكبر لعدم وجود أشياء تجذبهم

بالخارج، ونستطيع أن نرى تنظيم غازي لوقته عندما سأله كمال عبد القادر: "من أين تأتي بالوقت لتذهب إلى كل هذه المناسبات والمواعيد؟" وأجاب: "السعودي يجب ألا يسأل هذا السؤال، إننا نقضي ثلاث ساعات في كل عزيمة ونلعب "البلوت" لمدة خمس ساعات! إن الوقت كثير، لذلك يجب أن تسألني من أين لك هذا الوقت الذي تُهدره!".

استطعنا بما مضى إثبات انطوائية غازي وقمنا بنفي التناقض بينها وبين قوته الإدارية وحان وقت السؤال الأكبر: كيف لغازي أن يدير الوزارات ويؤلف كتبًا في مجالات عدة في آن واحد؟ قررت أن أعود إلى أعمال غازي كي أرى فترة إنتاجها ووجدت أن السواد الأعظم من أعماله كان في الفترة 1984- 2003، بل أن أبرز أعماله كشقة الحرية والعصفورية وسبعة وحياة في الإدارة كانت في تلك الفترة. عدت لأبحث ماذا كان يحدث لغازي ووجدت أن 1984 هو عام إعفائه من وزارة الصحة وتعيينه سفيرًا لدى البحرين وبعدها تم تعيينه سفيرًا لدى لندن، أما 2003 فهو عام عودته إلى السعودية وزيرًا. أما عن سبب ظهور إنتاج غازي في فترة السفارات لا الوزارات، أن عمله الوزاري كان يمتد إلى المنزل ولا يملك من الفراغ إلا وقت القيلولة ليعود بعدها إلى الديوان الملكي، لكن عندما أصبح سفيرًا ذهب لدول علاقاتها الدبلوماسية مع المملكة مستقرة لأبعد حد، خاصة مملكة البحرين التي تتمتع بعلاقة وطيدة مع المملكة وهذا ما أعطاه متسعًا من الوقت ليختلي بنفسه ويعتكف على أعماله الروائية والشعرية. أما ما يؤكد أن تلك الفترة كانت أخصب فتراته فكريًا، حديثه عن فترة السفارة في البحرين حيث يقول: "توفر مع العمل الجديد من الوقت ما لم يكن متوفرًا في الماضي. أصبح بوسعي أن أقضي في المكتبة ما لا يقل عن أربع ساعات كل يوم بين القراءة والكتابة. وأصبحت كاتبًا في جريدة الأضواء في عمود أسبوعي أسميته مئة باقة ورد، واستأنفت

هوايتي المفضلة: صيد السمك واشتريت قاربًا صغيرًا وكنت أذهب إلى البحر مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًا. وباختصار، كانت الفترة التي قضيتها سفيرًا في البحرين من أسعد فترات حياتي وأخصبها فكريًا". ويكفينا التمسك بكلمة الخصوبة الفكرية لنثبت أن أغلب أعماله نتجت في هذه الفترة لأنه أصبح متمتعًا بوقت أكبر يتأمل فيه ويسترخي ويطلق العنان لخياله كي يحيك رواياته وأشعاره الرائعة.

وإذا لامسنا الحنين إلى الكتابة والتفكير في حديثه فسنعرف السبب وراء اختياره للبحرين رغم الخيارات المفتوحة على مصراعيها. إن غازي أُرهق من الاجتماعات والمناسبات وأراد أن يهرب من ضجيج العاصمة والزملاء الكثر إلى هدوء البحرين كي يشحن نفسه بالكتب وصيد السمك والتأمل ويخرج الشاعر الأديب الروائي الذي بداخله حيث يقول: "بداخلي إنسان مولع بالمعرفة والبحث لكن الوزارة سرقته". استطاع غازي أن يحقق كل ما حقق في مسيرته لكن ليس في آن واحد، إنه كان يضع تركيزه على شيء واحد في كل مرة، إما العمل الوزاري وإما الإبداع الأدبي والبحث. واستطاع غازي أن يتكيف مع شخصيته الانطوائية ولم تمنعه من التمثيل عندما كان في الجامعة ولا من رئاسة النادي السعودي للطلاب في أمريكا ولا من إتقان العمل الإداري رغم أنه يتهيّب الحضور، ورغم أنه يفرح عندما يصاب بحمى ويبقى في البيت وحيدًا. إن غازي بمسيرته وباعترافاته حول انطوائيته أثبت لنا أن الانطوائية ليست عائقًا عن الإبداع، وكل ما على الإنسان أن يتعرف على مواطن الضعف والقوة في شخصيته حتى يصل إلى ما يريد.

السعي إلى الكمال

"قال لي: لا تكتب، لا تكتب، لا تكتب. قلت لماذا؟ فقال: لا تكتب!"

أحد أحبتي

كلما قررت أن أكتب كتابًا، قال لي: لا، ليس الآن. وكلما سألته لماذا؟ قال لأنك لن تنجح، ولأنك صغير معرفيًا وأدبيًا وساق لي الأسباب. كان بودي أن يكون شخصًا غريبًا عني كي أقول إنه يكرهني ولا يريد لي الخير، لكنه من المقربين ولا يوجد لدي شك في أنه يحب الخير لي وهذا ما جعلني في حيرة. ما السبب وراء تحطيمه وتقييمه السلبي رغم أن أسبابه ليست واضحة؟ فهو فقط ينقدني دون أن يقدم لي أدوات النجاح، ظللت حائرًا حتى مررت بمصطلح يدعى "Perfectionism" ويعني السعي إلى الكمال، ومن يمتلك هذه الخصلة دائمًا ما يفضل تقديم شيءٍ مميزٍ لا يشوبه نقص، وطالما ليس هناك شيءٌ كاملٌ فإنه يحاول أن يقدم الشيء الكامل نسبة للبقية. وهذا ما قاله لي فعلًا صديقي الذي كاد أن يمنعني من هذا الكتاب: أريد أن تكتب شيئًا يصبح خالدًا مميزًا متقنًا. وبعدها بدأت ألتمس له العذر وعلمت أنه لا يريد تحطيمي بما يقول بل أن هذا من صميم شخصيته، تقول سوزان كين: "الانطوائيون يمتلكون هذه الصفة أكثر من الاجتماعيين والدليل أنهم لا يحبون أن يرى أحد عملهم حتى يتموه، وهم يعاكسون في ذلك الاجتماعيين الذين يميلون إلى التعلم من أخطائهم ولا يأبهون بأنظار الآخرين".

قد نقول أن السعي للكمال نقص وليس ميزة للانطوائيين فكما يقول المتنبي:

"ولم أر في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام"

لأن هذه الصفة ستجعلهم مشككين في قدراتهم، ومحبطين لمن حولهم

أيضًا وبذلك لن يقدموا شيئًا لأنفسهم ولا لغيرهم. قد يكون ما ذكرناه صحيحًا، لكن هذه ليست الحالة دائمًا فهناك كثير من المبدعين متصفون بهذه الصفة وعلى رأسهم الروائي الأعظم في تاريخ الإنجليز شكسبير والشاعر الروسي الأشهر عالميًا دوستوفيسكي الذي قال بعد أربع سنوات من روايته (مذلون مهانون): "أعتذر منكم على هذه الرواية فهي دون المستوى"، قالها لأنه يثق بامتلاكه لقدراتٍ أفضل مما ظهر في رواية مذلون مهانون، لكن بعد سنوات تم اعتبار الرواية باكورة ابداعات دوستوفيسكي وتم تصنيفها كإحدى أفضل رواياته على الإطلاق. لذلك يجب أن نعيد النظر في هذه الصفة؛ لأنها في حالة دوستوفيسكي تدفعه للأفضل ولا تعيقه، أعني أن الفارق كبير بين شخص لديه خصلة السعي إلى الكمال لكنه لا يسعى فعلًا إليه وبين آخر يسهر أيامًا وشهورًا في سبيل الوصول إلى الكمال الذي ينشده. عُدت بذاكرتي إلى صديقي لأرى ما إذا كان منتقدًا لا أكثر أم أنه يسعى للكمال فعلًا، فوجدته يسعى إليه ولديه من القدرات ما يؤهله لذلك. صديقي يسعى للكمال فعلًا لا قولًا، ويضع قدمًا هنا وهناك كي يقدم كل ما لديه لكنه يرفض رفضًا تامًا أن يقدم بحثًا أو قصيدة أو كتابًا لا يبهر الأنظار لذلك هو يعمل بصمت ولا يطلع على عمله أحدًا وينتظر أن يُثمر جهده عن أعمال أكثر إبداعًا.

هذه الصفة ذات وجهين حسن وسيء، فلو ذهبنا إلى مكتشف فكرة بنك الدم الذي كان في الأربعين من عمره عندما اكتشف الفكرة لكنه أخفاها في الأدراج وذهب ليعمل بجهدٍ أكبر وبعد إلحاح صديقه عليه أخرجه إلى النور وحفظ به أرواح البشر حتى يومنا. عندما تشتعل في هذا الشخص صفة البحث عن الكمال، فهنيئًا لنا به لأنه مستمر في عمله ولن يتوقف. لكن

ماذا لو أصابت شخصًا يخشى الإقدام فماذا سنجني غير نظرته السوداوية لأعمال من حوله؟ فهناك شخصيات تُدمرها عقدة النقص بدلًا من أن تدفعها للاستمرار. وعلى الوجه الآخر لا نستطيع تمجيد الانطوائيين كثيرًا بصفتهم هذه؛ لأن الاجتماعيين يتميزون بعدم اكتراثهم لمن ينظر إلى أخطائهم ومستعدون لإعادة الخطأ حتى يتقنوا العمل. فلو نظرت حولك سترى كثيرًا من الكتاب والعلماء لهم آراء وكتب لا ترقى لمستوى شهرتهم. كأن تقرا رواية لروائي مشهور وتصدم بالمستوى المتدني للرواية، خاصة إن كانت في بداياته. وهذا ليس عيبًا بل إنه من مزايا الاجتماعيين حيث يحكي علي الوردي عن باحث سُئل عن سبب وجود أجزاء رديئة في بحثه الرائع، فأجابهم قائلًا: "إني ممتن للأجزاء الرديئة فلولاها لما كتبت الجزء الجميل". ليس هناك طريقة معينة لبلوغ الأهداف، أحدهم يريد أن يجرب أمام الملأ والآخر يفضل التكتم حتى يخرج عمله وآخر يحب إخبار من حوله بما ينوي فعله مسبقًا، فلا تجبروا أحدًا على طريقة واحدة وافهموا الاجتماعي والانطوائي كلًا على حدة.

لنحتفل غدًا

"عشرة آلاف هي الرقم السحري للعظمة"

مالكوم جلادويل

أكاد أجزم من خلال بحثي أن الانطوائيين أكثر حبا للكمال والاتقان من الاجتماعيين وهذا ما يجعلهم يضبطون ذواتهم ولا يستعجلون الثمار والمكافآت، فالأضواء لا تغريهم للاستعجال في تقديم ما لديهم، هم يريدون الظهور ليقدموا شيئًا يحبونه لا أكثر، مما يجعلهم يقضون الشهور والسنوات في كهوفهم متدربين حتى الإتقان وإن تطلب ذلك عشرة آلاف ساعة من المران. إن ساعات التدريب التي يقضيها الإنسان بتركيز أو ما يسمى "Deliberate Practice"، هي أساس النجاح واللبنة التي تُبنى بها الشخصيات الفذة العظيمة. ربما تقول كلام مستهلك وقد سمعنا منه الكثير ومنه قول أديسون: "النجاح 1% إلهام و99% منه جهد". لكن الأمر لم يعد أحاديث وأقاويل بل تحول إلى نظرية تزداد دلائل ثبوتها يومًا بعد يوم، وجاء بالفرضية أولًا عالم النفس السويدي آندريس إيركسون وأسماها قاعدة العشرة آلاف ساعة. يقول إيركسون أن كل العباقرة والمبدعين حول العالم، بغض النظر عن مجالهم، تمرنوا ما لا يقل عن 10 آلاف ساعة مقسمة على 10 سنوات على الأقل، بمعنى أنهم يمارسون هواياتهم أربع ساعات يوميًا منذ صغرهم. قام العالم السويدي بدراسة السير الذاتية لكثير من المبدعين المشاهير حول العالم ووجد أن فرضيته أصبحت نظرية فلا أحد منهم مارس هوايته أقل من عشرة آلاف ساعة على مدى عشر سنوات، قد تحدث اختلافات لكنها

نادرة وبسيطة لا تخل بالقاعدة. يقول إيركسون: حتى وإن كنت تمتلك الموهبة فلن تستطيع أن تكون ظاهرة إلا إن قضيت عشرة آلاف ساعة من التدريب المركز، أي أنك لن تستطيع بلوغ النجاح إن كنت فقط تعيد ما تعرف مسبقًا إن العظمة تتطلب منك أن تسعى إلى الكمال وتقوي نقاط القوة وتحسن نقاط ضعفك.

بدأت الأبحاث في بدايات التسعينات الميلادية في إحدى أكاديميات تعليم الموسيقى في برلين، وتم تقسيم الطلاب إلى ثلاثة أقسام: أولها المبدعون الذين يتوقع لهم مستقبل باهر ثم ذوو المستوى الجيد المتوقع أن يكونوا معلمي موسيقى في المستقبل ثم المستوى الأدنى. قام طاقم العمل بتوجيه سؤاله لكل شخص: كم ساعة تتدرب على الموسيقى يوميًا؟ وعندما جمعوا النتائج وجدوا أن الذين توقعوا لهم مستقبلًا باهرًا منذ البداية كانوا يتدربون بشكل أكبر بكثير من البقية، والذين في المنتصف قاموا بالتمرن أكثر من الفئة الدنيا. وعندما قاموا بحساب عدد الساعات التي أفناها المبدعون في التدريب رأوا أنها تقارب العشرة آلاف ساعة وهنا كانت بداية النظرية. في هذه الأبحاث ثبت أن المعامل الأول في العظمة هو الجهد ثم الموهبة الفطرية وألمح آينشتاين إلى ذلك عندما قال: "لست أذكى من غيري، لكن الاختلاف أنني أبقى مع المسائل وقتًا أكبر". ورأينا العقاد يؤكد ذلك عندما استطاع حل مسألة معقدة عجز عنها أستاذه، ليس لأنه خارق الذكاء بل لأنه فرّغ نفسه لها وهذا ما يجعل الانطوائيين أكثر إبداعًا ويبدون أكثر ذكاءً رغم أن الأبحاث لم تشر إلى أنهم يتفوقون على الاجتماعيين في الذكاء لكنها فوائد العزلة.

ولنرى ما ذكرناه تطبيقيًا، علينا بالموسيقار النمساوي موتسارت الذي مات وهو في الخامسة والثلاثين من عمره بعد إنتاج ما يزيد عن ست مئة

قطعة موسيقية، ويعتبره الناس استثناءً لأنه بدأ العزف في السادسة من عمره لكنهم تجاهلوا أنه لم ينتج أعماله الخالدة إلا بعد تجاوزه العشرين من عمره بل ويصفه النقاد الموسيقيون بأنه أبدع متأخرًا.[20] عندما نعود إلى قصة موتسارت بالتفصيل سنجد أنه بدأ العزف مذ كان طفلًا والمقطوعات التي كان يعزفها من إنتاج والده واستمر بتدريبه حتى خرج إبداعه الحقيقي بعد أربعة عشر عامًا من المران وبالتأكيد اجتاز العشرة آلاف ساعة واستطاع بعدها أن ينتج مقطوعاته الست مئة. بعد قصة موتسارت يجب أن نتوقف عن نعت العظماء العرب بالعباقرة فطريًا لأنهم تركوا إرثًا عظيمًا رغم وفاتهم في سن مبكرة. وعلينا أن نسأل أولًا ونبحث عن عدد الساعات والجهد اللذين بذلوهما في البحث والمران عندما كانوا صغارًا، وعلينا أن نحسب تلك المرات التي فضلوا فيها البقاء داخل غرفهم يمارسون هواياتهم على الخروج في نزهة.

ولنذهب إلى المبرمج الثري الشهير بيل غيتس لنبحث أهمية الجهد، ذكاء بيل غيتس لا جدال فيه وحظي أيضًا بالتعليم في أقوى الجامعات، لكنه مع ذلك احتاج عشرة آلاف ساعة من البرمجة كي يكون أحد أثرياء العالم. بيل غيتس كان محظوظًا وهذا ما قاله بنفسه حيث أنه درس في مدرسة تمتلك معملًا للحاسوب في بداية الستينات عندما كانت بقية المدارس تفتقر لهذه الميزة. واستفاد بدوره من تلك الفرصة وقضى ساعات في المعمل حتى سنحت للطلاب فرصة الاشتراك في إحدى الجامعات لمدة سبعة أشهر في تطوير البرمجيات فلم يتوان بيل عن الذهاب. يقال أن بيل في تلك الفترة استعمل الحاسب الآلي لأكثر من 1575 ساعة، بمعنى أنه عمل على البرمجة ثمانيَ ساعات يوميًا وهو طالب في المدرسة. وزاد هوس بيل بالحاسوب لكن

Outliers. Malcolm Gladwell-20

معمل مدرسته أصبح مكتظًا ولم يعد كافيًا، فأصبح يستيقظ فجرًا ويذهب إلى الجامعة القريبة ليتمكن من استعمال الكمبيوتر لساعتين أو ثلاثة قبل أن يأتي الطلاب ثم يعود لينام قليلًا قبل الذهاب إلى المدرسة. عندما جُمعت هذه الكمية من الساعات مع فترة الأشهر السبعة تبين أنها تتجاوز العشرة آلاف ساعة[21] وحينها بدأ الإبداع حتى بلغ العظمة التي نراه بها هذه الأيام. يجب ألا نغفل ذكاء بيل لكن علينا ألا ننسى أنه تميّز عن أقرانه بكونه محظوظًا بتوافر معامل الحاسب الآلي جواره في وقت افتقدت فيه مدن العالم لحاسب واحد على الأقل. لتصبر على عشرة آلاف ساعة من التدريب فأنت بين خيارين: إما أن تكون انطوائيًا بالفطرة، أو أن تكون قد اتجهت إلى الانطوائية باختيارك واعتزلت الناس لإتقان هوايتك وفي كلتا الحالتين نحن مدينون للهدوء! أما في حالة بيل غيتس فهو معروف بالانطوائية وقد ذكر اسمه في كثير من المجلات عندما تحدثت عن الانطوائيين المشاهير وتحدثت عنه سوزان كين وتحديدًا عن كرهه لحضور الاحتفالات وإلقاء الكلمات وأنه يحب الاستماع أكثر ويعاني عندما يلتقي بغرباء. ويستغرب كثير من الناس وصول بيل غيتس لهذه الشهرة وهو انطوائي. وهنا نقول لو لم يكن انطوائيًا لما طوى العشرة آلاف ساعة ولما اقتحم الشهرة، إن طبيعته الانطوائية هونت عليه العزلة بلا شك. إن كل ما تحتاجه كي تكون مبدعًا هو أن تتدرب أكثر، أن تجتهد أكثر، أن تبقى في معزل أكثر، وبطريقة أو بأخرى الإبداع ابن العزلة فلا تقتلوها.

21- Outliers. Malcolm Gladwell

لن نخاطر

"نحيطكم علمًا بأن الاحتياط ليس خوفًا"

عبد اللطيف

قد لا يعجبك ربط صفة السعي إلى الكمال وقاعدة العشرة آلاف ساعة بالانطوائيين، لكننا لم نقل أنها حصرية لا يمكن للاجتماعيين أن يحصلوا عليها، لكننا نقول أنهم أكثر قدرة على الاستفادة من هاتين القاعدتين لأنهم مجبولون على العزلة. وأتمنى ألا يزعجك أن نربط بهم صفة ثالثة كذلك وهي عدم حب المخاطرة، فغالبًا ما يجنح الانطوائي إلى السير وفق خطة وقراءة كاملة للموقف ويحاول استبعاد أي محاولة تأثير على قراره حيث أنه يمتلك هوس المشاكل ولا يريد أن يقع في خطأ كي لا يتأذى من تبعاته. ولتتأكد أن هذه الصفة تعتبر أمرًا حاسمًا في تحديد ما إذا كنت انطوائيًا أو اجتماعيًا، اذهب إلى أي اختبار لتحديد الشخصيات وستجد عبارة تدندن حول العبارة التالية:

- أنا لا أحب المخاطرة، أحاول قدر المستطاع أن تكون خطواتي وفق خطة ولا أقوم بأي خطوة إلا إذا خلت من مخاطر متوقعة.

إن الاجتماعي لا يكترث عادةً بوجود مشاكل صغيرة، ولا يبالي أن يقبل على شيء فيه بعض من الخطر وأحيانًا لا يهتم بتقدير حجم المخاطر قبل أن يتخذ خطوة بل تجده متبعًا لمشاعر اللحظة، ولا يحسب حساب الأخطاء التي قد يقع فيها. أما الانطوائيون فغالبًا ما يريدون أن تبقى حياتهم صافية من أصغر المشاكل ويرغبون بالتخلص منها بأسرع وقت لذلك لا يقبلون على شيء تبعًا لأحاسيسهم وحدسهم، ويفضلون القيام بدراسة مستفيضة لتبعات

خطواتهم. مجموع هذه الصفات الثلاث لدى الانطوائي يجعلنا نفهم أنه أكثر قدرة على ضبط الذات والتحكم في النفس. وقد يقول قائل ما علاقة القدرة على ضبط الذات بعوامل وراثية كالشخصية؟ والإجابة أن التجارب التي أثبتت ارتباط ضبط الذات بالوراثة كثيرة وأبرز الكتب التي تدرس مسألة ضبط النفس كاملة "The Marshmallow Test" للباحث والتر ميشال وهو خلاصة عشرين عامًا من التجارب التي بدأت عن طريقة تجربة المارشملو. هذه التجربة شهيرة ويتم عادة تطبيقها على الأطفال ما بين الرابعة والسادسة، كي يضمنوا عدم تدخل عوامل التربية في الأمر حيث لم يتلقوا بعد قدرًا كافيًا من التربية، ويتم فيها قياس قدرة الطفل على تحمل مغريات شيء معين في الوقت الحاضر مقابل الحصول على شيء أكثر إغراءً في المستقبل. كأن يقوموا بوضع قطعة من الكاكاو أمام الطفل ويتركونه معها لمدة عشرين دقيقة بشرط ألا يكون هناك شيء يتسلى به، فقط كرسي وطاولة وقطعة الكاكاو ويقولون له إن صبرت حتى انتهاء الوقت فستحصل على قطعتين بدلًا من القطعة. بعد الانتهاء من الاختبار قاموا بتسجيل اسم كل طفل والمدة التي استطاع أن ينتظرها قبل أن يلتهم قطعة الكاكاو بالإضافة إلى رقم هاتف أمه. أول تجمع للأطفال مرة أخرى حدث لما بلغوا السابعة والعشرين من عمرهم والتجمع الثاني عند الأربعين، ووجدوا أن الذين صبروا المدة كاملة وتحملوها، أقل إدمانًا لأي شيء وأجسامهم تبدو بشكل أجمل بل ويتفوقون في التحصيل الدراسي. وهذا شيء بديهي؛ لأن التغلب على إدمان الأشياء يتطلب ضبط للنفس وعدم الانسياق وراء لذة اللحظة في سبيل الحصول على صحة أفضل مستقبلًا. والحصول على جسم أفضل يتطلب منك أن تمارس تجربة المارشملو كلما ذهبت إلى حفل وترى أطباق الأكل والحلويات أمامك وتقوم بتناولها في

حدود المعقول وتحرم نفسك من لذة اللحظة في سبيل أن تمتلك صحة أفضل مستقبلًا. والتحصيل الدراسي كذلك بحاجة إلى تقبل المكوث في المنزل والعزلة التي تحدثنا عنها في قاعدة العشرة آلاف ساعة في سبيل لذة النجاح والعظمة. هكذا نعلم ونتأكد أن جميع الصفات لها نصيب ومكان في تكويننا الوراثي؛ حيث أن الاختبار الذي جرى على الأطفال ما زال يحكم على تصرفاتهم بعد أربعين سنة، ومن خلال بحثي فإن الانطوائيين يمتلكون هذه الصفة بشكل أكبر من الاجتماعيين وحجتي في ذلك أنهم منعزلون عن تأثير الجماعة كما رأينا في جزئية الناجي من الغرق. فدائمًا ما تكون الجماعة سببًا في إغراء الطالب بالخروج بدلًا من الدراسة أو يكون أصدقاؤه سببًا في كسر نظامه الغذائي. وكم من الأشخاص الذين أعرفهم لا يستطيعون ترك التدخين بسبب أنهم يتأثرون بتلك الأدخنة التي تخرج مع زفير أصدقائهم فتأخذهم الرغبة في تدخين سيجارة، وهكذا حتى لا يمكنهم تركه. إن التغلب على الأشياء السلبية يتطلب قوة من داخل النفس لكن يجب أن يكون هناك عوامل خارجية مساعدة، والعزلة هي من تصنع المناخ الملائم للانطوائيين.

إن الأمر متعلق بحساسية اللحظة ومدى إغرائها إياك ومدى قدرة تعامل شخصيتك معها. وحسبما تشير سوزان كين في كتابها إن الانطوائي أكثر تجنبًا لإغراء اللحظة لأنه يخشى أيسر الخسائر، أما الاجتماعي فأكثر اندفاعًا لأجل لذة النهاية المرسومة في ذهنه دون أن يكلف نفسه عناء البحث عن المخاطر التي قد تأتي. أما لدى الانطوائي فالعكس يحدث، إنه لا يندفع من أجل لذة اللحظة وإن قام الأغلبية باتخاذ الخطوة فهو لا يكترث بالمكافآت أو الشهرة التي قد يحصلون عليها، كل ما يريده أن يتحرك بحذر ضمن خطة. وهنا يحدث ما نسميه بالخوف المفيد، بل ويستحق أن نسميه

الخوف الجميل حيث أنه أنقذ بعض الشركات من الانهيار الاقتصادي الذي حدث عام 2008، عندما نقلب ملفات الناجين من ذلك الانهيار سنجد أن أغلبهم نجا لأنه لم ينجرف مع التيّار ولم تجذبه لذة التسارع في جني الأرباح التي كان يحصدها من حوله. فلو أخذنا أحد الناجين ويدعى سيث كلرمان رئيس "Baupost Group" سنجده قابعًا في مكتبه طوال الوقت، كان الكل يحتفل بالأرباح ويقيم الحفلات وهو يرفض الذهاب، بقي جالسًا بين أوراقه يرتب الاحتماليات التي قد تحدث لشركته. هذه العزلة قادت سيث لوضع احتمال أن هذا الانفتاح الاقتصادي المتسارع سيسقط يومًا ما وربما في وقتٍ قريب واتخذ قرارًا ألا يدخل الشركة في مشاريع جديدة وأن يبقي معه سيولة مالية[22] للاحتياط. وهذا ما حدث فعلًا؛ قضى كلرمان عام 2006 و2007 في جمع أموال تسند الشركة في حالة انهيار السوق، وعندما جاءت طامة 2008 كانت شركته الأكثر أرباحًا والأكثر تحكمًا بالسوق الأمريكية! وعندما سألوه عن استراتيجيته قال ببساطة: "أن تكون حذر أجمل من أن تكون متأسفًا". يقول لا مانع أن يكون حذري ليس في محله لأنني لن أخسر شيئًا لو لم يصدق توقعي، لكن إن صدق فإنه سيقيني من التأسف للناس على أموالهم التي ذهبت ولا أستطيع إرجاعها! أما الناجي الآخر من هذه الأزمة يدعى ميشال باري الذي نجا بسبب انطوائيته وانعزاله وهذا ما قاله حرفيًا: "أنا أعيش بسعادة داخل عقلي وأفكاري". يحكى عن ميشال أنه كان يغلق على نفسه المكتب لساعات طويلة بين أكوام الأوراق ولا يكترث أبدًا لأي تأثيرات خارجية.

22-السيولة المالية هي أن المال التي تمتلكه على هيئة نقود وليس ممتلكات، فعندما قام سيث بحفظ المال بدلًا من شراء ممتلكات جديدة والدخول في مشاريع أخرى فهو حفظ الشركة من الخسارة لأن الشركات هي من تأثرت في الأزمة المالية، لكن المال لا يتأثر ما دام في صورة أوراق نقدية.

قد يقول البعض أن الحذر الزائد سلبي، لكن هذه نتائج الحذر الزائد مع هؤلاء، وهكذا نجا هؤلاء الانطوائيون أو الاجتماعيون المنعزلون من الأزمة لأنهم لم ينجذبوا لسحر اللحظة وفكروا في المستقبل. وهذا لا يعني بالتأكيد أن كل القادة الانطوائيين نجوا من الكارثة، من نجا هم أولئك الذين استفادوا من شخصياتهم التي تعيش داخل الأفكار وتسأل عن كل صغيرة وكبيرة وانعزلوا عن الناس عندما كان المكان ممتلئًا بالضجيج وعندما كان الكل مبتهجًا بالأرباح منغمسًا في لذة اللحظة. هنا تحديدًا تظهر قدرتك على ضبط الذات والاتجاه نحو الاختيارات الحكيمة التي لا يراها الأغلبية. وهذه الميزة ليست حكرًا على الانطوائيين فإن كنت اجتماعيًا فإنك تستطيع ضبط نفسك وترجيح المخاطر، كل ما عليك أن تستفيد من الهدوء وتذهب في معزل عن الناس لبعض الوقت لإعادة ترتيب الأوراق لتمنع نفسك من أخطار مستقبلية.

حكم مشاعرك

"الفرصة وليدة اللحظة فلا تقتلوها بالتفكير"

عبد اللطيف

إن الانطوائيين ليسوا ملائكة وكل الصفات التي ذكرناها كان هدفها تبيان الجانب الجميل منها وهذا لا يعني أن صفات الاجتماعيين المضادة لهم سيئة لا تحمل جانبًا جميلًا، بل قد تكون أفضل في بعض الحالات؛ ولهذا نريد أن نؤكد أنه لا توجد صفة قبيحة ولا شخصية قبيحة، كل ما في الأمر أن نكون أذكياء في التعامل مع شخصياتنا. ولذلك سنأتي بقصة كان بطلها ذا شخصية اجتماعية استفاد من تأثره بسخونة اللحظة والأحداث من حوله بل خطا خطوته الأولى بدافع الإثارة والعزيمة دون أي تخطيط. وهذا طبيعي من شخصية اجتماعية فهم معروفون بتأقلمهم مع التجارب الجديدة وخلوهم من رهبة الوقوع في الأخطاء وتمتعهم بنزعة للجديد والغريب. إن بعض القرارات تفسد بالتفكير، فإنها تأتي كالإلهام ويجب أن تتخذ فورًا، وإن تأخرنا لحظة فقد فات الأوان. الاجتماعيون هم أكثر من يجيد المبادرة واقتناص الفرص بلا خوف حيث يقول عالم النفس جوزيف نيومان عنهم: "يفكرون بشكل أقل لكنهم يتخذون قرارات بشكل أسرع ويعملون بشكل أكبر". وهذا ما حدث مع الشاب آدم براون، كل شيء كان وليد لحظة، وقف الكل في وجهه لكنه لم يحكم المنطق أبدًا، حكم المشاعر فصار من ضمن الشباب الأكثر تأثيرًا في العالم!

آدم براون كان ككثير من الشباب يحلم بالثراء دون أي هدف محدد،

وكان اجتماعيًا يهوى التنقل بين الحفلات والعلاقات ولا يستنكر الغرباء. عندما بلغ آدم التاسعة عشرة من عمره دخل إحدى قاعات السينما بعد إلحاح من صديقه ليشاهد فيلم البَرَكة. فيلم غريب، لا يحتوي على أحداث ولا حركة، فقط صور جامدة وموسيقى حالمة لمدة ساعة ونصف تعرض فيها مناظر من أربع وعشرين دولة من ضمنها منظر المعتمرين والحجيج في مكة المكرمة، وأثناء استغراقهم في هذه المناظر مرت بهم لقطة من الهند لم تكن كغيرها حيث كانت التحول غير المتوقع في حياة آدم. كانت لقطة فقراء مجتمعين على مياه متسخة يسبحون ويشربون منها، هنا اهتز آدم الإنسان وقال: هل يعقل أن أبقى في أمريكا باحثًا عن المال والنساء متنقلًا بين الحفلات وهؤلاء يعيشون بهذه الطريقة؟

غادر آدم السينما بعد أن اهتزت مشاعره والأسئلة لا تكف عن التدفق على رأسه الصغير، وبلا تفكير قرر آدم أن يدفع جميع أمواله التي جمعها منذ صغره في رحلة بحرية لمدة مئة يوم حول دول العالم وأغلبها دولٌ فقيرة وكأنه يريد أن يصل إلى شيء. قرار مليء بالمخاطر لأنك تبدد كل ما جمعت على شيء لا طائل من ورائه سوى ما تتخيله في دماغك أو مجموعة المشاعر التي أصابت قلبك من ذلك المنظر. المبلغ لم يكن سهلًا حتى أن والديّ آدم رفضا مساعدته وقالا: "إن أردت فاستخدم مدخراتك". ذهب آدم في تلك الرحلة ولم يكن فيها كبقية أصدقائه؛ فكأن الصدمة التي رآها في ذلك الفيلم كانت كافية أن تحول شخصيته من مهتم باللحظة إلى مهتم بما يحدث أثناء اللحظة فعلًا، كان أصدقاؤه يبتاعون الهدايا والتذكارات من كل بلدة، لكن آدم كان غافلًا عنها ويسأل كل طفل يراه في الطريق لو سألتك ماذا تريد من هذا العالم فماذا سوف تجيب؟ وظل مستمعًا إلى أجوبة عدة

إلى أن جاء الجواب القاتل عندما سأل طفلًا في دولة لاوس ماذا تريد؟ قال: أريد قلمًا!

صدم آدم من هذا الجواب، طفلٌ يريد قلمًا؟ أعطاه قلمًا من حقيبته وذهب ليسأل كبار القرية فأجابوه أن الأطفال هنا لا يتعلمون لأنهم لا يجدون مدارس ولهذا يرغب الأطفال في الأقلام كي يتعلموا كبقية الأطفال حول العالم. عادت الأسئلة تثير ضجيجًا في جمجمة آدم: "كيف لبلادي وبلدان العالم أن تتبرع بالمال والملابس والأطعمة لهؤلاء وهم لا يملكون أهم ما في الحياة: التعليم. أعتقد أن علينا تعليمهم وهم يقومون بعدئذٍ بصنع المال والملبس والمطعم". غادر آدم لاوس حالمًا أن يعود إليها مفتتحًا مدرسة فيها كي يتعلم الطفل الذي قال أريد قلمًا، غادر آدم وهو يحلم بأن يهديه مدرسةً لا قلمًا. إنها أفكار مجنونة مليئة بالمخاطرة واللاواقعية، إنها وليدة اللحظة وليست وليدة التفكير.

رجع آدم إلى أمريكا ودرس التخصص الذي يريد وهو المحاسبة ومرت أربع سنوات على الرحلة الأولى وأصبح عمره ثلاثة وعشرين عامًا، وقرر أن يعود مرة أخرى إلى الدول نفسها وحاول أن يأخذ من أسرته مالًا لكن لا أحد يريد أن يدعمه. قرر أن يعمل كي يحصل على المال وفعلها وعاد في رحلة أخرى إلى تلك البلدان، لكنها كانت أشد خطرًا من المرة السابقة، فقد كاد أن يقتل على يد مسلحين وبقي نائمًا في كوخ لمدة شهر ومر بقرية لا يعرف فيها أحدًا ومكث فيها فترة ليست بالقصيرة. وصل إلى لاوس بعد رحلة طويلة فألفى قرية اسمها فايونغ ورأى فيها مدرسة مكونة من فصل واحد صغير جدًا فقال: "يجب أن أبني مدرسة هنا وأكمل المسير". عاد بعدها إلى أمريكا وأخبر صديق أبيه التاجر بأنه يريد أن يذهب لبناء مدارس في الدول الفقيرة. فرد

عليه قائلًا: "أنت مجنون، اذهب إلى الشركة التي وافقت على توظيفك فهي شركة كبيرة وستجني كثيرًا من المال! واترك بناء المدارس حتى تكبر فأنت ما زلت صغيرًا". اقتنع آدم برأي كبير السن ذي الخبرة وقرر أن يلتحق بالشركة مؤجلًا فكرته الحالمة.

حصل آدم على مبتغاه القديم: مال، خمر، نساء وحياة عبثية بلا معنى، حتى بلغ به الملل منتهاه وقال إلى متى سأنتظر أموالي تكثر حتى أحقق حلمي؟ لابد أن أضحي. قرر آدم أن يبدأ بالخطوة الأولى وقام بإنشاء مؤسسة غير ربحية، ذهب وأنشأ لها حسابًا في أحد البنوك مقابل خمسة وعشرين دولارًا لا غير. وبعدها قام بعمل حفلات وجعل ريعها لبناء المدارس وجعل ثمنها منخفضًا وهو ما يقارب العشرة دولارات كي يضمن إقبالًا كبيرًا، خاصة إذا علموا أن مبلغ التذكرة يتضمن حضور الفعالية والتبرع. كان آدم يبحث عن فرصة يختلسها كي يذهب لبناء أول مدرسة في لاوس لأنه قد جمع مبلغًا كافيًا لذلك، وفي عام 2008 حدثت الهزة المالية وتضررت غالبية الشركات وقررت الشركة التي يعمل لها آدم أن تعطي الموظفين إجازة تسعة أشهر بلا مرتب لمن يريد. ليس من العقل أن تقبل إجازة تسعة أشهر بلا مرتب، لكن آدم قبلها دون تفكير من أجل نشوة الفرح بأول مدرسة!

ذهب آدم إلى لاوس وزار وزير التعليم وقام بإنشاء أول مدرسة وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين، إنجاز لا يصدق! خلال سبع سنوات فقط تحقق حلمه الكبير وبلا أموال طائلة! آدم لم يقف عند هذا الحد ولم يكتفِ بالمدرسة الواحدة وقرر أن يقوم بإنشاء أكثر من مدرسة، وقرر أن يترك عمله نهائيًا وأن يتفرغ لمؤسسته الخيرية وقام بجلب موظفين متطوعين وبدأ ينشر قصته عبر الفيس بوك وبدأت التبرعات تنهال. الجميع اتهمه عندما خرج من عمله

بالجنون لكنه قال أنا لا أريد مالًا أنا أريد أن أكتب قصة للأجيال، قصة كفاح وتضحية وإنسانية! يقول آدم: "أنا ولدت لغرض ما ولابد أن أفعله".

أسمى آدم شركته "Pencils of Promise" أو ما نسميه وعود الأقلام وكأن للأقلام وعودًا، وكيف لا وهي تحمل لواء التعليم وبدونها نبقى جميعًا في حلقة من الجهل، إن للأقلام وعدًا تقوم عليه الأمم ويجب أن نكافح لتحقيقه. بدأت الشركة تأخذ وضعًا جيدًا في السير إلى الهدف لكن آدم تحصل على عرض مغرٍ من صديق أبيه ليعمل معه في تجارته بمقابل كبير، وبعد ضغط من أبيه وصديقه قرر القبول، لكن في طريقه إلى صديق أبيه وجد رسمًا على الأرض يقول: "كن حلمك". هكذا عادت المشاعر ونشوة اللحظة لتؤثر على آدم مرة أخرى وكأن العبارة تناديه، فقرر العودة والاعتذار عن قبول العرض ليكمل مسيرته مع الحلم. التبرعات ما زالت تنهال فهاهم المتطوعون في الشركة يطالبون أصدقائهم بهدايا مالية بدلًا من العينية في أعياد الميلاد ليدفعوها في بناء المدارس. جهد كبير قام به الجميع برئاسة آدم حتى تم تنفيذ مئة مدرسة خلال أربع سنوات! حصل آدم بهذا على الشهرة وحقق الهدف في آن واحد ولم يتوقف وما زال مستمرًا في حلمه الذي يكبر يومًا بعد يوم حيث أن شركته أنشأت ما يزيد عن ثلاث مئة مدرسة في غواتيمالا ولاوس وغانا. ما فعله آدم لا يفعله الانطوائي، وسيدرك هذا من استوعب الجزء الماضي من الكتاب، نعم أثنينا على تخطيط وعقلانية الانطوائيين عندما أنقذوا بعض الشركات من الخسائر الكبيرة لكن علينا أن نثني على عدم التخطيط وعلى التسرع والمبادرة لأنها الصفات التي انتقدناها فيما مضى لكنها كانت السبب في تعليم كثير من الفقراء.

الفصل الرابع

الذكاء الممتنع

"الجميع يستطيعون أن يكونوا عظماء مهما كانت شخصياتهم، بشرط أن يجيدوا التعامل معها وذلك هو الذكاء الممتنع"

عبد اللطيف

راسلتني إحدى الانطوائيات عبر البريد الإلكتروني تقول: "توجهت إلى الإعلام وثار من حولي، جميعهم يقولون: أنتِ خجولة، فكيف لك أن تنجحي في الإعلام؟ ما تفعلينه ضرب من الجنون! لكنني ما زلت على ثقة بأن الانطوائي يمتلك قدرات اجتماعية يستخدمها متى ما أراد". كانت هذه العبارة أكثر ما علق بذهني من الرسالة: "أنتِ خجولة، فكيف لك أن تنجحي؟" لأنها تحمل مغالطتين تشبه الأساطير التي تعلق بذهن المجتمع لا تنفك عنه أبد الآبدين، المغالطة الأولى هي وصف الفتاة بالخجل رغم أنها ليست خجولة والسبب أنها انطوائية. كثير منا يعتقد أن الانطوائية والخجل صفتان متلازمتان وهذا ما أثبتت خطأه الدراسات حيث أكدت وجود بعض الانطوائيين الجريئين، ولكن اللبس الذي يحدث لدينا سببه أن الانطوائي والخجول متشابهان، فكلاهما يفضل البقاء بمفرده ولكن لأسباب مختلفة، الأول لأنه يحتاج العزلة والآخر لأنه خجول، ولأن الانطواء والخجل صفتان لا تريان لا نستطيع التفريق بينهما فنعتبرهما متلازمتين. ومن أبرز الأمثلة على الانطوائيين الجريئين الممثلة الأمريكية الانطوائية أودري هيبرون التي تعتبر إحدى أشهر نساء القرن العشرين في أمريكا، عملت هيبرون كممثلة وعارضة للأزياء وسفيرة للنوايا الحسنة، كانت تتنقل ما بين صالات العرض وكواليس

الأفلام وتفرغت في نهاية حياتها للدفاع عن حقوق الإنسان. فعلت كل هذا رغم انطوائيتها الشديدة، لذلك لا يصدق أحد انطوائيتها. إن انطوائية هيبرون لم تأت من تحاليل العلماء وقراءات الباحثين بل انبعثت من كلماتها، حيث تقول: "أنا انطوائية، أحب أن أجتمع بنفسي، أحب أن أمشي بمفردي. أريد أن أتأمل الأشجار والزهور وأن أنظر إلى السماء". عبارات تشعر فيها بازدحام معاني الانطواء، إنها ليست انطوائية فقط، بل تتلذذ بالانطوائية واستطاعت أن تحقق كل هذا النجاح في العالم الخارجي.

أما المغالطة الثانية فهي أن الإعلام لا يصلح للانطوائيين، وهذه المغالطة تعود إلى الصورة المتشكلة في أدمغتنا عن الممثلين والخطباء والإعلاميين، حيث نتصور أنهم لا يجلسون في بيوتهم ويفضلون التنقل بين الحفلات ولديهم أصدقاء كثر لذلك يجب أن يكونوا اجتماعيين وإلا فلن ينجحوا. لكن هيبرون تكسر هذه القاعدة أيضًا، فهي تعتبر فضلى الممثلات في تاريخ أمريكا رغم أنها تفضل الانطواء والعزلة على الاجتماعات. قد يقول البعض أنها تبالغ وقد تكون أطلقت مقولاتها الانطوائية في حالة من الضيق، فكثير من البشر يحتاج إلى أن يلجأ إلى نفسه في حين من الأحايين، لكن ابنها جاء ليرد الشكوك بعدما أصدر مذكراته عن أمه، يتحدث عن عشق أمه للحدائق: "إنها تقضي معظم وقتها في الحديقة بمفردها تزرع وتسقي الورود والأشجار". كيف لاجتماعي أن يقضي معظم وقته متأملًا وردًا يزهر بدلًا من الخروج مع زملاء المهنة الذين لا يحصون عددًا؟ إن علاقة هيبرون مع الحدائق تتعدى مهنة الساقي والمتأمل إلى العاشق فتلك الأولى قد يقوم بها الاجتماعي وقت فراغه لكن هيبرون تخصص وقتًا كبيرًا للحديقة وهذا ما لا يستطيع الاجتماعي بأي حال من الأحوال فعله.

إن العامل الذي قاد هيبرون للنجاح في مجال مليء بالشهرة والأضواء

رغم أن الأضواء تزعج الانطوائيين بشكل عام هو ذكاؤها في التعامل مع شخصيتها. هيبرون كانت تدرك أن شخصيتها تختلف عن بقية زملائها، وأن خروجها المستمر يستنزف طاقتها فلن تقوم بعملها بشكل جيّد في اليوم التالي. لذلك كانت تلجأ إلى البقاء بمفردها معظم وقتها لتستعيد طاقتها كما قالت في إحدى المقابلات: "أحب البقاء بمفردي معظم الوقت، أشعر بسعادة غامرة إذا قضيت عطلة نهاية الأسبوع بمفردي في شقتي لتتم عملية إعادة شحني". إن هذا الذكاء في التعامل مع الشخصية هو سبب نجاحها، فلم تجبر هيبرون نفسها على فعاليات وطقوس تستنزف طاقتها وأتقنت التعامل مع شخصيتها بالطريقة التي جعلتها أكثر جاهزية للإبداع. وهو كل ما تحتاجه الفتاة التي تريد أن تصبح إعلامية؛ فلا توجد شخصية محددة للإعلاميين وجميعنا يستطيع أن يصبح ما يحب إن كان يجيد التعامل مع شخصيته.

إن مصطلح التعامل مع الشخصية بذكاء أتى على لسان الانطوائي بيل غيتس صاحب شركة مايكروسوفت الذي وصل إلى أقصى درجات النجاح رغم انطوائيته. بلغ بيل من النجاح ما جعله ظاهرة لدى الغرب، وجعلهم يتساءلون عن كيفية نجاحه رغم أنه يفضل الانعزال في المكتب، كان رده غاية في البساطة: "الانطوائي يستطيع أن يفعل كل شيء، فقط يجب عليه أن يتعامل مع شخصيته بذكاء!". سحرتني كلماته ورأيتها شبيهة بعبارة قالتها فتاة تدعى سلوى: "الانطوائية، جرأة من نوع آخر". شعرت بذكاء كبير يتسرب من كلماتها وبارتباطٍ وثيق بينها وبين ما يقوله بيل فهو يتحدث عن الذكاء في التعامل مع الشخصية وهي تقول أن الانطوائية جرأة من نوع آخر، وكلا العبارتين تدلان على أن الانطوائي يمتلك قدرات كافية للإبداع في أي مجال لكن كل ما عليه أن يتعامل بذكاء.

تحكي سلوى قصتها: "أنا انطوائية إلى أبعد حد، وتخصصت في الجامعة تخصصًا ليس له مستقبل إلا التعليم. وعندما وصلت إلى مرحلة التطبيق، قلن المشرفات أنني لن أنجح لأني لا أتحدث معهم وكثيراً ما أكون في معزل، وقلن أني بحاجة إلى الجرأة وأن شخصيتي غير مناسبة للتعليم. لا أدري كيف قاموا بتقييمي، هل عليَّ أن أتحدث مع الجميع لأثبت أهليتي للتعامل مع الطالبات؟ وما علاقة انطوائيتي بالخجل؟ لكني لم أكترث لأني أعلم مدى قدرتي على النجاح، وهذا ما حدث عندما أصبحت معلمة، بدأ الجميع يثني علي وأصبحت أقرب المعلمات للطالبات وحصلت من جميع المشرفات على العلامة الكاملة. وفي إحدى المرات قامت بتقييمي الوكيلة المعروفة بشدتها وأعطتني الدرجة كاملة وأضافت أنها أعجبت بالشرح وكادت أن تشارك مع الطالبات". أثبتت سلوى لمن حولها أن مهمة التعليم ليست حكرًا على الاجتماعي، وأن الخجل ليس سمة ملازمة للانطواء، واستطاعت أن تتفوق على من يعتبرون أنفسهم اجتماعيين. نجحت سلوى لأنها تحب عملها، نجحت لأنها تعرف متى تكون جريئة ولأنها تعلم أن لديها طاقة محددة إن استنفذتها في الحديث مع المعلمات فلن يبقى للطالبات شيء, لذلك تبقى صامتة في ساعات الفراغ كي تجمع قواها. إن التعامل مع أنفسنا هو أسهل أنواع التعامل لكن لا يتقنه الجميع، لذلك هو الذكاء الممتنع.

كُن نفسك!

"لماذا لا نُعامل الخجل، على أنه وردٌ يزهر على حديقة تُدعى وجنتين، ما أجمل ذلك المنظر!"

عبد اللطيف

انتهينا من أن الانطوائي ليس خجولًا بالضرورة، بالتالي قد يتسنى له العمل في أماكن تتطلب جرأة، لكن ماذا عن الانطوائي الذي جمع الخجل والانطواء هل تُحدد وظيفته وتحطم آماله بناءً على خجله؟ لو افترضنا أن تلك الفتاة التي تقول بأنها انطوائية وتريد أن تصبح إعلامية خجولة كذلك! هل سيبقى ردنا كما هو وهل سنطالبها بالذكاء الممتنع؟

هناك فتاة اسمها تيفاني يكاد الخجل أن يمزقها تمزيقًا على حد تعبيرها، لكنها لم تتوان عن المضي قدمًا تجاه حلمها بأن تكون صحافية. الجميع قال بأنها ستكون متوترة مترددة وتحت ضغط كبير لأنها انطوائية وخجولة، كبرت تيفاني وأصبحت محررة في إحدى الصحف بكل امتياز وحققت نجاحًا باهرًا يدل على مستقبل مشرق. تقول تيفاني أن هدوءها وخجلها كانا ميزة لها عن غيرها لا عيبًا حيث كانا سببًا في تقدمها على زملائها لبقائها في معزل عن الناس، تفكر كثيرًا وتضع الكثير من الملاحظات على تصرفاتها. ومن طبيعة الخجول ألا يتحدث كثيرًا لذلك هو مستمع جيد لما حوله وهذه صفة رائعة للصحافيين، بل قد ينقذها خجلها من الوقوع في تصريحات تقودها إلى نهاية مهنتها الصحافية. إن ما تفعله تيفاني مع شخصيتها ليس ذكاءً ممتنعًا فقط بل تقبلًا للنفس كما هي، فعندما تتقبل شخصيتك تتكشف لك إيجابيات الصفات التي طالما ظننتها سلبية. قد لا يروق لك هذا المثال، وقد تقول أن

الخجول سيسقط في بعض التخصصات وإن استخدم ذكاءه الممتنع. فإن نجح في الإعلام فلن ينجح في المفاوضة مثلًا؛ لأنها تتطلب كثيرًا من الحديث والذكاء الاجتماعي. لكن مَن قرر أن المفاوضة تتطلب كثيرًا من الحديث؟ ومن الذي افترض أن الانطوائي والخجول أغبياء اجتماعيًا؟ هذا كله من صنع عقولنا، فعندما تخطر على بالنا المفاوضة نقوم باستدعاء لا إرادي لشخصيات عالقة بأذهاننا وغالبًا ما تكون شخصيات لها هيبة ومتحدثة تمتلك صوتًا أعلى، وكثيرًا ما أسمع حولي عبارة "هذا شخص لديه حجة"، وعندما رأيت من يوصفون بأصحاب الحجة اكتشفت أنهم يجادلون لا أكثر ودائمًا ما يتمسكون بآرائهم. وهذه الصفة نقص لا ميزة؛ لأن علو الصوت وكثرة الجدال لا تنفعان دائمًا في الإقناع، فقد يصمت من حولك لأنك أعلى صوتًا، لكنك لن تخترق عقولهم وإن وصل صوتك عنان السماء.

إن للحوار والإقناع والمفاوضة متطلبات كثيرة لكننا للأسف ما زلنا نربطها بالقدرة على الحديث، إن مهارات التحدث مهمة، لكن لماذا لا نتحدث عن صفات الهدوء والاستماع مثلًا كإحدى أركان الشخصية المناسبة للتفاوض والتي يمتلكها الانطوائيون والخجولون بشكل أكبر. قد يكون الهدوء والاستماع كل ما تحتاجه كي تنتصر في المفاوضات، فإن الذي لا يمتلك الهدوء يسهل استفزازه ولن يستطيع الإمساك بزمام الأمور، وإذا كان يفتقد مهارة الاستماع فلن يتمكن من أخذ رؤية شمولية للموقف. لكن البعض سيأتي ويقول حتى مع امتلاك الانطوائي للاستماع والهدوء سيظل أقل كفاءة من الاجتماعي في عملية المفاوضة لأنه لا يحتك بالبشر كثيرًا ولن يستطيع التعامل معهم. لكن في الحقيقة هو من يجهل أن الانطوائي عندما ينطوي تجره الأفكار إلى التفاصيل الدقيقة التي لا نراها فقد يختلط بعدد أقل من الأصدقاء ويشارك في فعاليات قليلة لكنه عندما يعود للجلوس مع نفسه يفكر بأدق

تفاصيل تلك الفعاليات ويفحص ردود أفعال أولئك الأصدقاء بل ويحلل كل موقف وأسباب حدوثه ويأخذه التفكير أحيانًا إلى محاولة تحليل شخصية الآخر. وفهم الشخصيات وأسباب حدوث الأشياء سلاح فتاك في المفاوضة وهذا ما أشارت إليه إحدى الانطوائيات عندما قالت: "أعظم أسلحتي هو فهمي للآخر وقدرتي على التعامل مع شخصيات عديدة وهذا بسبب بقائي بمفردي وتحليلي للآخرين". وأخذتني أخرى إلى أبعد من ذلك: "أنا في غاية الانطواء والهدوء، وأفكر كثيرًا في تفاصيل الأمور إلى الدرجة التي جعلتني أراقب تعابير زميلاتي في المدرسة عندما تحدث مشاجرة، أشعر بأن التعابير تخبرني من المخطئ ومن المصيب، أشعر أنها تدل على شخصية كل منهما، أشعر بأن التعابير تتحدث بصمت". ما هذا الاستغراق في التفاصيل؟! ما هذا العمق الذي يرونه في تفاصيل نراها بلا معنى؟! لماذا نهمل هذا العمق عندما نتحدث عن الانطوائي كقائد أو مفاوض؟

إن المفاوضة ليست حكرًا على الاجتماعيين وهذا ما تثبته الانطوائية الخجولة لورا إحدى خريجات هارفرد، بدأت لورا مسيرتها العملية في وول ستريت كمحامية وكانت تعتقد أنها لن تتمكن من أداء وظيفتها بشكل جيّد؛ لأنها تتطلب احتكاكًا أكثر بالأشخاص وتتطلب جرأة وهي لا تملك من ذلك شيئًا. لمدة ثلاث سنوات لم تستطع لورا التأكد من أحاسيسها هذه؛ لأن المحامي الرئيس كان يقوم بجميع الأعمال، وجاء اليوم الموعود وخرج المحامي في إجازة مفاجئة وتركها في مهمة تفاوضية رفيعة المستوى مع وفد من أمريكا الجنوبية ووفد بنكي وكانت عن اتفاقية يريدون إبرامها بشأن سلفة بنكية. بدت لورا متوترة حيث كانت محاطة بالوفود، وكان الجميع على قدر عال من المهارة في التفاوض، بدأت رئيسة الوفد البنكي في الحديث وقالت: سنكون سعداء إن تمت الموافقة. في تلك اللحظة كانت ترغب لورا في الاختفاء عن

الأنظار لكنها آمنت ألا مجال للاختفاء ولابد من التحدث، وقالت لنفسها: "لورا، حاولي إنهاء اليوم بأقل الخسائر واذهبي للبحث عن عمل آخر يناسب شخصيتك واتركي المفاوضة للاجتماعيين".

قررت لورا أن تبدأ بالحديث، تحدثت على طبيعتها وبخجلها وبهدوئها المعتاد ولم تحاول رفع وتيرة صوتها وصنع كاريزما غير موجودة. بدأت حديثها بأسئلة بديهية لتستعيد قوتها وتثبت وجودها، ثم حاولت طرح أفضل الحلول التي تراها من صالح الشركة، وطال النقاش لكنها كانت تعطي إجابات وأسئلة مختصرة وفعالة بهدوء تام؛ لأنها ترى أن الصفقة حتى الآن ليست من صالح الشركة ماديًا، لذلك هي تحاول إما إطالة النقاش أو أن تصل إلى حل آخر. وهذا ما استفز أحد الحضور فرمى بأوراقه وخرج من صالة النقاش، وهنا جاءت فرصتها لتطلق نقطة قوتها الأخرى وهي الهدوء، فعندما خرج ذلك الغاضب تصرفت وكأنها لا ترى شيئًا وكأن شيئًا لم يكن، انسحب بعدها الحضور ولم تتم الصفقة. يقول أحد الحضور أن هدوءها بعد خروج أحد المفاوضين هو لحظة التفوق واستطاعت بفضلها تخليص الشركة من صفقة خاسرة. وأردف قائلًا: لورا كانت تستخدم أسلوبًا رائعًا في المفاوضة يسمونه جيو جيتسو وهو نوع من أنواع المفاوضة وأخذ اسمه من رياضة الجيو جيتسو اليابانية الشبيهة بالتايكوندو. إن اختيار الاسم ذكي جدًا؛ لأن هذه الرياضة تعتمد على قوتك فقط بلا أسلحة ويسمح باستخدام الأسلحة البسيطة في بعض الأحيان. وهذا ما كان لدى لورا فقط، سلاح الهدوء والمنطق والتفكير العميق، الأسلحة التي لا نراها شيئًا، لكنها تفوقت بواسطتها على أكثر من شخص.

ذهبت لورا إلى منزلها في محاولة لنسيان ما حدث وما زالت عازمة على الرحيل عن هذه الوظيفة، استلقت لورا لتقرأ رواية تنسيها ما حدث؛ فهي تعتقد أنها فشلت فشلًا ذريعًا، لكن الصبح أسفر باتصال غير منتظر. اتصال

من قائدة الفريق البنكي لتعرض عليها عملًا وقالت: "لم أرَ في حياتي شخصًا ناعمًا وهادئًا وحازمًا في آن واحد، إننا بحاجة محامٍ مثلك يساعدنا في التفاوض وتسوية الأمور". من يلاحظ تصرفات لورا وقت المفاوضة سيرى أنها تعاملت مع خجلها الذي يظنه الناس نقطة سلبية بشكل رائع، تعاملت معه كما هو فلم تحاول أن تصبح أكثر جرأة. ولم ترفع صوتها وتختلق كاريزما غير موجودة كي تجعلهم يصمتون ولم تطنب في الكلام كي تظهر أنها متحدثة. بقت كما هي بإجاباتها المختصرة ونبرتها المنخفضة وكانت نقطة قوة لها. إن ما فعلته لورا ليس مقتصرًا على المفاوضة بل نستطيع تطبيقه في مجالات كثيرة، أولها الخطابة التي يخافها كثير من الناس. إن جميع من يفشلون في الخطابة يفشلون؛ لأنهم يحاولون التقليد ولا يحترمون ذواتهم ولا يكونون كما هم ولا يتحدثون بلهجتهم الأصلية أحيانًا. إن عدم تقدير الذات ومحاولة التقليد انسلاخٌ لا يؤدي إلى نتائج جيدة، ما حدث مع لورا جعلني أتذكر كتابًا عن التعامل والشفقة على الذات[23]، تتحدث الكاتبة عن إحدى عملائها: "جاءتني سيدة تعاني من ظهور علامات على وجهها من شدة الخجل مما يسبب لها حرجًا في الاجتماعات والندوات. وقلت لها: ارضخي للحقيقة يا سيدتي أنتِ خجولة فلماذا تريدين أن تكوني جريئة؟ الخجل كلون بشرتك، اقبليه ولن يخذلك". وبالفعل قامت بتنفيذ النصيحة ووجدت أنها أصبحت أكثر راحة أمام الناس وأصبحت تقدم ما لديها ولا تتأثر بوجود احمرار على خديها بل تعامله على أنه ورد يزهر على حديقة وجهها.

إن الخجل ليس عائقًا دون التألق في التمثيل والإعلام وما شابه، فلو أخذنا الممثلة السويدية الانطوائية إنغريد برغمان مثالًا، سنجد أنها حققت

23- The Mindful Path to Self-Compassion. Christopher K. Gemrmer

بخجلها ما لم يقدر عليه الجريئون، إنها رغم خجلها الشديد استطاعت أن تحقق جائزة الأوسكار مرتين. استطاعت لأنها استفادت من خجلها الشديد وانطوائيتها التي جعلتها حساسة بالدرجة الأولى، وتتبين أحاسيسها من خلال قولها: "كل ممثل يستطيع البكاء، لكن من يقنع المشاهدين أنه يبكي؟". إن القدرة على الدخول في أجواء التمثيل كأنها حقيقة من نقاط قوة الانطوائيين وتزداد كلما كان الإنسان أكثر حساسية فكما يقول كارل يونج: "الانطوائي يعيش داخل أفكاره وأحاسيسه". وهنا تكمن قوة إنغريد وهيبرون، تكمن في قدرتهم على تجسيد المشاعر وكأنها تحدث حقيقة لا تمثيلًا.

مشكلة الخجل الكبيرة أن البعض يعتقد أنه يمنع صاحبه من المطالبة بحقوقه لكن لا علاقة للخجل بالخنوع فهاهي إنغريد تقول: "أنا أكثر فتيات العالم خجلًا، لكني أمتلك أسدًا بداخلي لا يصمت". تقول إنغريد نعم خجولة لكن لست ضعيفة، وبداخلي أسد يزأر عندما أحتاجه ولمشاعري دويّ يسمعه كل من يشاهدني وإن لم أتحدث. نحن بحاجة إلى إعادة رسم صورة الخجل في أذهاننا وألا نجعل الخجل عائقًا، فإن الخجل صفة موجودة في البشر بشكل طاغٍ، حيث تشير الإحصائيات إلى أن نصف الأمريكيين في عام 1990 يعتبرون أنفسهم خجولين! فإن كنت خجولًا فلا تعبث بخجلك، فقط تعامل معه بشكل جيّد، وكل ما عليك أن تكون نفسك كما تقول إنغريد برغمان: "كن نفسك، فإن العالم يقدس الأصالة"!

كاريزما الصمت

"وقد يكون الصمت مسموعًا، وقد يخرق الصدى جبلًا"

عبد اللطيف

إن الجبال ما زالت صامدة على مر القرون رغم ما يمر بها من زلازل وبراكين، ورغم عبثية شكلها إلا أنها تبدو جميلة. وتبدو بعض الجبال صامتة وهي ليست كذلك، إنها تصرخ بلا صوت، ويرضخ أمامها كل صوت! ليست الأشياء الجامدة كلها فاقدة للصوت، فهاهي الأهرامات تحكي لكل من مر بجوارها في لحظات عن حضارة السبعة آلاف سنة وترميه في متاهات الأسئلة. هذا ما يجري في الأشياء الجامدة حيث أنها تستطيع التحدث دون الحاجة إلى اللغة أحيانًا، لكن هل يمكن لنا نحن الأحياء أن نتحدث بصمت؟ مفارقات عجيبة وجدتها في الجبال، وتساءلت هل من الممكن أن يكون هناك إنسان بمواصفات جبل؟ محبوب رغم عدم امتلاكه مهارات لغة الجسد، أو مسموع الصوت رغم أنه لا يحب الحديث كثيرًا؟ هل من الممكن أن يقود شخص بالغ الانطوائية جموعًا غفيرة؟ وهل يستطيع الإنسان أن يصنع هيبة بشفاه صامتة لا تتمتم إلا عنوة؟ أم أن الهيبة والقيادة مقتصرتان على المفوهين المتحدثين؟

كانت إجاباتي كلها، مستحيل، نعم مستحيل أن يقود الصامت جيشًا مثلًا! لكني وجدت ضالتي وما يعاكس إجاباتي في حديث آدم قرانت أستاذ الإدارة وعلم النفس الأمريكي عن قائد عسكري أمريكي يتقلد رتبة رفيعة في الجيش، رتبة تلي الجنرال مباشرة. يقول آدم: "هذا القائد، هو أفضل قائد رأيته في حياتي، لكن الغريب في الأمر أنه أكثر الأشخاص انطوائية من الذين

رأيتهم في حياتي إلى درجة أن التوتر الذي يصيبه عندما يزداد عدد الغرباء من حوله يجعله يفقد التركيز، ويفضل أن يبقى وحيدًا لمدة طويلة ومع ذلك لم تؤثر شخصيته على جودة عمله إطلاقًا بل زادته إتقانًا. وعلاوة على ذلك، قائدنا هذا لا يجيد البتة لغة الجسد وليست لديه مهارات الخطابة الحماسية".
وهذا يدخلك في حيرة مع نفسك، حيث تشعر بأنك كنت في أكذوبة طيلة حياتك، لقد قضينا حياتنا معتقدين أن القادة العظماء دائمًا ما يكونون اجتماعيين وأصحاب أصوات جهورة ومتمكنين من لغة الجسد. لكن هذا القائد الانطوائي يجعلنا نتوقف لنعيد النظر في هذه المواصفات ويقول: مهلًا! مهلًا! هناك مواصفات أخرى نستطيع أن نستخدمها نحن الانطوائيين لنكون قادة عظماء!

من أبرز نقاط القوة لدى هذا القائد، أنه مستمع رائع يركز على جمع المعلومات من أفراد الفريق أكثر من أن يسيطر على الاجتماعات والمحاضرات، لذلك تجده يستفيد من وجود أكثر من عقل معه في غرفة الاجتماعات فهو لا يقوم بحصر الانتاجية بصوته ولا يوجه انتقادات مباشرة لأي شخص، فقط يدوّن ما يقولون. لم تكن صفة الاستماع معتبرة في علم الإدارة ولا في كتب تطوير الذات فكلها كانت تشجع على الخطابة ولا تشجع على الاستماع، أما الآن فأصبح الاستماع من أهم الصفات لدى القائد وهناك دورات للإداريين كي يحسنوا من استماعهم. وإذا كان الاجتماعي بحاجة إلى تحسين عنصر الاستماع لديه، فإن الانطوائي بالفطرة يمتلك شهادة حسن الاستماع، وهذا ما وجدته في أحاديث الانطوائيين إلي حيث أجمعوا كلهم أن الإصغاء أبرز صفاتهم.

إن حسن الاستماع إلى المرؤوسين لا يؤدي فقط إلى الاستفادة من

آرائهم بل يصنع للقائد مكانة في قلوبهم؛ لأنه يأخذ بآرائهم ويقدر لهم أفكارهم ومشورتهم. ومما يزيد من هذه المكانة هو أن ذلك القائد العسكري كان يوكل إلى مرؤوسيه مهام كبيرة ويجعلهم يقررون بالنيابة عنه أحيانًا ويتخذون قرارات مصيرية مما أشعرهم بالثقة. وهذا يعود إلى أن الانطوائيين بشكل عام لا يحبون الأضواء ولا يحبون أن تزداد شهرتهم كما رأينا لدى غازي وآينشتاين. لذلك لا يهتم ذلك القائد إن كان الإنجاز سيسجل باسمه أم باسم مرؤوسيه. كل هذه الصفات جعلت أفراد الجيش يصمتون عندما يتحدث حتى وإن كان صوته أهدأ من صوت دبيب نملة، وأكثر مللًا من تتبع خطواتها، هكذا نجح الصامت الانطوائي في قيادة جيش بأكمله.

يختم آدم حديثه بأن كل الدراسات التي درست ارتباط القيادة بالشخصية لم تكن جادة ولا توجد دراسة واحدة تثبت أن الانطوائيين غير صالحين للقيادة، كل ما في الأمر أن العرف فرض علينا ذلك. فإن كنت انطوائيًا ولديك نزعة قيادية، لا تقل إنك لا تملك لسانًا فليس في اللسان خير إن استخدم في الجدال والتملق، اذهب وخض غمار التجربة فقد تهمس ويخرق صداك الجبال!

المدير الصامت

"ليس بالضرورة أن يكون القائد هو الأكثر احتكاكًا بالبشر، قد يكون الأكثر احتكاكًا بالكتب أفضل القادة!"

عبد اللطيف

أشبه بالفلاحين من حيث البساطة ويفضل العكوف على الكتب على أن يخرج مع الأصدقاء، وهذا ما جعله يحقق درجات عالية في تخصصين مختلفين وحصل في كليهما على درجة البكالوريوس. الكل كان يراه بعيدًا كل البعد عن الإدارة، فالدرجات العالية غالبًا ما تكون مؤشرًا لأستاذ أكاديمي قادم أو باحث. وطالما أنه لا يحب الخروج كثيرًا ولا يعرف ما يحدث في الخارج فعلى الأرجح أنه فاشل بدرجة امتياز إداريًا. هكذا كانوا يصفون الأمريكي داروين سميث عندما كان في مدرسته وحتى بعد أن بدأ في العمل، لكن هل كان الوصف صحيحًا، أم كان لدى سميث رأي آخر؟

بدأ الأمريكي داروين سميث وظيفته في شركة كلاريك المختصة في تصنيع الورق لتصديره للمجلات والصحف، بعد سنوات أخذ يتدرج في المناصب وعندما اقترب من منصب المدير التنفيذي قال له مدير سابق: "أنت غير مؤهلٍ للوصول إلى الإدارة ولن تكون مؤهلًا أبدًا". بعدها بسنوات حاز سميث على منصب المدير التنفيذي للشركة وكانت الشركة ذات أداء جيّد وتحقق أرباحًا معقولة، ولم تكن تمتلك حضورًا قويًا في الوسط الاقتصادي. قرر سميث بشكل مفاجئ كأول قرار له في الإدارة أن يبيع آلات صنع الورق والتي تعتبر رأس مال الشركة وأساس وجودها. ثارت عليه الصحف ورجال الأعمال

وقالوا: " سينهي الشركة"، وقالت مجلة شهيرة: "هذا أغبى قرار في التاريخ". عندما عاد سميث إلى المنزل بعد موجة الغضب التي شنت عليه، قالت زوجته: "أنت حديث عهد بالإدارة، حاول أن تستشيرهم وتصغي إليهم"، فرد قائلًا: "إذا كان هناك سرطان في عضو ما من جسدي، لن أستشير أحدًا حتى أستأصله، وهذه المكائن هي السرطان الذي منع الشركة من التطور". قام سميث ببيع الآلات وأعلن اتجاه الشركة إلى المنتجات الورقية كالمناديل والحفائظ والتي تسمى المنتجات الاستهلاكية وتهدف لخدمة المستهلك مباشرة، وقام بوضع هدف وهو أن تتخطى الشركة أرباح أفضل شركتين في هذا المجال وهما Scott و P&G. كان الهدف مبالغًا فيه في أعين الأغلبية حيث أن هاتين الشركتين تقعان على قمة هذا المجال وتحققان أرباحًا كبيرة فمن الجنون وضعهما هدفًا للتجاوز.

بعد عشرين سنة، ترك سميث الشركة لكنه لم يتركها كما أتى إليها ولم يتسبب بانهيارها، بل حقق أهدافًا أبعد من التي وضع، فلم يكتف بتخطي Scott بل اشتراها وضمها إلى شركته، وتخطى أرباح P&G وأصبحت أرباح شركته تساوي أربعة أمثال متوسط الأرباح في هذا القطاع. إنه رقم خيالي لا يقترب منه أحد، كل هذا فعله سميث بفضل صمته وتدبره عن بعد وبتخطيطه المستمر وابتعاده عن التأثر بالشائع والمألوف الذي اشتكى منه عبد الوهاب المسيري. وهذا الابتعاد كان سهلًا عليه بسبب شخصيته الانطوائية وحبه للعزلة حيث كان انطوائيًا بالفطرة، يقضي الإجازات مع عائلته في مزرعته ويلعب الجولف بمفرده.

سميث حقق نجاحه الكبير وتخطى بالأرباح شركة كوكولا وHP، وتم اعتباره أحد أفضل الرؤساء التنفيذيين في العالم ومع ذلك كان كارهًا

للاجتماعات ويتوتر منها. كان سميث صادقًا مع نفسه ذكيًا في التعامل مع شخصيته، حيث قرر أن يعقد اجتماعات مصغرة مع رؤساء الأقسام وكلٌّ يخبر مرؤوسيه ليتجنب عقد الاجتماعات الكبيرة. نجح سميث لأنه لم يحاول ارتداء ثوب ليس له، بقي طوال فترة الرئاسة على بساطته ولم يشغل وقته بالاهتمام بالموضة ليواكب البقية. كسر سميث بنجاحه قاعدة أن الإداري الأصلح هو الاجتماعي المتحدث الذي يحب المؤتمرات ويقيم العلاقات مع الآخرين، فقد أدار الشركة لمدة عشرين سنة بكل تميّز واقتدار. إن شخصية سميث فريدة، ففي دراسة تمت على المديرين التنفيذيين صُنف سميث وأشباهه تحت مسمى "Level Five Managers". رأى الخبراء أن هذا النوع من القادة يمتلك أربع صفات من السهل أن توجد في كثير من الإداريين لكنه يتميز عن البقية بالصفة الخامسة التي يغلب على الظن وجودها لدى الانطوائيين، وهي التفكير في مصلحة الشركة أكثر من مصلحة النفس بالتحديد في مسألة الشهرة؛ لأنهم لا يهتمون بالأضواء فلذلك يكون تركيزهم على نهوض الشركة، ولا تدفعهم فرصة ظهورهم على إحدى المجلات الشهيرة إلى اتخاذ قرار قد يكون خارجًا عن مصلحة الشركة.

عندما تقرأ سيرة الانطوائي سميث جيّدًا ستجد أنه يمتلك صفة عدم استعجال المكافآت عندما تعلم أنه صبر عشرين سنة كي يحقق النجاح الذي رسمه في بداية الأمر، وستجد فيه صفة السعي للكمال مما جعله لا يكف عن العمل؛ فهاهو يرد على ذلك الشخص الذي قال له "لن تكون مؤهلًا": "أنا لم أتوقف يومًا عن التعلم كي أكون مؤهلًا لعملي". إن سميث يضرب لنا مثالًا مذهلًا في السعي للكمال، إنها قمة السعيّ إذا كنت تقوم بتعلم أشياء جديدة كي تكون مؤهلًا لمنصب تشغله الآن. وكان الراحل غازي

القصيبي شبيهًا بسميث في هذه الصفة حيث كان مشتركًا في مجلة دورية تعطيه أحدث التطورات في مجال الصحة عندما كان وزيرًا للصحة رغم أنه ليس طبيبًا لكنه يحاول أن يكون أكثر أهلية. سميث الانطوائي استطاع أن يقتحم بيوتكم جميعًا، فإن شركته هي من تصنع كلينيكس ومعظم حفائظ صغاركم، وبمجرد أن تقوم بطباعة العبارة التالية في محرك البحث "Kimberly Clark Products" سترى أغلب منتجاتكم الورقية. أما الآن، ما الذي يمنع الانطوائي الخجول الصامت أن يكون رجل أعمال؟ تذكر دائمًا أن شخصيتك لا تمنعك أبدًا أن تكون ناجحًا، أنت فقط من تحدد ذلك.

القوة الهادئة

"الانطوائي بإمكانه أن يدافع عن مجتمع، فضلًا عن الدفاع عن نفسه"

عبد اللطيف

عندما يجد الأب ابنه انطوائيًا يخشى أن يكون مسلوب الحق عندما يكبر ويقول: من سيرد له حقوقه عندما أرحل عن هذه الدنيا؟ إلى كُل أب وأم يفكران بهذه الطريقة، ألم تسمعا عن روزا بارك؟ السيدة السوداء التي بعثت لتؤكد أن الانطوائية صفة جميلة لا تتعارض أبدًا مع مطالبتنا بحقوقنا واستردادنا إياها، وأنها لا تعني أن تكون أليفًا في حضرة ذئاب. في عام 1943م في إحدى مدن ولاية ألاباما ركبت روزا إحدى الحافلات وكانت آنذاك مقسمة حسب لونك حيث أنه من يحدد أين تركب، وعندما تمتلئ المقاعد فعلى السود أن يقوموا إجلالًا وتقديرًا ورفعة لأصحاب البشرة البيضاء. ركبت روزا تلك الحافلة وكانت المقاعد ممتلئة عن بكرة أبيها وقبلت بالوقوف، لكن السائق أمرها بالنزول بحجة أن الحافلة مزدحمة واختارها من بين البقية للنزول وأكملت المسير على أقدامها. عاهدت روزا نفسها ألا تركب مع ذلك السائق مرة أخرى لكنها لم تقف مكتوفة الأيدي بل عملت بصمت في منظمات للدفاع عن السود وضد التمييز لمدة اثنتي عشرة سنة. في عام 1955م قررت أن تركب الحافلة ذاتها وكان يقودها السائق نفسه وعندما أخذت مقعدها وامتلأت الحافلة، قام السائق بطلب إخلاء مقعد لرجل أبيض فقال لها: انهضي ليجلس الرجل، وقالت: "لا". قال: سوف أتصل بالشرطة. قالت: "وليكن!".

أتت الشرطة وطلبت منها إخلاء المقعد تقيدًا بالنظام، رفضت

الانطوائية روزا النهوض وقالت: "افعل ما تريد". حينها تم القبض على روزا لمخالفتها القوانين، وكانت شرارة الثورة العلنية ضد العنصرية ومفتاح القضاء عليها. ثار الجميع لما حدث لروزا رغم أنها لم تكن المرة الأولى التي يحدث فيها تمييز بين الأمريكيين لكنها قوة الـ "لا" الهادئة التي خرجت بكل جرأة من الخجولة روزا، وكانت أقوى من ذلك الزئير الذي يصدره الأسد الكائن في صدر إنغريد برغمان. كانت "لا" فقط لكن بها بدأت حملة مقاطعة الحافلات من قبل السود فأصبحوا يذهبون لأماكن عملهم إما مشيًا على الأقدام وإما عن طريق الدراجات حتى أجبرت الحكومة الأمريكية على أن تحسن من بعض الأنظمة وتجرم التمييز خضوعًا للمقاطعة. تمكنت الانطوائية الخجولة من استعادة حقوق النصف الملون من المجتمع ولم تخف أن تقضي بقية عمرها سجينة، ومزقت بذلك جميع الروابط التي نضعها بين الانطوائية والسكوت عن الحق. كانت روزا هادئة، تنطوي على ذاتها غالب الوقت أو تقضي وقتها في قراءة القصص على الأطفال، كانت غاية في الوداعة والخجل ولم يتوقع أحد أن تكون في يوم من الأيام قائدة لتحرير البشر من خرافات العنصرية النتنة. كم منا لديه فتى أو فتاة كروزا منغلق على ذاته مستمتع بنفسه، يقضي وقتًا مع الأطفال أكثر من أصدقائه ويا للأسف! نسميهم مجانين وهبل ومساكين وأضحوكة وفرصة استغلال للمستغلين. عند الأسرة والمجتمع يقف كل شيء، إن الأسرة والمجتمع هما من يصنعان من الأطفال قادة بمنحهم الثقة وهم من ينسفان ثقتهم بوصفهم بالمختلين نفسيًا.

إن روزا رغم انطوائيتها كانت شعلة في الدفاع عن حقوق الإنسان وحازت على عدة مناصب في تلك المؤسسات وأعطيت جوائز كثيرة من قبل

الحكومة الأمريكية وكان آخرها من الرئيس كلينتون قبل وفاتها بعام حيث وافتها المنية في مطلع القرن الحادي والعشرين. أمثال روزا في غالب الأمر يقدرون ذواتهم، يحسنون التعامل مع أنفسهم، ويعرفون مواطن القوة في صمتهم حيث أصدرت روزا مذكراتها المليئة بمظاهر الانطواء والخجل واختارت لها عنوانًا أنيقًا وهو القوة الهادئة "Quiet Strength"، نعم فإنها كانت الربيع الذي تساقطت فيه أولى خرافات العنصرية من المجتمع الأمريكي. الانطوائية والخجل لم يمنعا روزا من الدفاع عن حقها، فإن رزقت بابن انطوائي فلا تخف عليه من هدوئه، سيجلب كل حقوقه وهو في قمة الهدوء. عليك أن تخش عليه منك ومن مجتمعه الذي يستقصر الهادئين وكأنهم يحتاجون إلى وصاية، إن ابنك الهادئ قادر على أن يسترد حقه وحقك وحق الأسرة كاملة بل ويستطيع أن يذهب إلى أبعد من ذلك ويكون روزا أخرى فيحرر مجتمعه من إحدى الخرافات والعادات البالية.

أعقد ما يمكن

"الإنسان أشبه بمدينة والأبحاث خرائطها الممزقة التي تدلك على أغلب الأمكنة لا على جميعها!"

عبد اللطيف

أشرنا في بداية الكتاب إلى أن الشخصيات كثيرة ولا يمكن تصنيفها في شخصيتين، وإن تم تصنيفها فهو لتسهيل الأبحاث كما ذكرنا أما محاولة التنبؤ بسلوك شخص ما بالكامل لمجرد انطوائيته أو اجتماعيه، فهي محاولة فاشلة ولن تنجح مهما حاولنا ويتبين لنا ذلك من بعض التناقضات التي ظهرت على الشخصيات التي تدارسناها. فعلى سبيل المثال، قلنا أن الانطوائي يميل إلى التخطيط والتأني في القرار لكن غازي القصيبي رغم انطوائيته إلا أنه عجول من الدرجة الأولى وأغلب قراراته الإدارية يتخذها على وجه السرعة وهذا لا يعني أن غازي ليس انطوائيًا! كل ما يعنيه أن غازي انطوائي لكن هذه النقطة لا تنطبق عليه، لذلك لا تستطيع التنبؤ بأن غازي القصيبي متأنٍ في قراره بمجرد أن علمت بانطوائيته. وهذا لا يعني أيضًا أن جميع الدراسات والأبحاث كاذبة، إنما كانت تحكم على الأغلبية والسواد الأعظم من كل فئة.

وعندما قلنا أن الانطوائيين يحبون العمل بعيدًا عن الأضواء، فهذا ما يحدث غالبًا لكن ليس دائمًا، فهاهو العقاد يشذ عن القاعدة ويقول: "أعترف بأنني أحب الشهرة والخلود، ولكنني لا أطلبهما إن كان الثمن كرامتي". هنا نعرف أن هناك انطوائيين يحبون الشهرة والأضواء، ورأينا إنغريد وهيبرون نجمتين على الساحة رغم حبهما للانعزال عن الناس. وإذا ذهبنا لاتخاذ المخاطر فلا

أحد يستطيع الجزم بأن أن كل انطوائي لا يقدم على أمر به نسبة من الخطر، فعندما نعود إلى حكاية داروين سميث سنجد أنه أقدم على مخاطرة كبيرة عارضه عليها الخبراء لكنه أقدم بشكل غير متوقع من شخص انطوائي. وشذ سميث بفعلته هذه عن أصدقائه الانطوائيين الذين أنقذوا شركاتهم من خسائر 2008 في أمريكا بسبب تأنيهم وعدم تقبلهم للمخاطرة، بل أصبح يشبه الاجتماعي آدم الذي رمى بالوظيفة والأموال وراء ظهره ليبني مدرسة. ولا تتعجب كذلك إذا رأيت اجتماعيًا يأتيه الإلهام وسط الزحام؛ فليست كل الأفكار بحاجة إلى استرخاء لتخرج، ولا إذا رأيت اجتماعيًا يستعمل تفكير الطفل الصغير بشكل أفضل من الانطوائي فقد يكون متأملًا فيما حوله أكثر منه.

مع هذه التناقضات علينا أن نوقن بأن الإنسان كائن معقد لا تفك شفراته بزيارة رف تطوير الذات وشراء كتب فهم الآخر. هي مفاتيح ولا ننكر ذلك، لكنها تستحيل أقفالًا إن استعملت كالحكم النهائي على من حولنا، إن لكل إنسان تركيبة مختلفة تتشابه في أغلبها مع مجموعة من الناس لكنها لا تطابقهم. ولا يجب علينا أن نعتبر هذا الفارق بسيطًا غير مؤثر في معاملتنا معه، فليست كل الفروق بسيطة. فلو أخذنا شخصية غازي القصيبي فسنرى أن عجلته ليست بالفرق البسيط، فالسرعة في اتخاذ القرار تكون الفرق أحيانًا بين حياة وموت، بين نهوض وسقوط. إن الاختلافات الجسيمة بين الانطوائي والاجتماعي قد تجعلنا نقسم البشر إلى قسمين، لكن هناك اختلافات أصغر بين الانطوائيين والاجتماعيين كُلاً على حدة مما يجعلنا ننتهي إلى مئات الشخصيات. لذلك علينا أن نتوقف عن الأحكام الاعتباطية وعلينا أن نصبر لنعي شخصيات من حولنا خاصة الأبناء، فعندما نفهم شخصياتهم سنمسك

بمفاتيح الحياة التي ستجعلهم سعداء في أقل الاحتمالات وعظماء في أكبرها.
وإن عدنا إلى التيار والسلك والمقبس فليس شرطًا أن تكون تيّارًا إن كنت انطوائيًا فقد تكون أنت المسوق، ما عرضناه قواعد وإمكانية الشذوذ عنها واردة، إن الأبحاث والدراسات أشبه بالخرائط الممزقة التي تدلك على أغلب الأمكنة لكن ليس كلها.

الفصل الخامس

هارونَ أخي

"واجعل لي وزيرًا من أهلي*هارونَ أخي*اشدد به أزري*وأشركه في أمري"

سورة طه

هل هناك إنسان بلا فائدة؟ وهل هناك إنسان يجب أن يصبح فلانًا كي يصبح إنسانًا مفيدًا؟ وماذا لو أصبح الناس كلهم ذلك الفلان، كيف لنا أن نتقدم وجميعنا متحدثون وقادة؟ جواب هذه الأسئلة كان سيأتي مبكرًا لو كنت أستقرئ القرآن لا أقرؤه. مرت بي ختمات كثيرة وأنا أقرأ قوله تعالى: "واجعل لي وزيرًا من أهلي*هارون أخي* اشدد به أزري*وأشركه في أمري". لكنني لم أفهم شيئًا منها سوى أنها حكاية، ولم أكن أبحث عن التفاصيل ولا عما وراء الحرف، ذلك لأنني لم أستشعر قدسية هذا الكلام، وهذه وحدها تدعوك لاستخراج المقاصد استخراجًا من بين الحروف. لكني بعد أن فرغت من قراءة كتاب الهدوء وما به من أبحاث عادت إليَّ تلك الآيات من جديد وملأت رأسي بثلاثة أجوبة لسؤال واحد: "لماذا طلب موسى وزارة هارون عليهما السلام؟"

أولها: أن موسى عليه السلام كان خجولًا كما يتداول في الغرب، وكما تقول سوزان كين لو أن موسى موجود بيننا لاستطعنا تصنيفه كأهدأ وأخجل إنسان على مر التاريخ؛ لهذا استعان بهارون صاحب الشخصية الجريئة كي يساعده في مهمته، وقد نقبل هذا التفسير لوجود مظاهر خوف وتردد لدى سيدنا موسى في القرآن.

ثانيها: أن موسى كان أقل فصاحة في الخطاب من هارون بسبب بقائه

في مدين سنوات كثيرة قبل عودته إلى مصر مما تسبب في بعده عن لهجة أهل مصر فرغب بأن يكون معه من هو أكثر إتقانًا للهجة المصرية.

ثالثها: أن موسى كان يعاني من عقدة في لسانه ولا يستطيع التحدث بسهولة وأراد أن يكون هارون معه ليتحدث بالنيابة ويعوض ما بلسانه من ضعف.

لا يهمنا هنا معرفة أي الأجوبة أصح؛ لأن جميعها يدفعنا لاستنتاج أمر هام مرتبط برحلتنا في الانطواء والشخصيات وتعقيدها. إن موسى في كل الحالات الثلاث احتاج من يعينه في مهمته، وهنا يأتي سؤالٌ آخر: لماذا لم يمنح الله هارون الرسالة كونه الأكمل بدلًا من جعلها شراكة بين شخصين؟ إن هذا السؤال يؤكد أن لدى موسى ميزات لا توجد في شخصية هارون ولذلك كانت الرسالة بينهما لتتم الاستفادة من كل شخص على حدة. لكن الأسئلة لا تتوقف عند هذا الحد، فلماذا لم يضع الله عز وجل الميزات كلها في شخص واحد وخصه بالرسالة؟ عندما وصلت إلى هذا السؤال، بدأت أجزم أن في قصة موسى رسالة عميقة وهي أن البشر مكملون لبعضهم، ولم يوجد فرد منهم عبثًا وإن بلغت العيوب والأمراض في الشخص مبلغها. فإن كان موسى عليه السلام يعاني من علة في لسانه فهذا يعني أن كثيرًا ممن يعانون العلل والأمراض يمتلكون كنوزًا في دواخلهم، لكن من حولهم لا يدفعونهم للاستفادة منها، بل يمارسون هوايتهم المفضلة بدفن هذه الكنوز عندما يحاولون حل العيوب والأمراض وتضخيمها، ولا نقول أن علينا ألا نعالج الأمراض والعلل، لكن هناك من يضخمها إلى الدرجة التي تجعل أصحابها يعتقدون أنها عائق عن الحياة. فقد تجد أحدًا يعلق فشل شخص بوجود عيب في نطقه لأحد الحروف ويجعل باله منشغلًا بذلك العيب حتى يبقى عالةً على نفسه ومجتمعه ويتناسى ما وهبه الله من نقاط قوة. علينا دائمًا أن نفرق بين إصلاح الخلل

وبين جعله عائقًا عن الحياة، فهناك كثير من المبتلين بعلل أصعب من النطق وتجدهم مبدعين في مجالات كثيرة. وإن كان موسى يعاني من عدم فصاحته وكان هارون أفضل في الارتجال منه فهذه رسالة أخرى أن مبالغتنا في محاولة جعل أطفالنا متحدثين بالدرجة الأولى ليست بالأمر الحكيم دائمًا، وقد تكون عاملًا مدمرًا إن انشغلنا بها عن نقاط قوة أطفالنا. وإن كان موسى يعاني من الخجل كما تقول سوزان كين فهذا أكثر ارتباطًا بموضوعنا وسنكون أمام مثال رائع لإمكانية الاستفادة من الانطوائي موسى والاجتماعي هارون في الوقت نفسه دون أن نجبر أحدهما على تقمص شخصية الآخر.

تساؤلاتي انتهت إلى أن موسى بحاجة هارون كي يتم مهمته بغض النظر عن السبب، وفي جميع الاحتمالات الثلاثة وجب التعاون للحصول على النتيجة المرجوة، وهذا ما افتقدناه في عصرنا خاصة عندما أصبحنا نمجد بعض الشخصيات. لذلك استقر في ذهني أننا بحاجة إلى إخوة كهارون لموسى وليس بالضرورة أن يكون أخوك ابن أمك. إن مهمة هذه الرابطة الأخوية الوصول إلى النتيجة المرجوة التي لن يستطيع أحد الأخوين بمفرده أن يصل إليها، رابطة كتلك التي تحصل بين التيّار والسلك والمقبس كي تتم إنارة المدينة بالكامل. وهذه الرابطة الأخوية تكون في العادة بين شخصيات مختلفة أو بين شخص صحيح وعليل أو بين زوجين، لكن في الحالات كلها يشترط التناقض حيث أن كل فرد في هذه الرابطة يقدم ما لديه من قوة، وتكون الرابطة كمجمع للقوى تختفي فيه سلبيات كل شخصية؛ لأن كل من فيها يكمل نقص الآخر ويدفعه للأمام. ومع نهاية هذا الفصل سندرك معنى ساميًا لحديث سيدي رسول الله عليه أتم الصلاة وأزكى التسليم: "كل ميسر لما خلق له".

مارتن أخي

"الانطوائي كلمات والاجتماعي صوتها، إن تم تهميش الأول لم يعد هناك ما يقال، وإن فقد الآخر لن نسمع تلك الكلمات"

عبد اللطيف

تحدثنا عن روزا بارك الانطوائية التي صدحت بـ "لا" للدفاع عن حقها كسيدة أمريكية سوداء في الحصول على مقعد في الباص واستطاعت بتلك الـ "لا" أن تنتصر لشريحة كبيرة من الشعب الأمريكي. لكن كيف لانطوائية خجولة أن تحدث هذا التحول الكبير في المجتمع الأمريكي لوحدها، أليست هي الهادئة التي تفضل العزلة على الخروج؟ من يقرأ التفاصيل التي حدثت بعد إلقاء القبض عليها سيجد أن هناك مناضلًا متحدثًا قام بدور هارون لأخيه في هذه المهمة. عندما تم القبض على روزا من قبل السلطات الأمريكية كان هذا القبض إشارة للثائر المتحدث المناضل الاجتماعي مارتن لوثر بأن يبدأ بحشد الجموع للدفاع عن حقوقهم بخطبه الحماسية، دعا مارتن ذوي البشرة السوداء إلى الدفاع عن حقهم منذ اللحظة وأعلن مقاطعة المواصلات العامة من أجل تحرير السود من هذه العبودية. وكانت تلك المقاطعة هي السبب وراء الإصلاحات التي أجرتها الحكومة في الأنظمة التي تقوم على مبدأ التمييز.

هكذا كان الثنائي، كان مزيجًا من هدوء روزا عندما قالت: "لا، لن أقوم، افعل ما شئت"، ومن مارتن عندما جمع الحشود بأسلوبه الساحر وصدح بصوته الجهور الرنان وقال: "لدي حلم"، تلك العبارة التي أضحت رمزًا للثورة ضد العنصرية ولا يوجد أحد في هذا الكون إلا وسمع بها. نعم، مارتن كان صاحب اليد الطولى في تحرير السود في أمريكا لكنه لم يكن يمتلك الحلم

لوحده، بل كانت روزا تشاركه ذلك الحلم وهي من أشعلت له الشعلة الأولى ثم جاء مارتن وحملها ليكمل المسيرة ويزيدها الشعلة اشتعالًا ليحرق بها العنصرية.

في الحقيقة لا نستطيع الفصل بين الاثنين والقول بأن روزا لم تؤثر وأن مارتن سيحرر الشعب من العنصرية حتى بدون مساهمتها؛ لأن هدوءها وردها المصيري على الضابط كان هو المحرك الأقوى للسود في أمريكا. ولا نستطيع أن نعتمد روزا سببًا وحيدًا للإصلاح الذي تم في الأنظمة؛ لأن "لا" روزا لم تكن لتبلغ هذا الصدى لولا وجود أخ يساندها، وكان مارتن خير أخٍ. إن الهجين الذي ولد من الصمت والحديث، ومن الاجتماع والانطواء هو الذي جعل الصورة تكتمل، فلو ذهبنا لمارتن سنجده يحتل مكانة كبيرة في قلوب الأمريكيين بسبب الكاريزما التي ظهر بها وخطاباته الرنانة، وتم منحه جائزة نوبل للسلام لإسهاماته في الدفاع عن حقوق الإنسان. وروزا على النقيض رغم مشاركتها الكبيرة في هذه المهمة إلا أنها لم تحصل على السمعة والشكر اللذين حصل عليهما مارتن، ولم تكن تهتم لذلك فقد كانت تسعى لهدفٍ بكل صمت ولا ترجو من ورائه أن تكون مناضلة وقائدة شعبية. نجح الهجين بين روزا ومارتن لأنهما يمتلكان صفات متضادة، أحدهما حماسي والآخر هادئ، أحدهما صامت والآخر متحدث، أحدهما يحب الوقوف أمام الجميع والآخر يحب البقاء في المنزل واللعب مع الأطفال. عندما تقوم بصنع مجموعة لأداء عمل ما، حاول أن تجمع الأفراد من كل ضد وضد، متحدث ومستمع، خجول وجريء، مبادر وحذر حتى تحصل على نتيجة مُرضية. واعلم أن اجتماع الأضداد يسفر عن سحر، كالتقاء بقايا نهار مع بوادر مساء تحت مسمى شفق!

جوبز أخي

"الاجتماعي جسد، والانطوائي روح، تعطيل أحدهما يلغي وجود الآخر"

عبد اللطيف

لا يكاد بيت من بيوتنا يخلو من تفاحةٍ خارج أجهزة التبريد، تفاحة نبدأ بها صباحنا وننهي بها يومنا، تفاحة اصطناعية لكنها ضرورية كالتفاحة الطبيعية في صباحات الأيام. فلا يكاد هناك شخص في العالم لا يعلم من صاحب هذه الشجرة التي تنتج كمًا هائلًا يكفي احتياج البشرية، إنها شجرة تُدعى "Apple"، أنتجت لنا أجود أنواع الأجهزة في عصرنا حتى أن الكثير منا شعر بالحزن عندما فارق ستيف جوبز عالمنا. لكن من يعرف من هو ويزناك أو بالأصح من هو باذر بذور هذه الشجرة؟

الانطوائي ويزناك، كان صديق ستيف جوبز المقرب وشريكه في تأسيس شركة "Apple". إن دور ويزناك في صناعة أبل لا ينكر أبدًا وهو من قام بإنشاء أول جهاز أصدرته أبل بمفرده دون مساعدة من أي أحد حيث يقول في مذكراته: "عندما ننتهي من الاجتماعات، هم يخرجون للراحة والاستجمام والاجتماع مع الأصدقاء، أما أنا فلا أحب الخروج كثيرًا، أفضل البقاء بمفردي أصنع وجبتي وأتابع مسلسلًا تلفزيونيًا ثم أعكف على جهازنا الذي نريد تصنيعه، وكنت بمفردي أيضًا عندما أنهيت صناعة أول جهاز تم بيعه في شركتنا". كلمات مليئة بالانطوائية تخبرك بأن الانطوائية هي أحد الأسباب الرئيسة في وجود جهاز "IPhone" بين يديك، فاحذر أن تشتم الانطوائيين باستخدام جهاز وجد بسبب الانطواء. إن علاقة ويزناك بالانطوائية ليست

علاقة شخص بشخصيته بل معتقد بعقيدته، إنه يؤمن أنها سر نجاحه، ويتغنى بها وبالعزلة ويقول:

"جميع المخترعين والمهندسين الذين قابلتهم في حياتي يشبهونني تمامًا، خجولون ويعيشون مع أفكارهم بعيدًا عن الناس كالرسامين تحديدًا. أنا لا أظن أن الأشياء الابتكارية والخلاقة يمكن أن تأتي من المجتمع ككتلة، هي تأتي من الأفراد عندما يعملون بمفردهم، فإذا كنت تميل إلى الاختراع والابتكار مثلي فلدي نصيحة: اعمل بمفردك، لا تعمل في مجموعة وهكذا ستحقق ما تريد".

هذه نصائح فورية من انطوائي يدعو إلى الانطوائية وتتطابق مع ما تحدثنا عنه في الفصل الثالث، لكن إذا سمعها والداك سوف يشنون عليك غضبًا وربما يشتاطون غضبًا على كاتب هذا الكتاب وعلى صاحب هذا الاقتباس، لكن لا تخف فإنك تملك ردًا كافيًا، أخبرهم أن الأجهزة التي بأيدينا هي نتاج الشخص الذي حقق كل هذه الثورة والثروة في معزل عن الناس. إذًا شكرًا للانطوائية والانطوائيين وللخجولين أيضًا لأن ويزناك كان خجولًا إلى درجة لا يمكن تصورها ويفتخر بذلك كما ذكر في الاقتباس وكأنها صفة طبيعية لا مشكلة فيها! وعندما يقنع ويزناك بأن خجله وانطواءه ليسا أمراضًا، يبدأ بالإبداع. حتى وإن لم يقتنع والداك بما قلنا فحاول أن تقنع نفسك به وأن تعامل أبناءك على ضوئه فقد نحصل على مخترع في قادم الأيام!

عندما تحدث ويزناك عن العمل في عزلة لم يقصد أبدًا أن الاجتماع مع الناس لا ينتج ابتكارات لكنه قصد لحظة العمل، يجب أن تكون في معزل كي يزيد انتاجك ويكون خيالك أكثر خصوبة. إن ويزناك نفسه كان يعقد اجتماعات مع ستيف جوبز ومع بقية الطاقم بشكل أسبوعي أو أكثر كي يناقشوا الأفكار الجديدة والتطورات. أما عن الهجين الذي كان بين ستيف

وويزناك يبدو من الواضح أنه كان بين اجتماعي وانطوائي أو على الأقل بين شخص بكاريزما وآخر بلاها حيث أننا نعرف ستيف ونراه يظهر في كل المؤتمرات والمحافل لكننا لا نرى ويزناك رغم أنه يدعى في أمريكا روح التفاحة، وتم إطلاق اسمه على أحد شوارع أمريكا تقديرًا لجهوده. ويزناك كان روح التفاحة وجوبز جسدها ولا يحيا جسد بلا روح، وعلينا ألا ننسى أن الروح لا تبقى إن لم يحتوها جسد. هذه العلاقة هي التي كانت بين ستيف وويزناك، ونتيجة لها أنشأت الشركة الرائدة في صنع التكنولوجيا.

زوجٌ وأخت!

"أحلم بزوجة تكون أمي وأكون أباها، نكون إخوة عندما تحل المصائب، ونكون أصدقاء عندما نريد التحدث"

عبد اللطيف

كلما قرأت حكاية علمت ألا شيء يخلق عبثًا وأن الله لا يظلم أحدًا، فعندما يأخذ من أحدٍ شيئًا وإن أعطاه الأغلبية سيبدله شيئًا يفتقده الأغلبية وبهذا يكون الله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، فهو يعلم أين وكيف يضع الفوارق بيننا لكننا لا نعي ولا نبصر. قد يكون هذا كلامًا إنشائيًا في نظرك مللت من سماعه، لكن هذا ما يبدو واضحًا من قصص الناجحين والمكافحين خاصة؛ فلولا عقباتٍ وضعت أمامهم لما كانوا عظماء. كنت أتصفح مجلة العربي الكويتية[24] ورأيت اقتباسًا معنونًا بـ "عقل جميل" وشدني للتعرف على صاحب اللقب وصاحب العقل الجميل.

صاحب العقل الجميل هو جون ناش، عالم رياضيات أمريكي عبقري إلى درجة لا توصف ومهتم بنظرية الألعاب ونظريات تفاضلية أخرى، جون كان يعاني من فصام وكان يرى ويسمع أشياءً لا وجود لها. هذا الفصام جعل الحياة معه صعبة وجعل حياته هو شخصيًا صعبة حيث أنه لا يفرق بين الحقيقة والهلاوس ويتعامل مع كل شيء على أنه حقيقة. ظهرت عليه آثار الفصام عندما كان طالبًا في جامعة برنستون الأمريكية حيث بدأ يتخيل أن لديه شريكًا في الغرفة واستمرت معه المشكلة وظل يدخل ويخرج من

---

24 مجلة ثقافية تصدر كل شهر عن وزارة الإعلام وتعتبر منهلًا للمثقفين لتنوعها ولأهلية كتابها وتباع بسعر رمزي وأرى أن قراءتها أفضل من إضاعة الوقت على كثير من الكتب الخاوية.

مستشفيات الصحة العقلية والنفسية مما شكل له عوائق دون استكمال دراسته على النحو المطلوب.

قبل أن يصاب جون بالمرض تعلق بصديقة اسمها أليشيا وأنجبا طفلًا، وعندما علمت بمرضه حاولت أن تخفي ما يفعله عن صديقاتها وأقاربها كي لا يؤثر ذلك على مسيرتها الشخصية وعندما فشلت قررت أن تنفصل عنه. بعد مرور عشر سنوات زاد الأمر سوءًا مع جون وكان الفصام قد مزقه تمزيقًا إلى الحد الذي جعله أشبه بالمشردين، لا وظيفة ولا دخل ولا مال يحتفظ به. قررت أليشيا أن تستضيفه في بيتها كي لا يبقى مشردًا، واعتنت به وعادت كزوجة له وظلت تراعيه وتساعده في تخطي صعوبات مرضه وفي إتمام مسيرته نحو إثبات نظرياته التي كان يسعى إلى إثباتها، حتى أثبتها وجاء اليوم الذي أعلن فيه اسم جون ناش كأحد الفائزين بجائزة نوبل. قال جون أثناء استلامه للجائزة: "أنتِ، أنتِ أجمل اكتشافاتي، في معادلات الحب فقط يمكنك أن تجد سببًا منطقيًا لكل شيء، شكرًا لكِ".

هكذا كان الحب دافعًا لأليشيا لاستخراج الكنوز الكامنة في جون ناش رغم مرضه العضال وهكذا يجب أن نفعل مع من حولنا، فكلٌّ منا يخلق بشيء ناقص تكملته لدى الآخر. هل تذكرون تلك الصور المقطعة التي كنا نحاول بشتى الطرق تركيبها عندما كنا صغارًا؟ هل تذكرون كيف تكون الصور قبيحة لو فقدت منها قطعة؟ هكذا كانت حكاية جون وأليشيا، كانا قطعتين متكاملتين مهيأتين للالتصاق. فقد خلق الله جون بعقل خارق لا يصدق وخلق أليشيا بصدرٍ رحب ووضع في قلبها حبًا صارخًا له وفي روحها وضع صبرٌ أيوبي. ولو فقد أحدهما لما اكتملت الصورة الجميلة ولما خرجت تلك النظرية التي ما زالت أساسًا في علم الاقتصاد. إنه ليس من المنطق أن نقول

لماذا تضيع أليشا وقتها للعيش مع شخص مريض، لماذا لم تأت هي باختراعاتها وتصبح العظيمة بدلًا من أن تصنع عظيمًا. الجواب بكل بساطة أنها لو فعلت كل ما بوسعها لن تأت بتلك النظرية التي أثبتها صاحب هذا العقل الخارق الذي قلما نجد مثله. وفي الجهة الأخرى، هو لن يملك قدرات أليشيا الاستثنائية وقدرتها النافذة في الصبر حتى صنعت اسمًا حاز أعلى جوائز العالم عالميًا، وعلى صعيد العظمة: أهناك أعظم من صناعة عظيم؟

الإنترنت أخي

"على الشبكة العنكبوتية يتزايد عدد الانطوائيين، إنهم يبحثون عن تقديرٍ لم يجدوه في الحقيقة"

عبد اللطيف

أثبتت الأبحاث أن الانطوائيين هم الأكثر إقبالًا على الإنترنت خاصة في بداية انتشار أجهزة الكمبيوتر في أمريكا وبريطانيا. وأعتقد أن لهذا أسبابًا كثيرة يعود أولها إلى الميزة التي يحملها الإنترنت من إلغاء تفاوت الصوت بين الانطوائيين والاجتماعيين؛ فالجميع يستخدم لوحة المفاتيح لكتابة ما بجعبته من أفكار مما منح الفرصة للحكم على الفكرة من خلال جودتها لا من خلال مهارة طارح الفكرة في الحديث مما جعل وسائل التواصل الاجتماعي عامل جذب للانطوائيين. وعامل الجذب الآخر في وسائل التواصل أنك تتعامل مع شاشة في الحقيقة لا مع بشر، ورأينا أثر ذلك في تحسين العمل والتفكير الجماعي، فلا يشعر المشترك بالتوتر عندما يخطئ في الحديث حيث أنه يستطيع إعادة ما يكتب مرات عدة قبل أن ينشر، ولديه القدرة على التبرير دون أن يشعر أنه تحت ضغط أنظار من حوله، وامتدت هذه الميزة إلى تسجيل مقاطع الفيديو حيث أصبح الكثير منا يتحدث لمدة طويلة عن طريق برامج التواصل؛ سبب ذلك أنه يستطيع إعادة التسجيل حتى يتقنه ولا يحتاج أن يتحدث ارتجاليًا مما جعلنا لا نفرق بين الانطوائي والاجتماعي عبر الإنترنت حيث نتعامل مع شاشة لا مع بشر، وهذه ميزة يعتبرها مؤسس إحدى المدونات الشهيرة نقطة قوة افتقدها الانطوائيون في الواقع حيث يقول:

"أنا انطوائي ومع ذلك قمت بإنشاء شبكة مهمة يتواصل عن طريقها البشر، إن الإنترنت بهذه الشاشات التي تعمل كحاجز بيننا وبين الآخرين منحنا قوة في مجالات لا نقدر عليها في الحياة الواقعية".

وبعد أن أقام الإنترنت العدل بين الانطوائيين والاجتماعيين صاروا أكثر تعلقًا به خاصة إن كانوا لا يحظون باحترام كاف ممن حولهم في الحياة الواقعية، لذلك هم يبحثون عمن يقيم أفكارهم وأعمالهم وكتاباتهم بعيدًا عن شخصياتهم الانطوائية والنظرة السوداوية لهم، وهكذا كان الإنترنت أخًا بديلًا عن إخوة الواقع. إن الانطوائي لن يجد في الإنترنت من يستحقره أو يقلل من قدره لأن صوته غير مرتفع أو لأنه لا يخالط الناس كثيرًا فلا شيء واضح هناك، الكل يتحادث مع الكل بغض النظر عن شخصيته وظروفه وعرقه ودينه وشكله. استفاد الانطوائيون أيضًا من الشبكة العنكبوتية على صعيد تبادل الأفكار والنقاشات، فقد تكون قلة علاقاتهم في الواقع حجرًا مانعًا من الوصول إلى أشخاص يشاركونهم اهتماماتهم وهذا أمر سهل في مواقع التواصل الاجتماعي ولن يأخذ بناء العلاقات فيه وقتًا طويلًا.

عبر الإنترنت انقلبت بعض الموازين، فلو عدنا إلى التيار الكهربائي سنجد أن الإنترنت أصبح بديلًا عن السلك والمقبس، أعني أن الانطوائي عندما يحصل على الفكرة لا يحتاج إلى من يروجها إذا كان بارعًا في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي؛ لأنها تأخذ بيده إلى الداعمين وقد يستطيع إقناعهم كتابيًا بجدوى فكرته فلا حاجة لمهارات العروض التقديمية هناك. وعبر الإنترنت أصبح بإمكان الانطوائي تأدية دور الموصل بين البشر بكل إبداع كما فعل كريغ نيومارك الذي قام بإنشاء شبكة تواصل اجتماعي تدعى "craigslist"، وفي عام 2011 أصبح الموقع سابع أشهر موقع باللغة

الإنجليزية ولم يكن موقع تواصل اجتماعي فقط بل كان يوفر فرص عمل ويسهل الوصول إلى القنوات الخيرية. تقول الباحثة كين سوزان عن نيومارك أنه انطوائي لأبعد درجة ولا يمكن أن يكون أداة وصل بين شخصين في الواقع لكنه عبر الانترنت أصبح أداة وصل بين الملايين. مع كل هذه الإيجابيات التي أتى بها الإنترنت إلا أنه لن يبقى أخًا وصديقًا وفيًا للانطوائيين، لذلك يجب على الاجتماعيين أن يكونوا هم الأصدقاء بدلًا من ترك الأمر للجمادات!

هارون أخي الإدارية

"لا يوجد قاعدة تقول إن الانطوائيين غير صالحين للإدارة لكنها ثقافة خاطئة لا أكثر"

آدم قرانت

مفهوم هارون أخي نستطيع أن نوسعه ليشمل أساسيات علم الإدارة في الجانب القيادي تحديدًا، وستتغير حينها نظرتنا لأهلية وكفاءة المديرين. إن عقولنا لا تستسيغ فكرة القائد الانطوائي بل إنها مرفوضة حتى من قبل الشركات حيث ترفض بعض المتقدمين للمناصب الإدارية لأنهم انطوائيون على الرغم من وجود انطوائيين أثبتوا جدارتهم كما رأينا. إنها ثقافة خاطئة متفشيّة بيننا تسيطر على عقول المختصين والعامة فنحن نتساءل دائمًا: كيف لهادئ أن يقود مجموعة عمل؟ أليس صاحب الشخصية المتحدثة أقدر على تحفيز موظفيه لينتجوا أكثر؟ إننا نطلق هذه الأسئلة باستمرار وجميعها يصب في محور واحد وكأن الصوت والكاريزما والعلاقات هي العوامل الوحيدة للنجاح الإداري.

هناك عوامل كثيرة تؤثر في نجاح المدير، وأهم تلك العوامل نوعية الأفراد الذين يرأسهم حيث أن نوعية الموظفين تلعب دورًا كبيرًا في تحديد احتياج المؤسسة إلى مدير اجتماعي أو انطوائي. قام الباحثون بعمل كثير من الدراسات ليبحثوا الفروق التي تحدث عندما يكون المدير اجتماعيًا أو انطوائيًا، وأشارت هذه الدراسات في مجملها إلى أن زيادة الانطوائيين في المجموعة تعني احتياج الفريق لرئيس اجتماعي والعكس صحيح. وبذلك نعود

إلى اجتماع الأضداد حيث أن خلاصة الدراسات أكدت لنا صحة ما ذكرناه من أننا بحاجة إلى شخصيات مختلفة كي نبدع ونتمكن من الوصول إلى الهدف. إحدى الدراسات قام بها آدم قرانت على أفضل خمسة مطاعم بيتزا في أمريكا، رأى آدم أن الفروع التي تدار بواسطة اجتماعيين تحصد أرباحًا أعلى بنسبة 16% مما تحصده الفروع التي تدار بواسطة مديرين انطوائيين. لكن هذا لا يحدث إلا عندما يكون العمال بحاجة إلى من يدفعهم ويحفزهم للإنتاج بالتالي يكون الفريق بأمس الحاجة إلى أشخاص متحدثين يمتلكون الكاريزما التي تحرك العمال. أما عندما يكون العمال مبادرين للعمل دون تحفيز فالعكس يحدث وتصبح أرباح الفروع التي تدار بواسطة انطوائيين أعلى بنسبة 14% من التي تدار بواسطة الاجتماعيين، والسبب أن الانطوائيين أمهر في الجدولة والتنظيم فعندما يكون الموظفين مبادرين للعمل يكون المدير الانطوائي أنسب لإدارة المطعم؛ لأنه سيكون كالمنظم لهذا التفاعل الضخم الذي يحدثه الموظفين[25].

ولسنا نستطيع تحديد ما إذا كان التنظيم أم التحفيز أهم، فهي تعتمد بالدور الأول على عامل آخر وهو نوعية العمل المطلوب من المجموعة أو الشركة. قامت إحدى الدراسات باختبار مجموعتين من الطلاب إحداهما مكونة من الاجتماعيين والأخرى من الانطوائيين وجعلوهم يبدؤون بحل لغز مكون من خمس مراحل في كل مرحلة تزداد صعوبته. في بداية الأمر وجدوا أن المجموعة الاجتماعية تفوقت في المرحلتين الأولى والثانية؛ لأن المبادرة تغلب

25- لإثبات أن الانطوائي أكثر مهارة في التنظيم علينا أن نعود إلى تعليقات أوردتها سوزان كين في كتابها حيث أشارت إلى أن ورقة حل الاختبار للانطوائي دائمًا ما تكون أكثر تنسيقًا وترتيبًا من الاجتماعي الذي لا يهتم إلا بالإجابة الأخيرة فتبدو لك ورقته كالمسودة.

عليهم وغالبًا ما تكون لديهم ثقة كافية ليقدموا على خطوة دون استشارة بقية الأعضاء حيث أنهم مستعدون لتحمل كافة المخاطر لذلك كانوا أسرع في حل المراحل السهلة. وعندما ازدادت المراحل صعوبة تفوق الانطوائيون بسبب تأنيهم واستماعهم لبعضهم مما جعلهم لا يخسرون محاولات كثيرة، ولمهارتهم أيضًا في تنظيم طريقة الحل مما يجعله واضحًا للجميع، وتجدهم علاوة على ذلك متميزين غالبًا بصبرهم الطويل الذي يمكنهم من قضاء وقت أطول في سبيل حل المسائل. هذه التجربة أوضحت لنا أن نوعية العمل عامل مهم لتحديد مدير المجموعة، فلو افترضنا أن لدينا مشكلة معينة نريد حلها وشكلنا في سبيل ذلك مجموعة لتعمل على حلها. أول الأسئلة: هل هي مسألة تتطلب حلًا سريعًا أم بطيئًا أم خطة متقنة على المدى البعيد؟ ومن هنا تستطيع تحديد الشخصية المناسبة لإدارة المجموعة. وهذه التفاصيل لا تغيب عن المتمكنين من علم الإدارة فهاهو غازي القصيبي يمتدح بطء الوزير عبد العزيز الخويطر في اتخاذ قراراته رغم أنه شخصيًا عجل وصارم. وعلق على ذلك قائلًا: "أنا أبغض أسلوب الخويطر في التأني لكني أعترف أننا بحاجة إلى بطئه في بعض المسائل".

أما العامل الثالث في تحديد شخصية الإداري فهو مدى الحاجة إلى الأفكار الإبداعية والمتجددة. علينا إجابة السؤال التالي: هل تقوم شركتنا بعمل بيروقراطي يسير وفق نحو روتيني كإعداد وجبات الطعام في مطعم بالتالي كل ما نريده هو قائد محفز أم أن مجالنا كمجال التكنولوجيا يتطلب أفكارًا إبداعية مما يتطلب مديرًا يجيد الاستماع؟ إن تحديد أحد الخيارين مهم جدًا في عملية تحديد الشخصية المناسبة للقيادة وهذا ما رآه آدم قرانت في تجربة أجراها على 136طالبًا جامعيًا. قام آدم بتوزيع الطلاب إلى مجموعات هدفها تصفيف أكبر عدد ممكن من الملابس في عشر دقائق ليرى جودة العمل وسرعته حينما

يدار بواسطة الانطوائيين وعندما يدار بواسطة الاجتماعيين. في هذه التجربة تم استخدام عامل التمثيل كي يخرجوا بنتائج دقيقة وحقيقية، قاموا بوضع ممثلين في كل مجموعة، في المرة الأولى جعلوهم يعارضون تعليمات القائد كأن يقول أحدهم للقائد: "أنا لدي طريقة أفضل من طريقتك، دعني أخبرك عنها"، ووجدوا أن في حالة وجود أعضاء معارضين ذوي أفكار خلاقة ضمن المجموعة تصبح المجموعات التي تدار بواسطة الانطوائيين أكثر إنتاجية بـ 24 %، والسبب أن القادة الانطوائيين كان لديهم تقبلًا للنصائح والاقتراحات بنسبة 20% أكثر من الاجتماعيين. لكن عندما جاء السيناريو الآخر وجعلوا الممثلين لا يعارضون ولا يأتون بأفكار جديدة وجدوا أن المجموعات التي يرأسها اجتماعيون تنتج أكثر بنسبة 22%، وهنا نعود لمثال سلسلة المطاعم، فدائمًا ما يكون القائد الاجتماعي مهمًا عندما يكون الفريق غير مبادر، وهذا سر تفضيل الاجتماعي على الانطوائي في منصب القيادة بشكل عام. إن هذه الدراسات تثبت أننا بحاجة إلى جميع الشخصيات، فإن كنا نمتلك أولئك المبادرين المفكرين فنحن بحاجة إلى الانطوائي ليقود سفينتنا في ضجيج الأفكار والمبادرات المتداخلة، وإن كانت السفينة هادئة فهي بحاجة إلى من يقودها بكلماته الرنانة وأفكاره الشخصية كي لا تتلاعب بها الأمواج.

الفصل السادس

التاريخ يتحكم

"أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة"

صحيح مسلم 934

شدني هذا الحديث منذ صغري وتساءلت: كيف يُحكم على أناس بجاهليتهم وأنهم لن يتركوا هذه الصفات السيئة وأنها باقية فيهم أبد الآبدين؟ هل من المعقول ألا نستطيع التخلص منها طالما أننا من أمة محمد؟ وتساءلت: هل من المعقول أن تلتصق صفة من الصفات بشعبٍ معيّن ولا تنفك عنه مهما تتابعت أجياله؟ إذًا لماذا نحارب التعصب القبلي؟ ولماذا يجرمه الإسلام طالما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أننا لن نتركها! للأمانة لم أجد جوابًا مقنعًا لكني كنت مقتنعًا أن هناك شيئًا لم أفهمه بعد، خصوصًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء متممًا لمكارم الأخلاق فكيف تتم إن كانت لا تتغير!

بعد قراءة كتاب الهدوء علمت مدى تأثير الثقافات على صفات التابعين لها، وعلمت أن الصفات الأربع ستبقى طابعًا مغروسًا في هذه البيئة والتخلص منها ليس سهلًا فعندما يكون جل العرب في وقته عليه السلام يتصفون بهذه الصفات، بالتأكيد لن تذهب بسهولة خلال عشر سنوات. إننا ما زلنا نرى تعصبًا قبليًا يساوي تعصب الجاهلية ولم يذهب منه شيء حتى بعد مرور ألفٍ وأربع مائة سنة من حديثه عليه الصلاة والسلام. وهذا شيء منطقي فإن العادات والتقاليد السيئة لا تذهب بسهولة بل تظل تتكاثر في المجتمع وتترسخ وتصبح أقوى من الماضي وأكثر تفشيًا إلا إن تمت محاربتها من قبل الأغلبية، وحتى إن قابلها الأغلبية بالرفض فهي بحاجة إلى فترة من الزمن

كي تندثر. ولهذا قال سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن العرب لن يتركوا تلك الصفات الأربع، والترك يعني الهجر كليًا، وهذا ما لا نراه حاليًا حيث أن كثيرًا من العرب ما زال متصفًا بالعصبية القبلية مثلًا. وحديثه عليه الصلاة والسلام لا يعني أننا لا نحارب هذه الصفات وأنها لن تذهب أبدًا بل أننا نستطيع إن قمنا بحالة استنفار وحاربناها بكل جهدٍ وقوة. إن العادات السيئة كالسرطان يسري في المجتمع لكنك للأسف لا تستطيع استئصال المتصفين بهذه الصفات خاصة وإن كانوا يمثلون الجزء الأكبر من مجتمعك، إذًا التوعيّة هي الحل وعدم استعجال النتائج.

ولنعرف كيف تسري الصفة في دماء المجتمع وتنتقل عبر الأجيال علينا أن ننظر كيف للتعصب القبلي أن ينمو، لو أتينا بطفلٍ ينشأ في بيئة تشجع على التعصب القبلي فإن عقله اللاواعي سيتشرب هذه الصفة بل ستنغرس فيه غرسًا يصعب معه الخلاص منها، وأحيانًا يتم اقحام الصغير في ممارسات تفيض بالتعصب القبلي ويستمع لمربيه وهو يأتي بفنون الطعن في الأنساب والازدراء للآخرين كيفما شاء ويقلل من هذا ويعظم من شأن ذاك، كل هذا لأجل لقب وضع في نهاية اسمه لم يجتهد فيه أبدًا! يكبر الصغير بعدها وتظهر ثمار الأفكار المبذورة في العقل اللاواعي على العقل الواعي وتحل الكارثة؛ لأن الدائرة ستستمر وسيسقي هذا الطفل أدمغة أبنائه بقصدٍ أو بغير قصد وهلم جرا، وبهذه الطريقة لن تذهب أبدًا عن أمة محمد هذه الأربع!

قد أكون تجاوزت موضوع الشخصيات قليلًا لكن كل ما ذكرناه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوعنا فنحن نتحدث عن أثر المجتمعات في الصفات، فهل تؤثر المجتمعات في الشخصيات؟ هل يعقل أن تنتج دولة ما انطوائيين أكثر؟ أليس الانطواء يسري في الجينات، إذًا كيف يحدث ذلك؟ الجينات ليست العامل الوحيد الذي يساهم في تشكيل الصفات وهذا ما ألمحت إليه الباحثة

سوزان كين حين وصفت الشعب الأمريكي بأنه أحد أكثر الشعوب اجتماعية مما يدل على تأثر الإنسان بالثقافة والدولة التي نشأ فيها. ولأن المجتمع الأمريكي يقدس الاجتماعيين فقد تجد شخصًا يولد بين الانطواء والاجتماع لكنه يختار الاجتماعية ليواكب مجتمعه، أليس هذا تأثير ثقافة ومجتمع؟ وعلى النقيض هناك دول تعرف بانطوائيتها أو على الأقل بعدم تمجيد الاجتماعي وهي دول شرق آسيا. ومن الأشياء الغريبة أن الأبحاث أثبتت أن الصينيين حتى وإن ولدوا في أمريكا يظلون انطوائيين؛ لأن من يقوم بتربيتهم زوجان تربيا في بيئة تنزع للانطوائية وعلى ذلك ما زالا يربيان أبناءهما بنفس الطريقة.

انطوائية الشرق آسيويين ليست افتراضات بل هناك أرقام تؤكدها في دراسات قام بها جيرارد هوفستيد[26] على اختلاف الثقافات وأشارت أرقامه إلى أن كوريا والصين أكثر انطوائية من أمريكا وأن المجتمع الكوري والصيني لديهم صبر أكبر على الخطط والأهداف المستقبلية وهذه من أبرز صفات الانطوائيين. وقد تكون الأرقام أحيانًا خادعة لكن سوزان كين تنبهت لذلك وأجرت عددًا كبيرًا من المقابلات مع أمريكيين من أصل أمريكي وآخرين من أصل آسيوي لتقيس تأثير الثقافات على شخصية الأفراد. قامت في إحدى المرات بمقابلة أحد الأمريكيين من أصل آسيوي وقال: "إني أمتلك قدرة البقاء في المنزل والقيام بواجبات مدرسية وأخرى منزلية دون أن أنزعج من عدم خروجي مع أصدقائي للنزهة وهذا ما لا يستطيع فعله بشكل عام أصدقائي أصحاب الأصل الأمريكي". ويؤكد الشاب نفسه أنه لا يستغرب اتصافه بهذه الصفات؛ لأن هذا ما اعتاد على رؤيته في والديه حيث أصبح لا يرى في الخروج المستمر ضرورة والأهم هو إنجاز ما لديه. يقول إن أصحاب الأصل الأمريكي لا يستطيعون فعل ما يفعل لأنهم لم ينشؤوا عليه. علينا أن ننتبه هنا

26- خبير علم نفس اجتماعي من هولندا اهتم بدراسة اختلاف العادات بين المجتمعات والدول.

إلى أننا لا نتحدث عن تأثير التربية بل نتحدث عما هو أقوى وهو تأثير المجتمع لأن الصينيين بشكل عام انطوائيون والأمريكيين اجتماعيون.

ونستطيع أن نرى تأثير الماضي في الحاضر وما فعله وقاله الأجداد في أفعالنا حاليًا من خلال الذهاب إلى الأمثال الشعبية فهي خير ما يعكس لنا أساليب الحياة في الماضي. عندما نبحر أكثر في الفروقات بين الآسيويين والأمريكيين سنجد أن الشرق أكثر صمتًا وتشجيعًا على الصمت من الأمريكيين وهناك مقولات تعود إلى سنوات بعيدة تخبرك بالفارق الثقافي بين هاتين البيئتين حيث يقول فيلسوف صيني يدعى لاوتزوه عاش في فترة ما قبل الميلاد: "الذين يعلمون كل شيء لا يتحدثون وأولئك الذين لا يعلمون هم الذين يتحدثون". ويقول كاتب ياباني آخر يدعى كامونو تشومي قبل سبعة قرون: "حتى وإن لم أتمكن من التعرف على ميزة الصمت، يكفي العزلة أنها تمنعني عن خطيئة الحديث". أما تراث الغرب بشكل عام فعلى النقيض تمامًا، حيث يعتمدون على أمثال بتاح حتب[27] الذي تقول إحدى أمثاله: "كن متحدثًا رائعًا، إن جميع قوتك تكمن في مدى تمكنك من التحدث، إن التحدث سلاح أقوى من القتال نفسه". وهذه الفكرة لم تنقرض بعد مرور أربعة آلاف سنة، بل أتى الأديب الألماني توماس مان قبل أقل من مئة سنة ليؤكد استمرار هذه الثقافة ويقول: "الحديث حضارة بحد ذاته". مع مرور تلك السنوات لم تذهب الأقوال، بل هي باقية وتلد أمثالًا جديدة مشابهة لها وما زالت تترك أثرها، فها نحن نرى الصينيين لا يبالغون في تمجيد الشخصية الاجتماعية ويحترمون جميع الشخصيات وأهم ما لديهم ألا يتدخل أحد في شؤون الغير وأن يتحلى بالأدب، أما مسألة أن يكون الفرد اجتماعيًا أو

27- يعتبر من أحد أعمال الأدب المصري ويعود إلى ألفين وأربع مائة عام قبل الميلاد التي تنسب إلى بتاح حتب الذي يقال أنه كان وزير أحد الفراعنة. ويتضمن عددًا من التعاليم والنصائح التي يسديها بتاح حتب إلى ابنه.

انطوائيًا فهذا لا يجعله مميزًا فريدًا. إن الشرقيين يعون أن الشخص بحاجة إلى الاختلاء بنفسه خاصة عندما يتعلق الأمر بدراسته، ويرون أن تعلمه واستفادته من وقته أهم بكثير من مجرد الخروج لأجل النزهة في كل مرة. أما الأمريكيون فهم يزجون بأطفالهم قسرًا في المحافل الاجتماعية ويرون مشكلة في بقاء الطفل ليقرأ كتابًا وأصدقاؤه في نزهة، ويرون أن الشخص الذي لا يجيد الخطابة ناقص نقصًا لا يمكن تجاهله. هاهي المأثورات القديمة ما زالت تسري في دماء المجتمع الصيني أو الأمريكي وهاهو التاريخ يتحكم. فلماذا أستغرب الآن من حديث سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفس الأمر يتكرر بصورة أخرى؟

قد يستنكر البعض التأثير الذي تتركه الثقافة لكننا عندما نعود إلى كتب علم الاجتماع والنفس سنرى كثيرًا من الأدلة على ذلك. فلو ذهبنا لنتصفح مقدمة ابن خلدون سنرى حديثًا عن أثر الهواء والطقس في أخلاق البشر، وإن كنت تستنكر ذلك فانظر حولك وسترى أن أصحاب المناطق الساحلية يمتلكون طباعًا وصفاتٍ تختلف عن التي يمتلكها أصحاب المناطق الصحراوية. فإن كان هذا فعل الهواء في أخلاق البشر فكيف بأفرادٍ يجترون عادات مجتمعهم منذ قرون طويلة. إن هذه الصفات والعادات التي تسري في دماء المجتمع ليست مؤثرة على الفرد وحسب بل يمتد تأثيرها إلى كتابة التاريخ مرة أخرى، فكما يذكر العقاد كان الإنجليز والفرنسيين يتنافسون على استعمار كندا فنجح حينها الإنجليز وأخفق الفرنسيون؛ ويعلل العقاد إخفاقهم بأن استعمار كندا كان يتطلب قضاء وقت طويل في العزلة عن المدن المليئة بالحياة وهذا ما لم يعتد عليه الفرنسيون، فهم يعيشون في ثقافة تنبذ العزلة وتشتاق إلى الحفلات والمعارض لذلك اشتاق الفرنسي إلى مدينته النابضة بالحياة ولم يكن قادرًا على تحمل تلك العزلة في دولة ما زالت ناشئة. في الجانب الآخر، كان الإنجليز أكثر انعزالية فكانوا أقدر على الاستعمار؛ لأنهم ليسوا بحاجة

إلى مقاومة ومجاهدة أنفسهم ليصبروا على العزلة فهي جزءٌ من أسلوب حياتهم قبل أن يأتوا إلى كندا.

لم يكتف العقاد بذكر هذا التأثير وأشار إلى تأثير التاريخ في زراعة ملكات قوميّة تؤثر في المهن التي يتقنها الشعوب. يقول العقاد أن من يستقرئ التاريخ سيجد أن الرحالة العظماء الذين كانت لهم أفضالًا كبيرة في الكشوفات الجغرافية خرجوا من أمم اعتاد أبناؤها الترحال كالعرب عندما يشقون البادية ولا يأبهون بالمسافات الطويلة والإغريق الذين يقيمون على الشواطئ مما يجبرهم على الترحال ويسمعون بالرحلات وتألفها نفوسهم منذ صغرهم، وكذلك أصبح الإنجليز والبرتغاليون مشهورين بالترحال؛ لأنهم كانوا بحارة وكثير منهم يشتغل في الملاحة. وما ذكره العقاد قريب من العقل جدًا، فعندما نعتاد منذ صغرنا على شيءٍ ما سنبدو أكثر مهارة لو قررنا الاحتراف فيه عندما نكبر لأننا نألفه ونعرف أساسياته مذ كنا أطفالًا. وعلق العقاد على ما مضى قائلًا: "إنها ملكة شخصية استمدت من ملكة قومية" ولا يمكنني أن أزيد على هذا الوصف حرفًا؛ فبهذا الوصف كان العقاد دقيقًا إلى أبعد حد، إن المجتمعات والبيئات تترك آثارًا كبيرة كما تفعل الجينات، فنحن البشر نرث صفاتنا من والدينا قبل الولادة ومن محيطنا بعد الولادة.

البقع الجميلة

"يولد في بيئة متماسكة وكل الظروف تخدمه وينجح أيما نجاح ثم يستهزئ بالمساكين الذين تكالبت عليهم الظروف"[28]

علي الوردي

علينا أن نعلم أن الجينات ليست المؤثر الوحيد على شخصياتنا كما أكدت إحدى الدراسات التي تم إجراؤها على توائم متطابقين، أي الذين يحملون الجينات الوراثية نفسها، ووجدوا في هذه الدراسة أن الجينات تؤثر بنسبة 50% في تحديد الشخصية مما يعني أن هناك 50% متروكة لعوامل أخرى، ويتأكد لنا بذلك وجود عوامل أخرى كتأثير التاريخ والتربية إذا ما علمنا أن الأطفال الذين اختبرهم كاجان حصلت لهم بعض التغييرات في سلوكهم بل وتغير بعضهم بشكلٍ جذري. وهذا ما حدث مع سوزان كين حيث تقول: "أنا انطوائية بكل ما تحمله الكلمة من معنى حتى أني لا أحب الانخراط في بيئة جديدة ولا أحب إلقاء المحاضرات إلا إن أخبروني قبلها بفترة طويلة، وعندما سألت أمي عن شخصيتي وأنا صغيرة، أجابتني بأني كنت لا أخشى الغرباء ولا أبكي عندما يمسني أحدهم". لهذا لا يمكننا القول بأن الوراثة والمجتمع هما فقط العاملان المؤثران في تكوين الشخصيات، فالوراثة كما أشارت الدراسات تؤثر بنسبة 50%[29] في ذلك التكوين وبهذا تتبقى لنا

28- قد أقتبس بتصرف حينما يتحدث صاحب الفكرة عن فكرته في صفحتين أو ثلاث، لا أستطيع اقتباس كل الصفحات فغالبًا ما أحاول تلخيص فكرته في سطر واستخدامه. الاقتباس أعلاه هو تلخيص لأفكار أوردها في كتابه خوارق اللاشعور.

29- عندما نقول 50% من الشخصية تأتي من العوامل الوراثية فنحن لا نقول أن هذا ينطبق على الكل، لكننا وبكل بساطة نقول هذا المتوسط والسواد الأعظم لكن أحدهم قد يتأثر بالوراثة بنسبة 10% فقط والآخر يتأثر بنسبة 80% مثلًا. لكن الأكيد ألا أحد يتأثر بالوراثة بنسبة 100% أو 0%.

50% سيذهب جزء منها إلى تأثير المجتمع والتاريخ، ويذهب جزء إلى قوة الإرادة النابعة من الشخص ويتبقى جزء لعامل مهم مؤثر وفقدانه سيفسد كل ما مضى وهو عامل التربية والظروف المحيطة.

كي ندرك أهمية هذا العامل سنبدأ بحوارٍ جرى بين سوزان كين والعالم جيروم كاجان، قالت سوزان أنها تعرف طفلة تبكي وتنفر من الغرباء فهل يعني هذا أنها ستصبح انطوائية عندما تكبر؟ وأجابها: قد تكون وهذا الأغلب لكننا لا نستطيع الحكم عليها لأن هناك عامل التربية والظروف التي ستنشأ فيها هذه الطفلة، وهذا سيساهم كثيرًا في تحديد هل هي انطوائية أو اجتماعية، وسيحدد كذلك مدى نجاحها كانطوائية أو اجتماعية؛ لأننا إن تحدثنا عن الإبداع الذي يحققه الأشخاص بشتى شخصياتهم فإنه يعود بالدرجة الأولى إلى الظروف التي ينشؤون فيها فكلا الشخصيتين ستصبحان في وضع سيء إن تم تجاهلهما وتهميشهما أو عاشا في بقعةٍ لا تناسبهما.

وقبل أن نخوض في تعريف البقع، سنذهب إلى هانز آيزنك[30] العالم الذي خاض كثيرًا في مسألة الشخصيات وتطرق إلى مدى تأثير الظروف والتربية في الانطوائي والاجتماعي. بدأ هانز بالتأثير السلبي الذي يترك على الشخص الاجتماعي وقال أن الاجتماعي عندما يعيش في بيت غير متماسك وغير مشبع عاطفيًا سيصبح متقلبًا وعدوانيًا ومندفعًا وشديد الاضطراب وستفسد بذلك قواه، وذات الشيء يصيب الانطوائي عندما يتعرض لعدم احترام شخصيته أو يعيش في بيئة غير متماسكة ويصبح وقتها رافضًا للآخرين على الإطلاق وينفر من البشر ظنًا منه أنهم يكرهونه، وتجده متصلبًا في رأيه

30- عالم نفس ألماني بريطاني عمل في مجالات كثيرة لكن أكثر ما اشتهر به هو دراسة الذكاء والشخصيات.

ومزاجيًا ومتوترًا وكتومًا إلى درجة غير مقبولة. كل هذه السلبيات تختفي تمامًا عندما يعيش الشخص الانطوائي في بيئة ملائمة تحترمه وتوفر له استقرارًا، ويصبح حينها مهتمًا بمن حوله ومفكرًا رائعًا؛ لأن من حوله احترموا شخصيته وانعزاله فعندما ينعزل لا ينشغل بسوء تعامل من حوله وأفكارهم السوداوية عنه بل ينشغل وينغمس في أفكاره وهواياته، وتجده أيضًا مسالما محبًا للجميع حتى وإن لم يصادق الكثير، وتجده منضبط المزاج وصاحب تفكير إيجابي وهذا ما لا تجده عند الانطوائيين الذين نشؤوا في بيئة لا تقدرهم حيث تجدهم أكثر تشاؤمًا وسوداوية. وهكذا الاجتماعي عندما تضعه في بيئة ملائمة سيتحول إلى قيادي رائع سهل التعامل، ولا تجده ذلك الذي يحب فرض رأيه على المجموعة؛ لأنه لم يشعر بالنقص في بيئته ليمارس التسلط خارجها.

قد يستنكر البعض التأثير الذي تتركه البيئة والظروف في شخصية الإنسان لكن هذا ما أكدته دراسات كثيرة، وجاءت أمثلة عديدة لتؤكد ذلك وسنأخذ التأثير الذي تتركه مدارس "KIPP" الأمريكية في شخصية طلابها كمثال. هذه المدارس تعرف بجودة بيئتها ووجد أن هناك فارقًا واضحًا بين طلابها وبقية المدارس الأمريكية حيث أن مرتاديها يتمتعون بقدرة أكثر على ضبط الذات، ورأوا أن القادمين الجدد تغيّر سلوكهم بعد انضمامهم رغم أنهم كانوا أسوأ قبل فترة بسيطة. وهناك قصة لشاب أمريكي قرأتها في كتاب "The Marshmallow Test"[31] وهي تتحدث عن اختلاف شخصيته وارتفاع قدرته على ضبط النفس بعد تركه لمدرسته العشوائية التي تفتقر إلى أدنى متطلبات المدرسة المثالية وذهب إلى مدرسة من سلسلة "KIPP".

31- أنصح بقراءة هذا الكتاب لمن يريد أن يتعمق في قضية ضبط الذات فهو يحتوي على أبحاث ودراسات كثيرة.

إننا ما زلنا نتجاهل تأثير البيئة وننسب كل شيء إلى الوراثة، فعلى سبيل المثال لا أجد أحدًا قال لي أن للعصبية سببًا غير وراثي، بل وتجده مستعدًا للقول بأن العائلة بمجملها مصابة وراثيًا بالعصبية. قد تكون العصبية وراثية إلى حد كبير لكنها لا تخلو من مؤثرات أخرى، إني أتذكر صديقًا لي دائمًا ما أراه متوترًا كل صباح وينتقدني عندما أتبسم صباحًا ولا يتقبل ذلك، في البداية اعتقدت أن الأمر وراثي وأن الرجل عصبي بالفطرة، لكني سألته ذات مرة عن سر عصبيته وبعد إلحاحي قال: "في بيتي يستيقظ الجميع على الصراخ ولا شيء غيره". هنا علمت أن الصفات لا تسري في الجينات فقط بل في محيط الأسرة كذلك، فهاهي أسرة صديقي تتصف جميعها بالتوتر لأن أحدهم يقوم بالصراخ أولًا ثم تنتقل تلك العصبية إلى جميع أفراد الأسرة.

هذا ما تحدثه التربية والبيئة، لكن علينا ألا ننسى أن البيئة المنزلية أو المدرسية المثالية ليست إشباعًا عاطفيًا وتلبية للاحتياجات المادية من ألبسة وأجهزة وحسب، فهناك ما يسمى بمنطقة الراحة والبقعة الجميلة ويجب أن تتوفرا للأبناء إذا ما أردنا الحصول على شخصٍ سويّ أولًا ثم شخصٍ مبدعٍ ناجح. مرحلة الشخص السويّ تبدأ بتوفير منطقة الراحة [32]"Comfort Zone". تعني هذه المنطقة احترام شخصية الطفل وعدم إجباره على التصرف كما يتصرف أخوه المختلف عنه، وأن يبتعد المربي بعدًا تامًا عن المقارنة بين أبنائه أو مقارنة أبنائه بأقرانهم. لا يقدر على بناء منطقة الراحة إلا مربٍ واعٍ يدرك الفروق بين الاجتماعي والانطوائي والمؤثرات التي تؤثر سلبًا على كليهما، فتجده يحرص على عدم إجبار ابنه الانطوائي على حضور

32- في بداية قراءتي وبحثي بدا لي أن منطقة الراحة "Comfort Zone» والبقعة الجميلة "Sweet Spot» تؤديان إلى نفس المعنى لكني أعتقد أنهما مختلفتان فالأولى تعني توفير بيئة لا ينزعج فيها الشخص والأخرى تعني بيئة محفزة للإبداع والله أعلم.

احتفالات باستمرار؛ لأنه يعلم انزعاجه من الأصوات المرتفعة، وتجده كذلك يفعل مع الاجتماعي فلا يلزمه بالجلوس في المنزل لأن أخاه الانطوائي لا يخرج فهو يعلم أن لكلٍ منهما شخصيته ولكلٍ منهما أشياء تبهجه. إن منطقة الراحة تعني توفير البيئة الملائمة لشخصية ابنك كي يعيش بلا اضطرابات نفسية ولتبني فيه الثقة، ومن الأمثلة على هذه البيئة ألا تجبر ابنك الانطوائي على ركوب دراجة نارية لأن أقرانه يفعلون، فأنت بذلك تخرجه من منطقة الراحة؛ لأنه بطبيعته يتردد في خوض التجارب الجديدة وبذلك الإجبار سوف تدمر شخصيته وثقته بنفسه تدريجيًا، وذات الشيء يحدث عندما ترغمه على اللعب مع غرباء أو أقارب لم يألفهم، وإن رزقت بابن اجتماعي فعليك أن تشجعه عندما يقوم بخوض تجربة جديدة ولا تكبله لأنك ستفسد منطقة الراحة الخاصة به وسيستغل طبيعته النشطة في أمورٍ قد تفسده.

هكذا نكون قد أسسنا منطقة الراحة، أما البقعة الجميلة فهي مشابهة إلى حدٍ كبير لكني أفضل التفريق بينهما، ففي مرحلة البقعة الجميلة ننتقل من تهيئة الطفل نفسيًا وبناء الثقة إلى مرحلة توفير المتطلبات اللازمة لإبداعه. في مرحلة البقعة الجميلة يشجع الأب ابنه الانطوائي على الهوايات التي يحبها دون أن يعترض عليها بحجة أنها لا تجعله يتشارك مع الآخرين، فلو كان محبًا للقراءة عليه أن يوفر له كتبًا باستمرار وإن كان محبًا للرسم فعليه أن يفعل كل شيء ليجعله يغرق في الرسم أكثر بدلًا من إجباره على ممارسة أنشطة تفاعلية لا يحبها ولا يستريح إليها. إننا عندما نحرم الانطوائيين في بداية حياتهم من ممارسة هواياتهم التي يحبون بحجة أنها تعزلهم عن الناس نقوم بتدمير مبدعٍ قد يكون له باع طويل واسمٌ عظيم في التاريخ. إن مشكلة منع الانطوائيين من هواياتهم ليست افتراضية بل حقيقة موجودة حيث تشير سوزان كين إلى أن

أغلب الأمريكيين يحرمون أبناءهم من الهوايات الكلاسيكية كالقراءة والرسم والموسيقى.

مشكلتنا أننا هوينا التشابه وحددنا نموذجًا للنجاح نطالب أبناءنا بأن لا يحيدوا عنه رغم أن الإيمان بالاختلاف يقودنا إلى فهم من حولنا بشكل أفضل ويجعلنا نميّز بين أبنائنا حتى في أساليب العقاب، فعندما يكون الطفل انطوائيًا نستطيع أن نحرمه من هواياته التي يحبها كالقراءة وعندما يكون اجتماعيًا نستطيع حرمانه من نشاطاته التفاعلية التي يحب؛ لأن الاجتماعي عادةً لا يكترث للتأنيب فهو منخفض الفاعلية كما ذكرنا والانطوائي إن بالغت في تأنيبه وأكثرت عليه فقد تخسره لأنه أقرب إلى الكتمان.

إن قاعدة منطقة الراحة والبقع الجميلة ليست أحاديث بل أبحاث مثبتة، وأول من تحدث عنها هو العالم هانز آيزنك عندما قال أن الإنسان يختلف في مدى تأثره بالمحفزات باختلاف شخصيته، وهذا أمرٌ منطقي سبق أن تحدثنا عنه من ناحية الجوائز، فبعض الأشخاص يفضل أن يأخذ جائزة فورية وستجده يعمل بعدها بتفان، وتجد البعض تجذبه الجائزة المستقبلية ولأجلها يعمل ليلًا نهارًا. لكن هانز قام بتعريفها بشكل دقيق حيث قال أن كل إنسان متكيف مع مقدار محدد من المحفزات، لا يزيد ولا ينقص، مثل مستوى الصوت وحضور الاحتفالات وقوة الإضاءة ومدى تقبل الجسد للمنبهات كالقهوة وهلم جرا. ولنقوم بتوضيح معنى المحفزات، لنفترض أننا أتينا بانطوائي واجتماعي وقلنا لهما: "تم اختياركما على أن تظهرا بشكل يومي على خشبة المسرح لتقدما كلمة على مدار الأسبوع وسيتم إجراء مقابلات عدة معكما"، غالبًا ستجد الاجتماعي يستقبل الخبر على أنه محفز عالٍ وتجده في أعلى مستويات الحيوية، أما في حالة الانطوائي سيكون هذا الشيء مثبطًا لا محفزًا وسيظل شاغلًا باله ومقلقًا له.

بعد فرضيات وأبحاث هانز قام العلماء بإجراء الأبحاث ليؤكدوا ما جاء به، وأشهرها تلك التجربة التي قام فيها الباحث بجلب انطوائيين واجتماعيين وجعلهم يلعبون وهم يضعون سماعات تصدر أصواتًا عشوائية، وطلب منهم أن يجعلوا مستوى الصوت كما يناسبهم، قام الانطوائيون بجعل مستوى الصوت 55 كمتوسط وقام الاجتماعيون بجعله 72، وبعد انتهاء اللعبة وجدوا أن الجميع حققوا نتائج متقاربة ولم يتفوق فريق على الآخر، وهذا طبيعي لأنهم لعبوا في منطقة الراحة والبقعة الجميلة. بعد ذلك قاموا بجعل الاجتماعيين يلعبون وهم يستمعون لمستوى منخفض ووجدوا أن حماسهم انخفض واحتاجوا محاولات أكثر لاجتياز اللعبة، وتعرض الانطوائيون لانزعاجٍ وتعثروا في لعبتهم عندما جعلوهم يلعبون وهم يستمعون لمستوًى عال. ما حدث مع مستوى الصوت سيحدث مع بقية المحفزات كالإضاءة فإن كنت صاحب شركة فعليك إن كنت تطمح بإنتاجية أكبر من موظفيك ألا تكتفي بمنحهم المكافآت بل يجب أن تنتبه لكافة أنواع المحفزات التي قد تصبح مثبطات عند البعض كالأصوات العالية والإضاءة المسرفة وغيرها.

إذا كانت مستويات الإضاءة والصوت تؤثر في إنتاجية الشخص، فماذا سيحدث لحالته النفسية إن أُجبر يوميًا على البقاء في أجواء تزعجه وتضايقه كما يحدث للانطوائي عندما نجبره على الخروج كثيرًا أو على التحدث؟ ما ذكرناه من محفزات ومثبطات لا ينطبق على الانطوائيين كلهم فقد يكون لديك صديق انطوائي يهوى الصخب، هي مؤشر للأغلبية لا أكثر؛ لذلك علينا أن نعرف ما هي الأشياء التي تزعج طفلنا والأشياء التي تحفزه كي نتمكن من وضعه في بقعته الجميلة ليقدم أفضل ما يملك. إن أهم شيء نقدمه هو احترام الانطوائية وألا نعتبرها علة من العلل، ونفعل كما فعلت إحدى

المعلمات عندما أخبرت طلابها بأنها خجولة وانطوائية مما جعلهم يصارحونها بأنهم يمتلكون ذات الصفات لأنهم شعروا بأنهم طبيعيون.

إن لم تشعر ابنك بأنه طبيعي فلن تزرع فيه الثقة ولن تحصد ابنًا سويًا، عليك الآن أيها الأب أن تمزق أي دفتر ملاحظات كُتب فيه "ابنك جيّد، لكنه لا يتكلم كثيرًا"، لا تعلموهم أن الصمت والانطواء نقص، إن النقص كله في إنتاج أفرادٍ يرتدون أقنعة. إن النقص يكمن في مجتمع (كن ولا تكن) كما يسميه علي الوردي، فنحن لم نكتف بالطلب من هاوي الهندسة أن يصبح طبيبًا، بل أصبحنا نقول كن كابن فلان وكوني كابنة فلانة! في ماذا بالتحديد؟ في كل شيء، نريدك أن تصبح مثلهم كما هم، نريدك أن تلغي شخصيتك وتصبح غيرك! كل هذه نصائح نظن أنها تبني أطفالنا وهي في الحقيقة تدمرهم أشد تدمير كما يقول الوردي: "جاءني أحدهم وقال لا أدري ما الذي أفسد أبنائي رغم أنني أنصحهم على الدوام. فقلت إني أخشى أن تكون نصائحك هي من أفسدتهم".

زهور الأوركيد

"في إحدى لحظات حياتي كنت أتمنى ألا أرزق بطفلٍ انطوائي كي لا يعاني مثلي، لكني رزقت!"

ابتسام (أم حذيفة)

لدينا فكرة عامة أن الانطوائيين مرهقون في عملية التربية ونرى أن نفوسهم خصبة لنشأة العقد وهذا صحيح حيث تقول الأبحاث أنه عندما ينشأ الأطفال في ظروف سيئة جدًا غالبًا ما يكون الأطفال الانطوائيون أسوأ بنسبة 20%، وهذا ليس غريبًا حيث رأينا منذ اختبار المواليد أن الاجتماعيين أكثر تقبلًا للظروف الغريبة عليهم أيًا كانت مما يجعلهم أقل تأثرًا عندما ينشؤون في بيئة سيئة. لكن النتائج ستقلب رأسًا على عقب عندما يتحصل الاجتماعي والانطوائي على رعاية مميزة خاصة إذا لم يتعرضوا لصدمات كالتحرش الجنسي والتفكك الأسري، وتم احترام شخصياتهم وتوفرت لهم كافة متطلبات منطقة الراحة، ستجد هنا أن الانطوائي يستفيد بنسبة 25% أكثر حيث تجده أكثر ثقة وأكثر تحملًا للمشاكل وأكثر تأقلمًا مع الظروف؛ لأن هذه التربية أسهمت وبشكل كبير في بناء شخصيته وتقويمها. هذه الدراسات تجعلنا نخلص إلى أن كلا من الاجتماعي والانطوائي له جانب إيجابي وآخر سلبي؛ فإن كان الاجتماعي أقل تأثرًا بالصدمات، فالانطوائي أكثر تأثرًا بالتربية الجيدة مما يعني أن تربيتك له مثمرة بشكل أكبر. وقد قام الباحث دافيد دوبيز بتقديم وصفٍ رائع لهذه المفارقة عندما وصف الاجتماعيين بزهور الطرخشقون التي تزهر وتنمو في أي بيئة، وشبه الانطوائيين بزهور الأوريكد التي تموت عندما

لا تتوفر لها الظروف الجيدة لكنها تنمو وتبدو أقوى من الطرخشقون في حالة تمت رعايتها.

ولسنا هنا لنبحث التفكك الأسري وغيره من الصدمات وكل ما يهمنا أن نتحدث عن إخراج الطفل من منطقة الراحة فهو كفيل بأن يجعله كزهرة أوركيدٍ لم تسق بماءٍ كاف! وأهم مظاهر هذا الإخراج أن يتم اعتبار الانطوائي مريضًا، ولرؤية هذه الظاهرة عن قرب سنذهب في رحلة مع الطبيب جيري ميلر المتخصص في علم نفس الأطفال ورئيس مركز الطفل والعائلة في ميشغان. يقول الطبيب أنه استقبل في يومٍ من الأيام طفلًا في السابعة من عمره يدعى إيثان جاء به أبواه يشتكيان من عدم مشاركته في الفصل، رغم أن درجاته كانت جيّدة، ورفضه للعب مع الأطفال ودائمًا ما يفضل القراءة والحديث عن المعلومات التي حصل عليها. ومشكلتهما الأخرى أن ابنهما الذي يصغر إيثان يضربه ولا يقوم بأي رد فعل، فخشيَّ والداه أن يكون غير طبيعي. يقول الطبيب: "المشكلة تكمن في أن أبواه اجتماعيان وطفلهما الأصغر كذلك مما جعلهما يستنكران شخصية ابنهما الأكبر ويعتبرانه مريضًا. حاولت بدوري أن أوضح لهما أنه لا يعاني من أي شيء لكنهما لم يصدقاني وقاما بتحويله إلى أخصائي آخر". يستطرد الطبيب قائلًا: "قد يجدان من يغيّر في طباعه ويجعله أكثر جمالًا في عين المجتمع، لكنهما وبلا شك سيدمران هويته، فلن يصبح لشخصيته قيمة ولا توجد خسارة تفوق هذه".

ما مضى كان مثالًا على البيئة السيئة، أما إن أردنا مثالًا على البيئة الجيّدة نستطيع أن نجده في رسالة سيدة انطوائية من عمان رزقت بطفلٍ انطوائي، إن تعاملها المثالي مع ابنها جعلني أكتفي بها أنموذجًا على كيفية التعامل مع الطفل الانطوائي وزرع الثقة فيه منذ الصغر، تقول أم حذيفة:

"في بداية الأمر إنني انطوائية إلى أبعد حد وعانيت في حياتي لأن

أسرتي ومجتمعي لا يمتلكان وعيًا لهذه الشخصية، ولذلك كنت أتمنى ألا أرزق بولد انطوائي كي لا يعاني ما عانيت. لكن الأقدار شاءت أن أرزق بطفلٍ انطوائي وعلمت أنه سيعاني، ومن تلك اللحظة نذرت نفسي له لأعطيه كل ما افتقدته في طفولتي وعاهدت نفسي أن أبني شخصيته أيما بناء وبدأت أقرأ هنا وهناك عن الشخصية الانطوائية ولم أمل من التواصل مع أمهات من شتى أقطار العالم كي أعرض لهم تجربتي وأستفيد بدوري من تجاربهم. في بدايات ابني مع المدرسة كان شديد البكاء؛ لأنه يرفض البيئة الجديدة كغيره من الانطوائيين لكني لم أشعره بأنه يقوم بسلوك خاطئ بل تركته وشأنه وأشعرته بأني أفهمه جيدًا ولم أخرجه من قوقعته مما جعله يتقبل المدرسة تدريجيًا لأني لم أرغمه على شيء وأشعرته بأن شخصيته طبيعية وكثيرًا ما أتقمص شعوره كي يشعر بأني معه. وعندما كبر، بانت عليه الانطوائية وأصبح واضحًا عليه انزعاجه من الاجتماعات الأسرية المتكررة فأصبحت أقنعه قبلها بفترة ولا يمكن أن أصطحبه رغمًا عنه لأني سأدمر ثقته بنفسه، وبسبب معاملتي لابني جاءتني تعليقات جارحة ممن حولي ووصفوني بتدليله وأنني سأمنعه من بناء شخصيته، وهم لا يعلمون ألا شيء يدمر شخصية الإنسان بقدر ما يفعله الإرغام وتهميش أفكاره وآرائه.

كبر حذيفة واتضحت انطوائيته أكثر، وظهرت بعض مزايا الانطوائيين فوجدته منكبًا على القراءة ويفضلها على اللعب مع أقرانه، ومهتمًا بالعلوم إلى الحد الذي يجعله ينهض من الصباح ليجري تجارب علمية بسيطة في المنزل ووجدت فيه قدرةً فائقة على إيصال ما يحصله من معلومات. ورغم أن اهتماماته مختلفة جدًا عمن حوله فهو أشبه بالرجل الكبير باهتماماته هذه، لكني لم أشعره باختلافه السلبي عن أقرانه بل أشعرته أنه متفرد ومتميز. إني فعلت كل هذا مع حذيفة لأني أعلم أن الانطوائيين مميزون ولأني مؤمنة بأن

الجهد في الانطوائي لا يضيع وفعلًا حصدت الثمار التي بذرتها فهو الآن لا يرتجف عندما توجه له الأنظار رغم أنه كان لا يتجرأ على الوقوف أمامي وأمام أبيه أما الآن بفضل الله ثم جهدي أصبح يشرح لنا كل ما يقرأ ".[33]

تستطرد أم حذيفة قائلة: "إن ابني بالفعل يهتم بأشياء تكبره عمرًا فتارة يبحث أصول الأشياء من المطر حتى الفطريات والخلايا، وتارة يبحث عن أعضاء الإنسان ووظائفها ويستفسر عن سبب كل شيء حتى السرطان والحمى، إلى الدرجة التي تجعله يبحر بخياله ويحاول التفكير أكثر وأكثر ويحاول إثبات أفكاره عمليًا. عندما رأيت توجهاته ساهمت بدوري أن أدخله بقعته الجميلة بعد أن نجحت في بناء منطقة الراحة وأصبحت أهديه الكتب عندما يعمل عملًا جيدًا وكان ذلك ضروريًا ليعلم أنني معه فيما يعمل ولا أقزم من هواياته". قد يستغرب القارئ ويقول كيف لطفلٍ أن يفكر في مواضيع علمية بحتة كهذه ولا يصدق حديثنا أبدًا، لكن الإجابة نجدها في عودتنا إلى العقاد مرة أخرى، ولن نطيل الحديث حيث أن هذه الأبيات التي كتبها العقاد في الحادية عشرة من عمره كافية لتحكي كل شيء:

علم الحساب له مـزايـا جمة   وبه يزيد المـرء في العرفـان

النحـو قنطرة العلوم جميعها   ومُبين غـامضِها وزَيـنُ لسان

وكذلك الجغرافيا هـادية الفتى   لمسالك البلدان والـوديـان

وإذا علمت لسان قوم يا فتى   نلت الأمان به وأي أمـانِ!

أبيات كتبها طفلٌ في الحادية عشر من عمره، يتغزل بالرياضيات ويصف النحو بقنطرة العلوم ثم يذهب إلى الجغرافيا ويدعو إلى تعلم ألسنة الشعوب، فلم لا يكون هذا الحذيفة مرآة لذلك العقاد فمن يدري؟

33- عندما سألت أم حذيفة عن السبب الذي جعلها تتقن تربية ابنها فقالت لأني «أقرأ».

وعندما نستمع إلى أم حذيفة أكثر سنرى كثيرًا من الأبحاث التي ذكرناها آنفًا ينطبق على ابنها، ومنها أنه يحرص على إتقان عمله ويفضل ألا يراه أحد وأن يقوم به منفردًا حيث تقول معلمته لأمه: "حذيفة يفضل العمل الفردي على الجماعي ويتقنه"، ويوافق حذيفة الأبحاث مرة أخرى عندما يميل إلى الهوايات الكلاسيكية الغير حركية فتجده يساعد أمه في فن الأوريجامي الذي يعنى بصنع الأشكال من الورق، وتقديرًا لحبه للهوايات الفردية قامت أمه بدعمه لتعلم الرياضات الفردية كالتايكوندو.

بعد ما انتهت أم حذيفة، قمت بسؤالها عن صفات ابنها القيادية والاجتماعية، فأجابت قائلة: "ابني يمتلك كمًّا من المعرفة يجعله قويًا في الأسلوب ومؤثرًا في الأطفال وقائدًا رغم انطوائيته وخجله، ولا أجد تناقضًا بين القيادة والخجل حتى وإن كان ابني لا يستطيع النظر في أعين من يحادثه ويأخذه الارتباك مع الغرباء ولديه خوف من الأماكن الجديدة". هذه خلاصة قصة سيدة انطوائية عاشت الانطوائية وعايشتها مع ابنها، لكنها تجاوزت كل السلبيات مع طفلها وقررت أن تجعله كزهرة أوركيد قوية وقدمت درسًا في التعامل مع الأطفال عندما يمتلكون شخصية مختلفة عمن حولهم وكيف يمكننا إبعادهم عن العقد والاهتزاز. في ختام حديثي معها طلبت منها أن تلخص معاناة الانطوائيين، فقالت: "المعاناة أن تشعر أنك لا تنتمي لأحد، لا شيء مشترك بينك وبين أقرانك، اهتماماتك مختلفة وما يسعدهم قد يضايقك مثل اللعب وكثرة الحديث حيث تنعزل لا شعوريًا ووسط تأنيب الجميع تدرك وأنت صغير أن العيب فيك لا فيهم. فالجميع هناك يلعب وأنت تحذر وتفكر وتحلل أو في معزلٍ عنهم".

همس ونبرات[34]

"إن للكلمات روحًا لا يستطيع نفخها إلا من عاشها"

عبد اللطيف

لا شك أن الإبداع في الكتابة والرسم وغيرها من الفنون أساسه الموهبة لكني لا أعتقد أنها الأساس الوحيد حيث أؤمن بأن العامل الأهم هو عامل التجربة، ومثالٌ عليه أن يكتب مجنون ليلى عن الحب بعد أن أمسك الجمر بيديه وأن يكتب فلسطيني عن شوقه للوطن؛ فمن يدرك كلمة وطن كما يدركها الفلسطينيون! عندما يعيش الكاتب ما يكتبه يصبح للكلام بعدٌ آخر ووقع أعمق في نفس القارئ حيث يشعر وكأن الكلمات تتحدث إليه كما يقول علي عزت بيجوفيتش في وصفه للأعمال الفنيّة: "إن العمل هو نتيجة نار توهجت في روح صاحب العمل"، وصدق بيجوفيتش، لا يمكن للعمل أن يكون إبداعيًا وخلاقًا ما لم يكن نتيجة لصراعٍ فكري أو وجداني عاشه الكاتب. وأعتقد أن فقدان عنصر التجربة هو سبب تردي أغلب أعمالنا الفنيّة وخاصة الرواية الخليجية الحديثة، إن أغلبنا أصبح مقلدًا لا أكثر والتقليد لا يخلق شيئًا رائعًا مهما حاول المقلد الذي أسمى نفسه كاتبًا. قد يقولون بالغ في النقد وعمم، لكني أولًا لم أعمم لأني قلت الأغلب، ولم أقل الجميع حيث أن هناك أعمالًا خليجية يشار إليها بالبنان، بل إن بعضهم استطاع أن

34- اقتبست فكرة التراسل مع الانطوائيين عبر الإنترنت من موقع الباحثة سوزان كين quietrev.com وهي مدونة رائعة تحدون فيها مقالات بأيدي الانطوائيين أنفسهم أو بأيدي مختصين في التربية وتطوير الذات بشكل رائع وليس الشكل المعتاد لنا أن نراه. فهو أشبه بتطوير الذات المناسب للانطوائيين ولا يدمرهم ولا يجعلهم يخرجون من شخصياتهم الحقيقية.

يكتب في الحب والغرام نصوصًا خالدة. أما عن مبالغتي في مسألة تأثير الواقع الذي يعيشه الكاتب في النص، علينا أن نذهب لأعظم الروائيين أستاذ الرواية العربية نجيب محفوظ، إنه لم يكن موهوبًا فقط بل عاش أحداثًا ودخل متاهات فكرية جعلت منه الأفضل عربيًا حتى وقتنا، فلو بدأنا بالصراعات السياسية التي عايشها سنرى أن أغلب رواياته كتبت بين ثورتين والبقية تخللتها حروب مع إسرائيل. هذه الصراعات السياسية أدت إلى صراعات فكرية ونفسيّة لدى نجيب محفوظ وإني لأجزم أن سر نجاحه يكمن في بث سيرته وتجربته من خلال أعماله لذلك نراها فريدة، ومما يؤكد ذلك أنهم سألوه عما إذا كان هناك رواية تمثله، فأجاب قائلًا: "أحد الشخصيات في ثلاثيتي[35] تحكي جزءًا كبيرًا من حياتي"، ولا غرابة أن تكون هذه الثلاثية أفضل أعماله وأحد أسباب حصوله على جائزة نوبل فعندما يكون الأدب حقيقيًا يتفجر الإبداع! ولما سألوا أصدقاء نجيب ليتأكدوا من ذلك، قالوا: "تستطيع أن تقرأ نجيب محفوظ من خلال أعماله"، وهنا يتلخص الحديث، إن أعمال نجيب محفوظ أضحت خالدة؛ لأنها تحمل روحه وفكره.

هذه الروح التي تحدثنا عنها ليست حكرًا على الروايات بل تنطبق على كل الفنون حتى لو كان رسمًا، وهاهو بيكاسو الرسام الأشهر يقول: "ليس مهمًا ما عمله الرسام، وإنما الأهم من هو الرسام". ويعلق علي عزت بيجوفيتش على مقولته: "يجب أن يذكروا اسم الفنان بدلًا من اسم لوحاته، فاللوحات هي انعكاس لروح الفنان وشخصيته". ولإيماني بهذه الروح قررت أن أضخ روحًا في الكتاب باستخدام الرسائل التي أتتني من الانطوائيين، رسائل كثيرة بين همس ونبرات وكلها غاية في الجمال حيث جاءت لتواكب الأبحاث

35- ثلاثية نجيب محفوظ تضم على التوالي: بين القصرين، قصر الشوق ويختمها بالسكرية.

وكانت أكثر منها جمالًا لأنها تحمل روحًا تحركها. عندما تصفحت الرسائل وجدت ما جعلني متأكدًا أن الروح تنتقل إلى الأعمال، وجدت إحدى الانطوائيات تقول: "يومًا من الأيام أصبحت الكتابة لا تروي ظمئي وتذكرت أنني في صغري أحب الرسم، اتجهت إلى رسمة مليئة بالزخارف وشعرت بأنها سلبت روحي فقررت أن أرسمها، وبعدما انتهيت شعرت وكأن قلبي ولد من جديد وكأنني أرض جدباء تذوقت المطر، لا أستطيع في الحقيقة أن أصف شعوري حينها". رسائلُ كثيرة مليئة بالروح وأردت أن أمد بها عملي لذلك ذكرت بعضها فيما مضى وسأذكر ثلاثًا منها هنا وسأترك البقية لتبقي روحًا في بقية الكتاب.[36]

تقول الأولى: "قبل أن أتحدث، أرجوك أخبرهم أن الانطوائية نمط حياة لا أكثر، فكما تحب الكتابة، أنا أحب البقاء مع نفسي. منذ طفولتي كانت أجمل لحظاتي التأمل وأروعها عندما يرفعني عمي على أكتافه لأرى إشراقة الشمس وغروبها، وكنت أفكر أين تذهب الشمس؟ إلى أن أخذني الفضول يومًا وجعلني أهرب من بيتنا كي أصل إلى الجبال التي تختبئ وراءها الشمس لكني وجدت أن كل اقتراب من الجبل يساوي ابتعادًا ولا جدوى من مسيري وأصابني الخوف وعدتِ إلى أهلي. لم ينقطع هذا التأمل عندما كبرت، بل كبر معي وما زلت أمارسه، كل صباح أستيقظ مبكرًا لأسقي أشجارًا زرعها والدي من أجلي، إني أشعر أنهم أبنائي وجزء مني، أبقى بعد ذلك متأملة في الشمس والسماء حتى التاسعة. في طفولتي كنت لا ألعب مع الأطفال بل أتابعهم من بعيد وغالبًا ما أحكم بينهم إذا شجر بينهم شيء". من يقرأ

36- جميع من راسلتهم من منطقة الخليج والأغلبية العظمى من المملكة، واعتمدت مصداقيتهم لأن حديثهم جاء مطابقًا لما ورد في الكتاب دون أن يقرؤوا الكتاب.

سطور الفتاة يتذكر لوهلة المفكر العقاد الذي تاه وهو يتأمل سرب الطير، وتذهب به السطور إلى الممثلة أودري هيبرون التي كانت تقضي جل وقتها في حديقتها، وعندما يقف عند تحكيمها بين الأطفال فهناك أبحاثٌ تشير إلى أن الانطوائيين إذا نشؤوا في بيئة متماسكة يصبحون أكثر منطقية وأقل انحيازًا من الاجتماعيين فغالبًا ما يحكمون بلا انحياز، يقول أحد الأخصائيين لو ذهبت إلى طفل انطوائي وسألته أن يعمل قرعة غالبًا ما تجده يميل إلى طريقة أكثر منطقية كأن يرتبهم حسب الأحرف الأبجدية ويجعل صاحب الحرف ألف يبدأ أولًا.

تكمل الفتاة حديثها: "إن معلمة الفنية أقرب الأشخاص إليّ؛ لأنها كانت تقدر شخصيتي فعندما رأت أني أحب البقاء لوحدي طلبت مني المجيء إلى غرفة الفنية عندما يكون لدي فراغ لتعلمني الخياطة، وبعد أن شعرت بقربها مني بدأت أتحدث معها كثيرًا ونحن نخيط ونرسم وأصبحت أشارك في الإذاعة لأنها المشرفة وأصبحت أشارك في مدارس أخرى وفي تمثيل المسرحيات". هنا نعود إلى أم حذيفة وكيف أن احترام الشخصيات يبني الثقة ويشحذ ما لدى الانطوائي من قوى، بالاحترام والتقدير استطاعت المعلمة أن تجعل الكتومة متحدثة وأن تجعل الانطوائية ممثلة ومذيعة.

تختم الفتاة الأولى رسالتها بحديث أدهشني: "عندما كنت صغيرة لم أكن أقرأ القرآن بصوتٍ جماعي مع الطالبات وكنت أضع أصابعي في أذنيّ لانزعاجي، وبختني المعلمة وعاقبتني بالوقوف حصتين متتاليتين وقالت: تكرهين القرآن؟!". عادت ذاكرتي إلى أبحاث هانز التي تحدث فيها عن المحفزات وسألتها: هل تتقبلين صوت الموسيقى في الأفراح؟ وأجابت: "إلى الآن أبغض الأصوات العالية بغض النظر عن مصدرها، وبسبب انزعاجي من الموسيقى

العالية أعتذر عن حضور الزواجات وإن حضرت ستجدني مع الخادمات أتأمل الأطفال بدلًا من الازعاج داخل الصالة ودائمًا ما أخبر والدتي أن الصراخ ليس التعبير الوحيد عن الفرح فأنا أفرح بهدوء!". إذًا هي لا تكره القرآن، لكن للأسف جهل المعلمة بهذه الأساسيات في علم النفس والتربية جعلها تعاقب طفلة على شيء في صميم خلقتها فهي تحب القرآن لكنها تكره الأصوات العالية لأنها تخرجها من منطقة الراحة.

تبدأ الفتاة الثانية حديثها: "لا يزعجني شيء سوى أنهم لا يقدرون شخصياتنا، إننا بحاجة إلى من يفهمنا لا إلى من يتدخل في خصوصياتنا. بعد ضغوط من حولي شعرت أن العيب في الانطوائية وتجردت منها عندما دخلت الجامعة لكني ندمت لأن التجرد أبعدني عن الكتابة والقراءة والرسم والتأمل والفن، فأنا لا أستطيع أن أعمل كل هذا دون العزلة فقررت العودة إلى انطوائيتي. وكانت كُبرى مشاكل من حولي مع الانطوائية أنها تمنعك من المطالبة بحقك ولكني كنت أجاوبهم أن عدم المطالبة بحقوقك مرض لا دخل له بالانطوائية أبدًا". أخذتني هذه الفتاة بعباراتها الأخيرة إلى روزا بارك التي دافعت عن أصحاب البشرة السوداء كلهم وليس عن نفسها فقط، فحقٌ ما قالت ولا علاقة للصمت أو العزلة بعدم المطالبة بالحقوق.

تكمل الفتاة رسالتها لكنها هذه المرة تتحدث عن صديقتها الانطوائية: "كانت صديقتي تتصبب عرقًا عندما يحادثها أحد، وفي إحدى المرات سألتها المعلمة سؤالًا ولم تجب، سكتت واحمر وجهها، غضبت المعلمة وضربتها بالكتاب ضربًا مبرحًا واختلطت المشاعر لدى صديقتي وأصبحت تضحك وكأنها تريد إخفاء الألم. استمرت صداقتنا طويلًا ودخلنا الجامعة سويًا لكننا افترقنا في التخصص ورأيتها بعد فترة تقف على خشبة المسرح بنفس شخصيتها

السابقة ولم يتغير بها شيء لكنها تجاوزت كل ما تخشاه وبدت واثقة من شخصيتها؛ لأنها وجدت في الجامعة من يصلح ما أفسدته تلك المعلمة". في هذا الجزء رسالتان، الأولى للمعلمين: ارفقوا بطلابكم إن لم يجيبوا فقد يكون المانع خجلًا فلماذا تضربه وتكون أحد أسباب فقدانه للثقة؟ والأخرى هي أن البيئة قد تكون عاملًا مؤثرًا فهاهي ذات الفتاة تتحول من مهمشة في المدرسة إلى ذات شخصية متزنة في الجامعة.

تختم الفتاة رسالتها بعبارة أخذتني إلى العقاد مرة أخرى: "قالوا عني مغرورة واختلطت لديهم الأمور، مزجوا انطوائيتي بمظهري". صمت الانطوائيين يجعلهم متكبرين في نظرنا حيث نعتقد أنهم لا يريدون الحديث تكبرًا وهذا ما حدث مع العقاد حيث قال أنه سمع الكثيرين يقولون أنه مغرور لأنه لا يخرج كثيرًا ولا يسترسل في الحديث، لكن العقاد كان عارفًا للسبب وقال: "لست أنا فقط، فهكذا كانوا يتحدثون عن جدي لأمي ويقولون أن فيه (نفخة أتراك) كناية عن التكبر وما كان جدي متكبرًا أبدًا إنه كان صامتًا وحسب".

ونختم جزئيتنا برسالة فتاة ثالثة: "كنت انطوائية إلى أبعد حد وأزعجني أن الآخرين لا يحترمون خصوصيتي حيث كان لدي معلمتان يراقبونني؛ لأنهما لاحظتا أنني لا أشارك ولا أملك صديقات كُثر، وتذهبان إلى أمي التي كانت معلمة معهم وتقولان ابنتك تحدثت، ابنتك ضحكت، وعندما تخبرني أمي أشعر بأني لست آدمية ولست من لحم ودم ولا أستطيع الضحك كما يضحكون ولا التحدث كما يتحدث البشر! ويكمل من حولي ذلك بمقارناتهم إياي بأختي الاجتماعية ويثنون عليها ويتمنون لو أصبحت مثلها". هذه القطعة تأخذنا مرة أخرى إلى المقارنة وهدم ثقة الشخص بنفسه، فعندما توضع مثل هذه الضغوط على الانطوائي فكيف له أن يعود إلى غرفته ويبقى

بعقلٍ صافٍ يمارس هواياته مستفيدًا من قواه؟ وهذا ما حذر منه هانز آيزنك عندما قال أن الانطوائي أو الاجتماعي يتحولان إلى النسخة الأسوأ منهما عندما لا يحظيان باحترامٍ وتربية جيدة.

كانت هذه ثلاث تنهيدات من ثلاث انطوائيات، والبقية تجدونها مبثوثة بثًا في بقية الجزئيات، شكرًا لكل من أرسل، شكرًا لأنهم منحوني روحًا أستطيع أن أبثها في حديثي الجامد الخالي من التجربة والمعرفة والتخصص.

عالم ومفكر

"خيال الانطوائي أخصب تربة لزراعة الأفكار"

عبد اللطيف

يشمئز البعض من ذكر قصص الناجحين ويعتبرها استثناء لا يقاس عليه، لذلك سيقولون أن العقاد وآينشتاين نجحا لأنهما العقاد واينشتاين وليس لشخصيتهما الانطوائية على الرغم من أننا استنتجنا أن سر نجاحهما هو الانطوائية بجانب العبقرية وأشرنا إلى شخصيات كثيرة نجحت لأنها اعتزلت الناس وكرست كل وقتها في إتقان عملها مثل بيل غيتس. لذلك سنذكر أمثلة حيّة قمت بمراسلة أصحابها وتحدثت معهم وهم يعيشون بيننا، هما شخصان استرسلت معهما في الحديث أكثر من غيرهما وجمعت أكبر قدر من المعلومات عن حياتهما وطموحاتهما، وسنبدأ بعبدالإله الذي يطمح أن يكون آينشتاين يومًا ما:

"موضوع الانطوائية معقد ولا أنكر أن للانطوائية سلبيات لكن لها إيجابيات توازيها، نحن كأي شخصية نمتلك سلبيات وإيجابيات لكن المجتمع وضع قوسين على سلبياتنا وظلل إيجابياتنا بالسواد. لم أشعر بالضيق في عزلتي أبدًا لأني أجتمع مع الكتب، نعم الكتب هي كل أصدقائي، أصبحت أغرق بالأيام في غرفتي مع رواية أو كتاب وكانت الإساءات تنهال علي من الأقارب وحتى المعلمين أصبحوا يصفونني بالطالب المريض بسبب قراءاتي المتعمقة في مواضيع معقدة، وأخذوا يصادرون كتبي وكنت أمتلئ ضيقًا لكني في نهاية الأمر أعود إلى عزلتي وأنسى ما حدث، ورغم محاولتي نسيان احتقارهم لا أستطيع

أن أكابر وأقول لم يؤثروا فيَّ، فإني أصبحت أبتعد عن الناس بشكل غريب".
يستمر عبد الإله في الحديث: "استمريت بانطوائيتي واطلاعي منذ أن كنت في الصف الخامس الابتدائي إلى الثاني الثانوي وطوال هذه الفترة كانت تأتيني فرضيات علمية؛ لأن اهتمامي بالعلوم كان شديدًا، بدأت بوضع أفكاري الأساسية لكني لم أكن أعلم شيئًا عن المعادلات الفيزيائية والرياضية لذلك لا أستطيع إثبات فرضياتي، كنت أستغرق في خيالي إلى درجة أني أستطيع أن أخلق أرضًا مربعة في خيالي وأتخيل النجوم والمجرات والكون كله داخل الأرض وليس خارجها وتفاصيل كثيرة وعميقة يشيب منها رأسي. وقتها أصبحت ألتقط قلمي وأرسم كل ما يطرأ على بالي، وكانت كلها أشياء معقدة وغريبة لكني أفهمها واستمريت بوضع فرضيات جديدة وتعمقت في علم الفيزياء، وبدأت إعادة صياغة الفرضيات بدون قوانين تحدها لكي لا تكبل خيالي، كنت بحاجة إلى من يدفعني للأمام، ذهبت إلى مدرس العلوم وقلت له: أريد أن أصبح كآينشتاين فإني أمتلك القدرات كما يمتلكها، لكنه ضحك حتى كاد أن يستلقي وأصدر عبارته الساخرة والتي ما زال وقعها عميقًا في نفسي وصداها يرن في أذنيّ: "قم باجتياز مادتي ثم فكر بأن تصبح كآينشتاين"، وبدأ الطلاب يضحكون بعدها ويستهزئون بي. تخلى الكل عني حتى أهلي منعوني من الكتب وأعطوني عبارة أخرى قاصمة: "انعزالي ومليء بالعقد النفسية، كيف لك أن تنجح؟". بعدها زاد كرهي للخروج وكرهت زملائي كي لا يقوم أحد بتحطيمي وازدراء شخصيتي، ولكني أحاول التجاهل وأذكر نفسي بأن آينشتاين ونيوتن تعرضا لظروف أكبر ولم تعقهما عن النجاح وكانت أحاديث نفس تساعدني في تهدئة نفسي. واصلت المسير وازدادت فرضياتي العلمية ووصل عددها خمسًا وأصبحت لدي نظرية وكل هذا بفضل الدعم

الذي تحصلت عليه من خلال تويتر[37] فهناك وجدت من يقدرني بعيدًا عن شخصيتي الانطوائية". لا أعتقد أني بحاجة إلى التعليق على هذه الرسالة، فأي قارئ يطالعها يعلم بأن كاتبها سيصبح له شأن يومًا ما ومن حديثي معه ورغم أنه لم يتجاوز المرحلة الثانوية حتى الآن إلا أنه يتجاوزني بسنوات ضوئية في العلوم الطبيعية، لو كان هذا ابني أو أخي لاستبشرت به وكتبت على غرفته آينشتاين المستقبل بدلًا من استحقاره. فعندما يكون لديك شخص بهذا الخيال الخصب والخلفية العلمية في بدايات حياته فماذا سيكون بعد ذلك؟

انتهيت من عبد الإله وجاءني خالد الذي أظنه سيكون خالدًا وبدأ رسالته بهذه العبارة: "أعلم أن قصتي ليست ملهمة ولا يمكن الاقتداء بها لأنها غير مكتملة لكني سأكملها". شدتني طريقة بدايته لسرد قصته رغم صغر سنه وعلمت أن هذه الرسالة تحمل شيئًا عميقًا وملهمًا في طياتها، فأغلب الملهمين لا يعلمون أنهم ملهمون! بدأ خالد حكايته: "أكبر عائق يواجه الانطوائي هو تلك الصورة الموجودة في ذهن المجتمع أن الاجتماعية هي الفطرة والانطوائية حدث عارض مما يجعل الانطوائي يتعرض للضغوط. في مرحلة المراهقة قرأت عن العلماء والعلم واتضح لي أن كل من حصل على مكانة سامية وخلده التاريخ بذل جهدًا يعتبره البشر مستحيلًا، وكل منهم ينافس الآخر أيهم ينعزل أكثر لينشغل بما هو فيه، ولم أجد في العرب المتأخرين إلا عددًا قليلًا يقومون بهذا الجهد؛ لذلك عزمت على فعل أكثر مما فعلوا وأتعمد كثرة الحفظ كي أقوم بتطوير هذه الملكة ووجدتني جالسًا مع نفسي ما يقارب الإحدى عشرة ساعة دون تفكير بالمحيط ودون استعمال التطبيقات الشائعة في أيدي أصدقائي،

37- هذا يعيدنا إلى جزئية «الإنترنت أخي»، بالفعل أصبح الانطوائيين أكثر تلهفًا وبقاءً على شبكة الإنترنت علهم يجدون ما افتقدوه في الواقع من دعم وحضور.

كنت أهرب من تحميلها كي لا أغوص فيها وأنشغل عن تحصيل شيء ثمين كالذي حصله آينشتاين وماكس بلانك والبقية مما كان حافزًا حبني في العزلة". قد تستهزئ بما يقول خالد لكن يكفيني أن أعود بك إلى عبد الوهاب المسيري الذي كان يقضي خمس عشرة ساعة يوميًا لمدة خمسة وعشرين عامًا رغم أنه كان في زهرة العمر وأنتج لنا أقوى موسوعة في القرن العشرين، هاهو خالد ما زال في سن المراهقة ويقضي إحدى عشرة ساعة يوميًا في معزله، دعوني أستبشر بمسيري جديد، ومفكر واعد.

نعود إلى الخالد: "أنا لا أهرب من البشر وانطوائيتي لم تؤثر على إمكانية أن أكون قائدًا لفصلي وأغلب الأساتذة يختاروني للتمثيل العلمي. فرغم هدوئي إلا أنهم ما زالوا يختارونني لتمثيل المدرسة في أولمبياد المواد العلمية". وما زالت الأدلة تأتي من كل حدب على أن الانطوائيين هم القادة عندما يتعلق الأمر بالعلوم، ويأخذنا خالد مرة أخرى إلى العمل الجماعي حيث يقول: "أحب العمل الفردي، في إحدى المرات كان الجميع في مجموعات إلا أنا طلبت أن أكون لوحدي وكان عملي أكثر إتقانًا، وإذا كلفنا الأستاذ بعمل جماعي أفضل أن أكون القائد لأنني أخشى ألا يهتموا بدرجة الإتقان وأراهم أحيانًا متهاونين فأقوم بإنهاء العمل بأكمله لوحدي". في حديث خالد نجد دليلًا واضحًا على أن الانطوائيين صالحون للعمل في مجموعات وقد يكونون العناصر الأكثر فاعلية، لكنهم يريدون قائدًا ينسق مهام الفريق ويقوم بتوزيعها عليهم ليقوم كلٌّ بعمله. إن الانطوائيين يقومون بعمل أكثر إتقانًا كلما كان الفريق أكثر تنظيمًا أو أقل عددًا، وهذا ما ذكره روجر جونسون المسؤول عن التعليم التعاوني في جامعة مينيسوتا الأمريكية.

خالد يستثمر كل لحظة عزلة في تطوير نفسه مما جعله محل تقدير من

حوله لكثرة ما يملك من مخزون ولطريقة تفكيره الفريدة، واستطعت أن ألمس هذا الشيء بنفسي حيث طلبت منه التوقف عن الحديث عندما تواصلت معه؛ لأنه أصابني بوابل من المعلومات لم أستطع تحمله، وانبهاري لما يملك ليس تعاطفًا مني بل أنه قال: "رغم فوبيا الاجتماعات التي تحيط بي إلا أنني أقدم أفضل العروض؛ لأنني أرفض الوقوف إلا إن كنت أمتلك معلومات كافية"، وهذا يعيدنا إلى "الارتجالية المميتة" حيث رأينا بالإثباتات أن الانطوائيين لا يتحدثون إلا عندما يمتلكون خلفية كاملة مما يجعل حديثهم ملهمًا حتى وإن لم يمتلكوا إمكانات الخطابة الساحرة، إلى درجة أن الأستاذ علق على أحد عروضه: "لا شيء شد انتباهي سوى عرض خالد، أعتقد أني سأراه عالما في المستقبل". ويقول خالد أن أستاذ الفيزياء علق ذات مرة: "أخبرني عن كيفية دراستك، أريد أن أعلم أبنائي". ويختم حديثه: "الشخصية الانطوائية منها إيجابي وسلبي وهناك انطوائيون كثر لا يستفيدون من عزلتهم، أعتقد بأننا جميعًا علماء لكن قليل من يكتشف ذاته".

مطوا شخصياتكم

"إن من يكون عاقلًا في كل حين، هو كالذي يبقى مجنونًا دائمًا، لا ينتج من الخير إلا قليلًا"

علي الوردي

ليس من المنطق أن يكون الإنسان مقيدًا في شخصيته التي أنتجتها العوامل الوراثية والبيئية لا يستطيع الخروج منها أبدًا، إن للإنسان قدرة على التنقل بين الشخصيات كيفما يريد كما رأينا في حكاية دالي كارنجي الذي تجاوز انطوائيته وأصبح أبًا للخطابة والعلاقات وعلقنا حينها قائلين أن ما فعله دالي لا يستطيع كل انطوائي فعله والسبب أن لكل إنسان مدى يغير فيه شخصيته ولا يتجاوزه، إذًا ماذا نقصد بهذا المدى؟ إن للإنسان شخصية محددة يستطيع الخروج منها بشرط ألا يطيل الخروج وألا يبتعد عن شخصيته حد التصنع لأنه سيسقط أخيرًا. إن الانطوائي بحاجة إلى ممارسة الاجتماعية تحت ظرفٍ معين والاجتماعي بحاجة إلى العزلة في بعض الأحيان، وهذا ما تحدث عنه العلماء الظرفيون الذين يؤمنون بأن الإنسان قادر على التقلب بين الشخصيات حسب الحالة وهذا أمر أكثر منطقية من أن يكون الإنسان رهن شخصيته لا يملك أي إرادة للتشكل. وتحدث غازي القصيبي عن هذا التشكل بشكل لطيف في كتابه حياة في الإدارة عندما قال: "أنا مؤمن أن للإنسان عدة شخوص يستطيع التنقل بينها وفي كل فترة يطفو شخص منها على السطح".

قد لا يصدق البعض ما ذكرناه في الفصل الرابع من أنشطة نظنها تخص الاجتماعيين وقام بها الانطوائيون بإتقان، في الحقيقة هي مثال على

الشخوص المتعددة وأننا قادرون على التقلب بينها إن كنا نحب ما نفعل. لا أعتقد أن أحدًا ينازع في أن المحاضر المتميز غالبًا ما يكون اجتماعيًا لكن هذا ما لم أره حينما كنت في الجامعة حيث كان لدينا أستاذ نعتبره الأكثر تميزًا بين المحاضرين إلى الدرجة التي تجعل شعبه تمتلئ قبل البقية، كل شيءٍ كان مميزًا في ذلك الأستاذ أسلوبه في الشرح وشخصيته الرائعة إلى الدرجة التي تجعله متحكمًا في المحاضرة كيفما شاء وتجعلنا منسجمين مع الدرس لا نشعر بمرور الدقائق الخمسين! كان أستاذي لا يخرج من مكتبه وهو الوحيد الذي لم أره قط متحدثًا مع أستاذ آخر حتى في فترات الفراغ وبه من الخجل ما يجعل وجهه يمتلئ حمرة إن ألقى سلامًا عابرًا على طلابه، كان كل شيء يشير إلى انطوائيته ومع ذلك لم تمنعه من أن يكون الأفضل إلقاءً بين الأساتذة والأقرب إلينا. لم أستطع تفسير ما يحدث مع هذا الأستاذ ولا أمتلك الخبرة الكافية لتحليل شخصيته، لكني وجدت في كتاب الهدوء مثالًا يشابه أستاذي بل يكاد يكون هو. تحكي سوزان كين أن هناك بروفسورًا يحاضر في جامعة هارفرد يدعى برين ليتل، تقول إنه رجل انطوائي إلى أبعد حد حيث يسكن مع زوجته في ضاحية بعيدة عن مركز المدينة متعمدًا ذلك ولا يقابل أصدقاءه باستمرار ولا يأتي إليه إلا أحفاده، يقضي معظم وقته مع الموسيقى والكتب، وعندما يقرر الخروج يفضل الاجتماع مع شخص أو شخصين على الأكثر، وإن تمت دعوته إلى احتفال فإما أن يستأذن مبكرًا أو أن يجلس في زاوية هادئة، وإن أرغم على البقاء طويلًا سيبدو منهكًا وكأنه مريض. من يقرأ هذا الوصف سيعتقد أنه إنسان مليء بالعقد ويعتقد بأنه كاره للبشر لكنه سيصعق لو علم أن شعبه الدراسية ممتلئة عن بكرة أبيها وأن محاضراته تنتهي بالتصفيق!

نعم هو ذاته الانطوائي، تمتلئ محاضراته ويملؤها هو بالمرح وليس بالشرح

فقط، يملؤها بسحر عرضه للمعلومة حتى تربع على قلوب تلاميذه، وجعلهم يختارونه ليكتب لهم رسائل التوصيات إن أرادوا تكملة دراساتهم ويقول أنه يكتب عددًا كبيرًا من الرسائل في كل فصل مما جعله قريبًا من قلوب طلابه لاستجابته لطلباتهم. يقول البروفسور ليتل: "إن قوتي تكمن في انطوائيتي، ولو لم أكن لما امتلكت وقتًا لكتابة كل هذه الرسائل، ولما امتلكت وقتًا لإعداد المحاضرات بالشكل الذي يجعلني متمكنًا ولولا عزلتي لما كان للمحاضرات أن تمتلئ". الآن نستطيع أن نفهم كيف للعزلة أن تكون قوة سواء لدى البروفسور ليتل أو أستاذي لكن هل هذه هي الفائدة الوحيدة؟ بالتأكيد لا، فهناك ما يسميه البروفسور ليتل نطاق إعادة الشحن[38] "Restorative Niche" وهو يشبه منطقة الراحة لكنها تأتي بمعنى إعادة الشحن، ومن الضروري أن يكون مليئًا بالمحفزات الملائمة للشخصية، لذلك تجد أن نطاق إعادة الشحن مختلفًا من شخص إلى آخر. نطاق إعادة الشحن مهم جدًا لكل شخص قرر أن يعمل عملًا يحتاج مهارة خارجة عن شخصيته الأساسية؛ لأنه سيمده بالطاقة من جديد ويعيد ما تم استهلاكه، ونستطيع أن نرى ذلك في حديث البروفسور ليتل: "إن بقائي في منزلي بين الكتب ومع الموسيقى بمثابة شحن كي أقوم بأفضل أداء في محاضرات الغد ولأنني أرهق في المحاضرات بعد مواجهة الطلاب ووقوفي أمامهم وشرحي لهم، فأنا بحاجة أيضًا إلى راحة بين المحاضرات؛ لذلك أبقى لوحدي في مكتبي عند الفراغ لأستعيد قواي".

هنا نخلص إلى أن شخصياتنا كالمطاط ولها قابلية التمدد إلى حد معيّن إن كنا نحب النشاط الذي يقبع خارج دوائرنا كما يحب أستاذي التعليم

38- وهذا ما تحدثنا عنه في «حرية الشخصية» عندما عرضنا أهمية وجود خصوصية في الشركات والمؤسسات كي يتمكن الانطوائيون من صنع نطاقات الشحن الخاصة بهم في مكاتبهم في أسوأ الأحوال.

والطلاب، سنبدع فيه وإن سبب ضغطًا علينا كالوقوف أمام الطلاب. فلا تخف بعد اليوم إن كنت انطوائيًا وتحب الخطابة أو كنت انطوائيًا وتحب التمثيل والصحافة، فشخصيتك قابلة للمط، ما دمت محبًا لما تعمل! اذهب وتحمل الأضواء المسلطة عليك عندما تخطب أو تمثل، لكن لا تطل البقاء خارج قوقعتك كي لا ينقطع المطاط فيحدث لك ما حدث للبروفسور ليتل عندما أصبح مريضًا منهكًا لما بقي طويلًا في إحدى الاحتفالات. ولكي تتقن عملية الخروج تأكد أن لديك منطقة خاصة بإعادة الشحن أو طقوسًا لشحن نفسك، تخبرني إحدى الانطوائيات أنها لا تحب التجمعات المتكررة لكنها تذهب لئلا تنقطع عن أقربائها لذلك أصبحت تصنع طقوسًا لإعادة الشحن. تقول: "هل تصدق أنني في الاجتماعات النسائية خاصة الطويلة أخبئ دفتري الصغير في حقيبتي وأذهب في زاوية بعيدة أو غرفة لا يوجد فيها أحد وأختلي بنفسي وقلمي بعضًا من الوقت". لا يهم ما هي طقوسك، الأهم أن تكون كافية لشحنك ولبقائك متكيفًا ومبدعًا خارج الدائرة، قد تكون مذكرةً تحملها أينما حللت أو كوبًا من القهوة تسرح مع خيالك للحظات وأنت تحتسيه أو حتى في اختيارك لمقعدك في غرفة الاجتماعات! قد تتبسم ضاحكًا، لكن هذا ما كان يفعله أحد أعضاء الحكومة الأمريكية إبان حكم بيل كلنتون حيث كان يجلس في مكان بعيد عن منتصف طاولة الاجتماعات لأنه لا يرغب بأن تكون الأنظار حوله. قد يكون ما يفعله غريبًا لكن ليس من المعقول ألا يشارك في الاجتماعات لأنه لا يحب ارتكاز الأنظار عليه، لذلك اختار أن يحدد مقعدًا يجعله أكثر راحة، وأنت كذلك لست بحاجة إلى رفض التدريس والاجتماعات والتمثيل والصحافة لأنك انطوائي ما دام بإمكانك التعامل مع شخصيتك بذكاء.

الآن لا تستنكر بقاء أستاذي والبروفسور ليتل في مكتبيهما فهما يقومان بتطبيق مقولة الممثلة أودري هيبرون: "إن البشر كالأجهزة يحتاجون

إلى شحن أنفسهم وربما يحتاجون الشحن أكثر من الأجهزة"، وعليك منذ اللحظة أن تقدر لحظات الشحن الخاصة بمن حولك، ولا تستغرب بعد اليوم من صديقك الانطوائي الذي غاب عن الأعين بعد حضور حفل زفافك فإن ذلك قد استهلك منه طاقة كبيرة وتحدث مع هذا وذاك وهو الآن بحاجة إلى الراحة. وإن كان لديك طفل لا يحبذ الخروج كثيرًا فلا تجبره على ذلك باستمرار فإنك بذلك لا تكتفي بإفساد منطقة الراحة بل تفسد منطقة إعادة الشحن أيضًا، البشر ليسوا سواسية فقد تجد من يحتاج البقاء في المنزل طوال إجازة نهاية الأسبوع كي يعود لعمله مبدعًا كما تفعل أودري هيبرون.

إن بعض الشركات الكبيرة تنبهت إلى أهمية نطاقات الشحن ووفرت نطاقات شحن ملائمة لكل الشخصيات وعلى رأس تلك الشركات قوقل التي أعطت موظفيها الحرية لتأثيث وتصميم مكاتبهم كما يريدون مما يجعلهم يعملون في منطقة الراحة حتى إذا فرغوا من العمل الجماعي المرهق فهم يستطيعون اللجوء إليها لاستعادة قواهم، وقامت بعض الشركات بما هو أجمل بإضافة مرافق للقراءة ومقاهٍ في الشركة مما يجعل الاسترخاء ممكنًا في مكان عملك. إن نطاقات الشحن ليست رفاهية بل هي تأكيد على أن الإنسان أقوى من أن يكون رهن الجينات والتربية، فهو يملك الإرادة والقوة ليخلق لنفسه عوالم تجعله متكيفًا مع شخصيته ومع ما يتطلبه العالم الخارجي، لكن هناك شرطان لنجاح عملية الانتقال إلى شخصية أخرى وهما: أن يحب العمل وألا يتنكر لشخصيته الحقيقية وإلا سيصاب بصداعٍ مزمن!

الفصل السابع

تصدع مزمن

"كان بإمكاننا صنع الدروع من نقاط قوتنا لكننا استمررنا في العبث بشخصياتنا"

عبد اللطيف

تحدثنا وخضنا وحذرنا على مدى ورقات الكتاب من ترك شخصياتنا الحقيقية ووصفنا ذلك بالمسخ، بعيدًا عن هذا التنظير هل الخروج من شخصياتنا يضر بنا؟ وهل خروج البروفسور ليتل من انطوائيته لفترة طويلة يجعله مريضًا حقًا أم هذا هراء؟ عندما يقرأ أحد النقاد الكتاب سيقول إن هذا الكاتب يدعو إلى إنسان هش يمرض بسرعة لأن الظروف تغيرت عليه. إن الأبحاث تؤكد تأثر الإنسان عضويًا وليس فقط نفسيًا عندما يتقمص أدوارًا لم يخلق لها. وكي نثبت ذلك سنذكر قصة مقتبسة من الكتاب الجميل "Go Put Your Strength To Work":

هو فتى أمريكي يدعى "مات" Matt، كان بارعًا وماهرًا في السباحة ورآه أحد المهتمين برياضة السباحة وهو يقوم بفنون السباحة في أحد الشواطئ وذهب إلى أمه المستلقية على ذلك الشاطئ وقال: "إن ولدك يمتلك قدرات استثنائية في السباحة، لابد أن يشترك في نادٍ للسباحة". استبشرت الأم وفرحت بذلك ورأت أنها الفرصة المناسبة لتأمين مستقبل ابنها وذهبت اليوم التالي لتسجيله في أحد الأندية، وعندما دخلت الأم بصحبة ابنها إلى المسبح لم يستسغ ذلك المنظر وقال في نفسه: "نعم أنا جيّد في السباحة لكن ما هذا الملل؟ هل من المعقول أن آتي يوميًا لأتمرن

على السباحة؟ نعم ماهرٌ بها لكن لا يعني ذلك أن أقضي يومي في حوض سباحة!"، حان وقت التجربة وقام "مات" بخداع المدرب وتداعى بأنه لا يفقه في السباحة شيئًا وجاءته أمه غاضبة وهمست في أذنه الصغيرة: "اسبح كما كنت تسبح، لا تمثل، فأنا أعلم أنك تمثل!"، انصاع الصغير لإصرار أمه وأراهم فنون السباحة وتم قبوله وجاء للنادي بشتى الميداليات والجوائز التي لا تعد ولا تحصى وحقق نجاحًا خارقًا، لكنه لاحظ وجود صداع لا يذهب أبدًا ويخترق رأسه، ولم يعلم لذلك الصداع سببًا وكان يتجاهله، كان يذهب يوميًا للتمرين متجهمًا غير راغب بهذه الساعات الطويلة من الحركات الروتينية المملة. كان ينتظر انتهاء تلك الساعات كي يهرب إلى الموسيقى هوايته المفضلة، وكانت تذهب عنه الضيق الذي يشعر به جراء تلك التمارين الروتينية لكنه لم يحتمل الاستمرار وقرر أن يعطي وقته كله للموسيقى وأن يقول لمدرب فريقه وداعًا، وبالفعل فعلها رغم محاولات الجميع لثنيه، ذهب "مات" للموسيقى وأعطاها جل وقته وكان يغرق في تمارينه إلى الدرجة التي تجعله لا يشعر بالوقت، رغم أن التمارين متشابهة وروتينية لكنه يعشقها مما جعله يحقق نجاحًا لافتًا في هذا المجال أيضًا لكن المفارقة أن الصداع ولى وذهب دون علاج، إذًا كيف جاء كي نعلم ما الذي أذهبه!

بكل بساطة، ما جاء بالصداع هو الشيء ذاته الذي يجعل بروفسور ليتل مريضًا عندما يطيل المكوث في الاحتفالات، إن هذا الصداع أحد الأعراض التي قد تأتيك عندما تقوم بعمل لا تحبه حيث تكون خارج منطقة الراحة، ومن يخرج عن منطقة راحته دون رغبة بالتأكيد سيعاني ولن تنفع معه نطاقات إعادة الشحن. هذه ليست تحليلات غير مسؤولة بل

مثبتة عن طريق عدة دراسات منها ثلاث عشرة جاءت من دول أوروبية وتمت على مئتي ألف مواطن، تشير الدراسات في خلاصتها إلى أن ضغط العمل مسبب لثلاثة وعشرين بالمئة من النوبات القلبية والوفيات"، وقد قرأت سابقًا أن العمل في مجال لا تحبه يتسبب في ارتفاع معدل الضغط لديك وقد يكون مسببًا رئيسًا للصداع النصفي. إن هذه الأبحاث تتحدث بمنطقية، ولا تحتاج إلى الأبحاث أساسًا في هذا الموضوع؛ لأنك تتحدث عن شخص يقضي ثماني ساعات في عمل لا يحبه، أو يقضي يومه الدراسي كله ويعود لإتمام واجبات في تخصص لا يحبه أبدًا، من أين تأتي الراحة النفسية بعد ذلك؟ أليس في ذلك توتر شديد من أحاديث النفس التي تقول: "متى سأنجز؟ متى سأنتهي من هذه المحاضرة؟"، وكلما قال المحاضر افعلوا الشيء الفلاني تجهم وجهه وقال: "متى سأنتهي؟!"، وعندما يخلد إلى فراشه يتذكر أنه سيصبح على شيء لا يحبه وأن ساعات طويلة من الملل تنتظره! بعد هذا كله ما الذي تبقى كي لا يرتفع معدل ضغط الدم؟ ولماذا نندهش من هذه الدراسات طالما أن النفس تتآكل بالضغوط كما رأينا؟ أم أنك لا تؤمن بأن النفس تأكل الجسد؟ إن كانت الأوهام تقتل الجسد، فما بالك بحقيقة تشغل تفكيرك، وما بالك بعملٍ تعمله رغمًا عنك؟!

هذا ما حدث لمات عندما رأوا أنه ماهر في السباحة، فظنوا أنها ستكون البيئة المناسبة له وهذا ما ينذرنا بشيءٍ خطير وهو أن تألقك في إحدى المواد في مدرستك ليس مؤشرًا على أنها التخصص الأنسب لك، فهناك فرقٌ كبير بين الشيء الذي تجيد صناعته والشيء الذي تحب صناعته. فقد يكون مات ماهرًا بالسباحة ومتقبلًا لها في أي وقت، لكنه غير مستعد لهذه التمارين اليومية، الشيء ذاته يحدث عندما يتقن أحدهم

الرياضيات، تجده خارق القدرة فيها لكن هذا ليس دليلًا على أنه صالح للهندسة أو أنه سيكون صاحب نظرية رياضية مستقبلًا! إن الشيء الذي تحبه والذي تجد فيه نفسك، هو الشيء الذي يمضي وقتك فيه وأنت لا تشعر، هو الشيء الذي يسرق وقتك إلى الدرجة التي تجعلك مجبرًا على وضع منبه كي يقول لك: "اذهب إلى النوم". إن الشيء الذي ستنجح فيه هو الذي يدفعك لقضاء عشرة آلاف ساعة من التمرين خلال عشرين سنة كما يفعل بيل غيتس عندما يستيقظ من نومه فجرًا كي يمارس البرمجة ويتقنها لا أكثر.

قد تجد انطوائيًا ماهرًا في الخطابة ويقول له من حوله: "لماذا لا تكثف من حضورك وتحاضر هنا وهناك"، لكنه إن فعل سيفقد كل قوته، إن إبداعه في الخطابة لا يعني أنه يهوى تسليط الأضواء لكنه قد يتغاضى عن تحسسه منها لأجل الخطابة وحبه لها، لكن عندما يكون كل عمله في الخطابة والأضواء مسلطة عليه يوميًا سيزوره الصداع المزمن الذي زار مات لكن هذه المرة سيزور شخصيته ويجعلها متصدعة وترى ثقته بها مليئة بالشقوق، فيكون حينها كأرض جدباء أقفرت من العُمّار والأزهار وفقدت كل شيء. ولسنا بحاجة لسن الافتراضات، وعلينا فقط أن نعود لأودري هيبرون، التي تعشق التمثيل وتبدع فيه لكن هذا لم يجعلها عاشقة للأضواء في كل حين، بل أنها علقت على ذلك قائلة: "أحب البقاء بمفردي غالب الوقت، أشعر بسعادة غامرة إن قضيت عطلة نهاية الأسبوع بمفردي في شقتي، هكذا تتم عملية إعادة شحني!". كأن إعادة الشحن بمثابة ترميم لما تم استهلاكه من شخصية هيبرون، لذلك تشتاق العودة إلى معزلها؛ لأنها مؤمنة أن التمثيل لا يتعارض مع شخصيتها الحقيقية وهي تقدر جيناتها وتعطيها كل الاحترام

حيث أنها ولدت انطوائية وليست مستعدة للتخلي عن صبغة ولدت بها.

إن التظاهر بأنك اجتماعي بلا داع يتسبب بقطع مطاط شخصيتك لأنه يخرجك من منطقة الراحة، وإن خرجت منها فأهلًا بك في منطقة الضيق والتوتر، ستشعر حينها بأنك لست حقيقيًا، ستملأ رأسك الأفكار والوساوس، هل أنا على ما يرام؟ هل أنا أنا، أم أنني أخادعني؟ كما قالت سيدة انطوائية تظاهرت لسنوات أنها اجتماعية: "كنت في كل ليلة أتساءل، لماذا أنا أفعل كل هذا، ما هذا الصخب الذي لا يليق بي؟"، نعم هذا ما يفعله التظاهر بشخصية لا تليق بك ولم تخلق بها، وهذا ما سيقودك إلى الفشل، فإن الإبداع مصدره الجودة والجودة تصدر من الأصالة، والأصالة أن تكون كما أنت وكما قالت الممثلة السويدية إنغريد بريغمان: "كن نفسك، فإن العالم يُبجل الأصالة"! وبعد هذا كله كن كما تريد أنت، فما على الرسول إلا البلاغ المبين، لكن تذكر أن التصنع يأتي بالتصدع إلى شخصيتك كما أتى إلى "مات" بالصداع.

كعب أخيل

"عندما سقط أخيل، لم يسقط لنزفٍ في كعبه بل لنزفٍ في نفسه"

عبد اللطيف

كان أخيل من أعظم المحاربين في تاريخ اليونان وتم عرض قصته في فيلم طروادة، بدأت حكاية أخيل عندما قامت والدته بتغطيسه في نهر ستايكس الذي يؤمن اليونانيون بأنه يمنح مواليدهم القوة، لكن الكارثة حدثت عندما لم تصل مياه نهر الستايكس إلى كل أجزاء أخيل حيث قامت أمه بتغطيسه وهي ممسكة بكعبه فلم يصل الماء إلى إحدى قدميه، فانتشر في المدينة أن أضعف شيء في أخيل كعبه ومهما بلغ من القوة ستبقى قدمه نقطة ضعفه طالما لم تبللها تلك المياه. خاض أخيل حروبًا كثيرة وانتصر على جميع أعدائه، وأصيب في آخر معاركه في كعبه الذي لم تصله المياه، فكانت الضربة النفسية القاتلة! بقي أخيل بعدها طريح الفراش يتألم من ضربة في جسده لكنها في حقيقة الأمر في نفسه حيث أن الدماء كانت تنزف من الوعي والمعنويات قبل أن تتسرب من كاحله الذي لم تغمره مياه الستايكس. يا ليت المياه وصلت إلى روحه قبل أي عضوٍ من جسده كي تكون روحه قوية ولا تخور قواه لأجل أسطورة لا تستند إلى حقيقة، فكيف يقتل الإنسان بسبب ضربة في الكاحل ويظل متألما لأجلها حتى يغادر الحياة وكأنه ضرب في رأسه أو قلبه. أثر هذه الأسطورة لم يمت مع رحيل أخيل وكعبه بل وضعت التماثيل في اليونان لأخيل وهو يتألم ويحتضر بعد نزف الدم من كعبه، وهناك تمثال لأمه وهي تغطسه في المياه ممسكةً

بقدم لم تصل إليها المياه في إشارة إلى أنها سبب موت أخيل. من المرعب أن تنتقل أسطورة إلى روح وعقل إنسان بهذه الطريقة، وعند موته بالسبب ذاته عن طريق الصدفة تغرس هذه الفكرة في روح الشعب مرة أخرى عن طريق التماثيل. كعب أخيل تجاوز التأثير النفسي بل امتد إلى التأثير العلمي وأطلق على الوتر الغليظ خلف القدم وتر أخيل.

إن للنفس تأثيرًا لا يضاهى، فعندما تقوم بتضخيم نقطة ضعف موجودة أو بتوهم وجودها فهي تترك أثرًا كبيرًا في العقل الباطن. ليس أخيل الوحيد الذي توهم ضعف كعبه ومات متأثرًا من أول ضربة تلقاها فيه، بل نحن جميعًا معرضون لما حدث له. كثيرٌ منا يقوم بتضخيم سلبية من سلبياته مهملًا كل إيجابياته ويبقى متسمرًا مكانه خائفًا مما تجره إليه هذه السلبية من مصائب. فلنفترض جدلًا أن نقطة ضعفك هي العصبية، كلما يجيء موقف يستدعي العصبية تزور عقلك أفكار تخبرك بأنك سيء في التعامل لأنك تتصف بالعصبية، وكلما أخذتك الأفكار شعرت بأنك تفقد السيطرة وتتذكر لوهلة جميع الانتقادات القاسية التي تأتيك عندما تثور غاضبًا، ستدخل حينها في صراعات نفسية وعقلية وستزداد وتيرة العصبية أكثر وتصبح نقطة الضعف المتخيلة أكثر ضخامة حتى تكون كالشبح الذي يريد أن يؤدي بحياتك!

إنه تأثير العقل الباطن، وهو تأثيرٌ نمارسه بأنفسنا ويقوم به الناس من حولنا علينا! ومن الأمثلة التي نمارسها يوميًا ونقتل فيها الكثير من حولنا ما نفعله بطفلٍ لديه علة في نطقه ونقوم بإشعاره بأننا منتبهون لها وأنها مؤثرة، ونطلب منه إعادة بعض كلماته لنضحك ساخرين. يقول البعض أن نيته علاج الخلل! لكن حتى وإن كانت هذه نيتك، لا يجب أن تعالج العلة بهذه

الطريقة التي ستشعره بأنه يفتقد شيئًا كارثيًا لا يستطيع أن يستمر على ظهر الحياة دون حيازته وكأنه يفتقد القدرة على التنفس؛ لأنه سيبقى مكبلًا بقيدٍ في عقله الباطن وأول من أوثقه أنت، فلا تتحدث بعدها عن المعلمين الذين لا يعطونه فرصة ولا يشجعونه، فأنت أول من دق أوتاد نقاط الضعف في عقله. كان لي تجربة شخصية مع نقطة الضعف القاتلة التي تفتك بالعقل الباطن، كان سببها أصدقائي وزملاء الدراسة، كانوا يضحكون من اختفاء حرف الراء لدي، حتى أصدقائي المقربين كانوا يفعلونها ويرددون على مسمعي ضرورة حلها! مما كان كافيًا لإقناعي أنني بلا راء لن أفعل شيئًا، وحرمت نفسي بسببها من المشاركة في أي نشاط خطابي، كل هذا سببه نقطة ضعف ضخموها في عيني، بقيت إثنتي عشرة سنة معرضًا عن المشاركة في الأنشطة الصفية واللاصفية لأنني كنت أسمع ضحكات عدة تأتي من خلفي ومن أمامي ويميني وشمائلي حتى شعرت أن الأرض تضحك من تحتي وكأن سهامًا من السماء تخترق لساني وتعقده عن الحديث. مرت إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا حتى قررت في الشهر الأخير من حياتي الدراسية أن أقوم بإلقاء كلمة الخريجين وكأنني أتحدى جميع من استهزأ بي ولا أدري ما الذي دفعني للإقدام بهذه القوة، وقفت أمام الجميع، آباء ومعلمين ومديرين ولم أرتعد وكانت الراء مختفية ولم أشعر بخجل، علمت وقتها أن الانتصار على الأوهام والوساوس ممكن إن أردنا، وأننا نملك قوى داخلية خاصة بنا لابد أن نؤمن بها كي نتمتع بشخصياتنا التي منحنا الله إياها وبتلك الأشياء التي نظنها عيوبًا وقد تحمل في ثناياها قوة!

رأينا أن النفس فتكت بحياة أخيل وبفاعليتي في مدرستي وسرقت مني فرصًا عدة، وهي كذلك تختطف الانطوائي من انطوائيته وتجعله كارهًا لها

وتصورها شبحًا يطارده كذلك الذي ظل مطاردًا لأخيل حتى أسقطه. إن تلك الانتقادات والأوصاف المَرَضِية لشخصية الانطوائي تبدو كوساوس الشياطين تتخطفه حتى تهوى به وتشعره بعدم صلاحيته لشيء، فإن أراد صعود أحد المسارح بدأ الشعور بسوئه خطابيًا يقرع باب صدره، تجده واقفًا يشعر بأن الأضواء المسلطة عليه تأكله، وهذا مقدور عليه لبعض من الوقت، لكنه يخشى سهام الحاضرين الذين سلطوا أضواء أعينهم عليه ليشاهدوه لا أكثر، لكنه يعتقد أنهم ينتقدونه، يقوم باستدعاء كل ما سمعه سابقًا، يظن أنهم علموا بحقيقة ارتباكه، علموا بأغوار نفسه وعلموا بذلك الصراع الذي حدث بينه وبين ذاته قبيل الصعود. بعد تردد وتفكير طويل سيتحدث، لكنه لن يستطيع الصمود طويلًا، قد يسقط حينها كأخيل وقد يتماسك حتى يتم عرضه المليء بالارتباك ثم يخرج مترنحًا كأنه أصيب في كعبه الأخيلي، لكنها إصابة في نفسه! يخرج ذلك الانطوائي من المسرح ويقرر أنه الصعود الأخير ولن يكرره، ويدخل في دوامة وتستمر الحلقة في الدوران. هذه الدوامة النفسيّة يجب أن تتوقف إن كنت انطوائيًا، فلا داعي للضغوط النفسيّة سواء على خشبة المسرح أو على صعيد قلة علاقاتك وانزعاجك من الأضواء فها نحن أثبتنا بالأبحاث أن انزعاجك طبيعي وأن قلة علاقاتك لا تنم عن عقد نفسية، لا تكترث بأحاديثهم الرنانة التي توهمك بأن شخصيتك وصفاتك مليئة بالسوء، فأنت لست الوحيد، فهاهي الأبحاث تقول أن ثلث العالم انطوائيون، ولست مريضًا فها نحن استعرضنا قصص عظماء كانت الانطوائية حجر الأساس لإبداعهم.

ركام السوء

"كل ما علينا أن نُقِلب صفاتنا التي نراها سيئة، وإن أصررنا على سوئها فلنصنع من رُكامها قالبًا متميزًا!"

عبد اللطيف

طالما سمعنا أن للذات عدة نسخ من بينها نسخة ملائكية وأخرى شيطانية وخير الأمور أن نتوسط بين هذه وتلك، لكن لا أحد تجرأ وقال اقتلوا الذات وتخلصوا منها لأنها تحمل جانبًا شيطانيًا؛ لأن الجميع يدرك أن النقص ليس إلا دليلًا على حقيقة الأشياء، أما تلك الأشياء المكتملة فتكمن في الخيالات لا أكثر. إن النقص إثبات لاكتمال الأشياء، فكي يستفيد الإنسان من جانبه الملائكي عليه أن يتقبل ذاته بكل مكوناتها فإن الذات لا تأتي حسب الطلب ولا تأتي إلا مصطحبة الشياطين والملائكة معًا، ولتكون إنسانًا فبين الاثنين يجب أن تقف. هكذا هي الشخصيات والصفات أيضًا لا يمكننا تصنيفها ضمن نطاقين سيء وحسن، هي كالنفوس تمتلك سقفًا أعلى وسقفًا أدنى، تمتلك سلبيات وإيجابيات لكننا نرى الجانب الأسوأ لبعض الصفات ونصفها بالسوء كليًا ونفعل العكس مع بعض الصفات حيث نرى الجانب الأفضل دائمًا ولا ننظر إلى السوء الذي تكتنفه تلك الصفات فتبدو لنا في نهاية الأمر صفاتٍ سيئة وصفات حسنة وهذه بداية السقوط في الفخ.

إن أكثر هذه الصفات تلويثًا وتشويهًا، الاستعجال، حيث تم تصوير صفة السرعة في اتخاذ قرار على أنها تسرع وهناك فرق بين السرعة والتسرع

كالفرق بين التمهل والتباطؤ، التمهل في اتخاذ القرار يعني التأني حتى يتم الاطلاع على حيثيات الأمر. والتباطؤ هو التأني المتجاوز للحد حيث أن المعلومات كلها واضحة والخيارات كلها أمامك فلماذا التردد؟ الفرق بين السرعة والتسرع مشابه لهذا الفرق لكنهم مسخوا صفات السرعة الجميلة كاقتناص الفرص والمبادرة ووصفوها كليًا بالتسرع حتى بدت في غاية البشاعة والسوء.

إنني متصف بصفة الاستعجال وكان أهلي ينتقدون هذه الصفة وعندما كبرت رأيت أصدقائي يصفونها بعيبي الأكبر فأصبحت لذاتي جلادًا، كلما أردت اتخاذ أتفه القرارات تذكرت أحاديثهم وأخذت أتأنى في قراراتي حتى وجدتني منتقلًا من التسرع إلى التباطؤ ورأيتني مفوتًا للكثير من الفرص بعدما تمكنت عقدة الاستعجال منيّ، لم أنتبه لهذا التحول وما زلت آخذًا في جلد نفسي علها تقلع عن الصفة السوداء ولم تقلع ولم أر سوى احمرارًا يملأ جسدها ذهابًا وإيابًا، وسمعت حينها الصفة التي أسموها استعجالًا تناجيني بصوتٍ متنهدٍ كله أنين: "إنني جزء منك فكيف تستأصلني؟"، شدني ذلك الهمس وتساءلت هل هي فعلًا نقطة ضعف وعيب كبير يزلزل كياني؟ وجاوبت على الفور كعادتي مستعجلًا: طالما أنها تسببت لي في مشاكل وخيارات كثيرة خاطئة فلابد من الجلد والاستئصال، وأخذت سوطي واستمريت بجلد ذاتي! وأنا في غمرة الجلد، جاء أحد الكتب[39] كالبلسم محاولًا مداواة آثار الجلد وقادني إلى اختبارٍ معتمد وكان من أدق اختبارات الشخصيات التي قمت بإجرائها منذ أن عرفت

39- الكتاب هو ذات الكتاب الذي تحدثنا عنه في بداية الفصل وأنصح به كثيرًا: Go Put Your Strength to Work

الشبكة العنكبوتية حيث أنه كان يلامس شخصيتي الحقيقية. هذا الاختبار يقيس نقاط القوة التي يجب أن تعمل عليها كي تصبح ناجحًا، ظهرت لي أقوى خمس صفات في شخصيتي وكانت بالفعل موجودة لدي، لكن ما أدهشني هو أقوى النقاط التي لم تخطر في مخيلتي أبدًا ولم أفكر بأنها قوة قط، حاولت أن أقرأ العبارة مرة أخرى، قرأتها وكانت نفس العبارة، نعم هي ذاتها "المبادرة"! والمبادرة شبيهة على حد علمي بالسرعة التي وصفوها بالاستعجال، طلبت شرحًا أكثر لنقاط القوة التي ظهرت، ذهبت لقراءة وصف المبادرة ورأيت ما زاد دهشتي حيث قال التقرير: "أنت تحب القيام بالخطوة الأولى دائمًا وتسارع لإشعال شعلة المشاريع الأولى وتفضل التعلم عن طريق التجربة ولا تمانع من حدوث الأخطاء، وفي ختام التقرير رأيت جملة قلبت كل الموازين لدي: "أنت عنصر مهم في المرحلة الأولية من كل مشروع وأهميتك تقل عندما تنتهي مرحلة الإنشاء، أهميتك تكمن في إشعال الشرارة وبعدها لا حاجة لك".

رميت سوطي وأنا أقرأ التقرير وأخبرته أنني قد أعود له إن لم تكن المبادرة تتطلب سرعة ولا علاقة لها بالاستعجال، لكن كل كلمة قرأتها بعد ذلك كانت تدل على أن السرعة هي أساس المبادرة والاقتناص وعلمت أن الاستعجال ليس إلا شجرة في مزرعة السرعة لكنها ألقت بظلالها على بقية الأشجار كالمبادرة والاقتناص حتى ظهرت السرعة بمظهر بغيض. بعد أن أنهيت التقرير اختلفت موازين تقييم الصفات لدي وتبدل حالها فها أنا ذا أنظر إلى نقطة ضعفي الكبيرة تستحيل إلى نقطة القوة الأولى لدي وإلى حبلٍ أرقى به سفوح النجاح بعد أن كانت شبحًا يطاردني ليقذفني إلى هاوية الفشل. بعد نشوة الفرح توقفت مرة أخرى واستدركت حديث الناس

من حولي مجددًا وعلمت أن الصفات كالنفس البشرية، جوانب ملائكية وجوانب شيطانية وعليّ أن أكون وسطًا بين هذه وتلك إن أردت نجاحًا، وعلمت أن علينا تحمل صفاتنا بسوئها، فلا يوجد صفة بشرية لا تحمل جانبًا سيئًا، حتى صفة حسن النية ورطة لصاحبها إن مارسها مع الأشرار، هذا وهي أنبل الصفات!

أغلقت التقرير وعدت إلى الكتاب أقرأ ما تبقى، ورأيت الكاتب يقص قصته مع ابنه: "طفلي في الخامسة من عمره، يبكي بحرقة على خسارة فريقه، إنه طبعٌ سيء ما هذا الألم الذي يجتاح ابني من أجل لعبة؟ حاولت أن أحارب هذه الصفة، اصطحبته معي إلى الملعب كي يواجه الموقف لكني رأيته يرتمي في حضني كلما استقبل فريقه أهدافًا، إنه لا يريد أن يرى فريقه يخسر، ومع توالي الأهداف ارتمى وبكى وقال دعنا نرحل. حاولت بشتى الطرق أن أستأصل هذه الصفة القبيحة لكنها تزداد عمقًا في شخصيته كلما كبر وعلمت أنها محفورة في جيناته ومن العبث أن أصر على اقتلاعها فقد أقوم بإضراره، وفضلت أن أبدأ رحلتي في البحث عن إيجابيات هذه الصفة التي لم أر إلا مساوئها، وقلت لنفسي: طالما أن ابني تؤلمه الخسارة، إذًا لماذا لا أضعه في بيئة تنافسية فإنه سوف ينتج بشكل أكبر ليتجنب ألم الفشل، وبحثت له عن مدرسة تضع فارقًا بين الأول والثاني حتى وإن كان الفارق شكليًا كأن يمنحوا الأول شهادة تقديرية، ومتأكد أنه سيتميز؛ لأنه لا يقبل بالمركز الثاني! وعندما يبحث عن عمل يجب أن يذهب إلى بيئة تنافسية متجددة فهو غير مناسب للعمل الروتيني الذي لا يبعث على التقدم حيث لا فارق بين أفضل العاملين وأسوئهم".

حديثه عن ابنه منطقي إلى حد كبير لكني لم أقبل أن آخذه كما هو

وحاولت أن أبحث فيمن حولي عمن يشبه ابنه ووجدته بالفعل. إن صديقي يشابه طفله تمامًا! يفعل كل شيء لئلا يخسر وإن خسر تؤلمه الخسارة وإن كانت في أتفه الألعاب، وإن كانت فردية ازداد ألمه، يكره أن يكون في المركز الثاني ولا يرضيه ذلك أبدًا. كنا أنا وأصدقائي ننتقده ونعتبر صفته طفولية وسلبية مئة بالمئة، لم ننتبه إلى أن الألم الذي نستهزئ به هو ذاته الألم الذي يأتيه عندما يخرج من قائمة الشرف في جامعته، أتذكر أنني جلست بجواره يومًا سائلًا إياه عن دراسته وأجابني بانكسار: "لم يختاروني لقائمة التفوق". أذهلني أنه لم يبرر فشله بل أعقب قائلًا: "ستحضر حفل تفوقي الفصل القادم"، بعد تلك الليلة اختفى عن الأنظار ولم أره إلا قليلًا وكلما اتصلت به قال أنه منشغل بدراسته، اشتقت إليه حيث لم أعتد غيابه ولم أكن أعلم أن الألم اعتصره وجعله منكبًا على كتبه حتى اتصل بي قائلًا أهلًا بك في حفل تفوقي! ما أجملك يا صديقي وما أجمل تألمك، إن الألم الذي يصيبه عندما ينهزم في لعبة هو الألم الذي جعله يتجاهل إغراءات الخروج من المنزل وجعله منكبًا بين دفتي كتاب يقيه ألم خروج آخر من قائمة الشرف! هاهي الصفات، جميعها مليء بالحُسن لكننا لا ننظر إلا إلى قرين السوء الذي يأتي معها، نظن جاهلين أننا نستطيع أن نلغي الألم من اللعبة ونبقيه فقط حافزًا للدراسة نظن أن صفاتنا تأتي حسب الطلب.

إذا كان وضع المجهر على الشق السلبي من صفاتنا يجعلنا نسقط كأخيل، إذًا ماذا سيفعل تشويه شخصياتنا بالكامل ونعتها بالأمراض؟ أليس من الممكن أن يصيب شخصياتنا بالتصدع الكامل خاصة عندما نقرر الانمساخ في شخصية أخرى لم تخلق لنا؟ لسنا بحاجة إلى الإجابة على هذه الأسئلة فجوابها نجده في رسالة إحدى الهاربات من الانطوائية:

"كنت في المرحلة المتوسطة ولم يكن لدي إلا صديقة واحدة ومع مرور الزمن تعقدت من انطوائيتي واتجهت إلى كتب تطوير الذات[40] وعلمت أنني أستطيع أن أكسب الأصدقاء وأكون أكثر الأشخاص اجتماعية وتبدلت حينها وكونت صداقات كثيرة إلى الحد الذي جعلني أكون أسبوعيًا في مناسبة، وتعرفت على أناس كثر عندما كانت ثورة مواقع التواصل الاجتماعي وتحديدًا "البلاك بيري" حيث كنت أتحدث في آن واحد مع ثمان فتيات ووصل بي شغف تكوين العلاقات إلى أن أصبحت أنقل علاقات الإنترنت إلى الواقع، وصلت إلى حد التشبع لكني لم أشعر بالمتعة قط وإن قمت بإيهام نفسي أني مستمتعة[41]، شعرت أن كمية الأصدقاء والمعارف التي أمتلكها أكبر بكثير من طاقتي وأشعر بأني لست أنا التي أعرفها قبل سنوات! استمر هذا الأمر إلى الصف الثاني ثانوي وبعدها شعرت أني غير راضية عن شخصيتي الجديدة وبدأت أسأل نفسي: هل أنتِ راضية عن صورتك الجديدة؟ بقيت في عزلة طويلة أراجع كل السنوات الماضية، أخذت أستدرك حديث أولئك الفتيات اللاتي تعرفت عليهن عن طريق الإنترنت عندما قلن: "شخصيتك الافتراضية تختلف عن الحقيقية"، علمت حينها أني خادعت نفسي كثيرًا ويجب علي الرجوع إلى قوقعتي، واتخذت قرارًا بأن أعود كما كنت وأنهيت أغلب علاقاتي الهامشية، عدت

40- لهذا أحب أن أسمي بعض كتب تطوير الذات «تدمير الذات»، إن أغلب كتب تطوير الذات في الفترة الماضية تعمل على تشويه الإنسان وليس تطويره خاصة الانطوائيين حيث تأمرهم بأن يخلعوا رداء الانطوائية ويرتدون ثوب الاجتماعيين، أما الآن فأني ألحظ تطورًا وفهمًا للشخصيات بشكل أفضل ولعل وعسى أن يكون مستقبل تطوير الذات مشرقًا.

41- تقول الباحثة سوزان كين: قد تعتقد أن كثير ممن حولك اجتماعيين لكن الحقيقة أن كثير من الانطوائيين يمثلون أنهم اجتماعيين وهذا ما يشعرك أنهم قليل، حيث أن الواثقين من شخصيتهم الانطوائية ليسوا كثر.

إلى انطوائيتي وكلي ثقة أن العيب ليس فيها و ليس في عدم تكويني علاقات عديدة. أنا الآن في صفي الثالث الثانوي وبحمد الله أجدني مستمتعة بكل شيء وأشعر بأن لدي من الوقت الكثير لأصقل شخصيتي ومعجبة بذاتي وخصوصًا بثقتي بنفسي ورضاي عن ذاتي، الثقة جعلتني أتحكم بالانطوائية وليست هي من تتحكم بي، أنا لا أبتعد عن الأصدقاء لكني اختلط معهم بالقدر الذي يكفيني والذي لا يجعلني أهجرهم، فأنا بحاجتهم بكل تأكيد وهم بحاجتي. ليست لدي مشكلة في الحديث أمام الجميع بشرط أن أمتلك معلومات دقيقة عما أتحدث فيه ولا أمانع من قيادة الطالبات طالما أتقن المجال الذي تريده المعلمة، زاد بعد هذا التحول حمدي وشكري لله على النضج الذي وصلت إليه حيث لم أعد أجلد نفسي ولا أتمادى في لومها، ولم أعد أسأل نفسي لماذا لم أخلق اجتماعية كالبقية، أصبحت مؤمنة إيمانًا قويًا أن الإنسان يستطيع تحقيق جميع أهدافه مهما كانت شخصيته بشرط أن يتحكم بعقله ويسيطر على سلبياته، أما الانطوائية فلم تكن في يوم من الأيام ضعف، هي تحمل الضعف في بعض جوانبها كما تحمل الاجتماعية الضعف في بعض النواحي".

حديث آسر من إنسانة عاشت مأساة التنكر لذاتها، حديث دقيق جدًا يعفيني من التعليق على أي جملة، فيكفيني أن قالت: "الانطوائية ليست كلها ضعفًا"، نعم هكذا شخصياتنا وصفاتنا لا يمكن أن تكون كلها سيء أو حسن، هي خليط بين هذه وتلك، هي كالنفس البشرية ملائكية وشيطانية، كل ما علينا أن نقلب صفاتنا التي نراها سيئة، وإن أصررنا على سوئها فلنصنع من رُكامها قالبًا متميزًا!

رُكام الأحاسيس

"لماذا لا نُسميهم أصحاب القلوب الرحيمة بدلًا من أصحاب القلوب الضعيفة، أم أننا ألفنا القسوة؟"

عبد اللطيف

ماذا يعني كون الانطوائيين أكثر تدارسًا لشخصيات من حولهم وأكثر فهمًا للفنون الغامضة كالفن التجريدي؟ أليس يعني أنهم أكثر تحليلًا للمشاعر ومعاني الكلام؟ أليس هذا يعني أن الانطوائيين أكثر حساسية من غيرهم؟ وإن كانت إجابتك لا، فلماذا يتحسس الانطوائيون بشكل عام من الأضواء والأصوات؟ مسألة الحساسية غامضة تستحق البحث؛ لأننا دائمًا ما نعتبر أصحاب الحساسية مرضى دون أن ندرس درجة حساسيتهم وبلا معايير تقيس الحساسية الطبيعية والحساسية المؤثرة على صاحبها والتي تجعله إنسانًا هشًا. إن أكثر من خصص وقته للبحث في موضوع الحساسية هي الباحثة إلين آرون التي بدأت أبحاثها منذ خمسة وعشرين عامًا وما زالت مستمرة[42]، في البداية قامت إلين بحساب نسبة ذوي الحساسية حول العالم ووجدت أنهم يتراوحون بين 15% و20%، وهذه نسبة لا يستهان بها فهم يشكلون خمس سكان العالم، إنه منحنى خطير في دراسات إلين؛ لأنها لن تستطيع اعتبار ذوي الحساسية مرضى بل عليها أن تفرق بين الحساسية العالية والمتوسطة والمنخفضة وهذا ليس موضع بحثنا، فنحن سننظر لذويّ الحساسية ككتلة واحدة. في البداية علينا أن نجيب على سؤالنا هل الانطوائيون دائمًا يتصفون

42- لمن يريد معلومات أكثر حول هذا الموضوع يستطيع الرجوع إلى موقع السيدة إلين آرون: hsperson.com

بالحساسية؟ بالتأكيد لا، وأوضح برهان على ذلك أن الانطوائيين يشكلون ثلث سكان العالم وذوي الحساسية يشكلون خمس سكان العالم فقط، بمعنى أنه سيبقى عدد كبير من الانطوائيين لا يتصفون بالحساسية أبدًا! وهذا ما أثبتته أبحاث إلين التي أظهرت أن 70% من ذوي الحساسية انطوائيون و30% منهم اجتماعيون.

قد يفزع الانطوائيون من نسبتهم الضخمة، وقد ينكر الانطوائي ويقول: "لا، أنا متزن ولست حساسًا". لكن الأمر ليس كما نعتقد، إننا نفهم الحساسية على أنها مدى تأثر الشخص بالحديث الجارح وحسب، لكن هذا جزء صغير من مكونات الحساسية، فإن كنت تنزعج من الأصوات والأضواء والروائح القوية فهذه دلائل على حساسيتك، ولهذه الحساسية جانب إيجابي بالطبع حيث تجعلك أكثر تذوقًا للفن والروائح والأصوات! بل قد نستطيع الجزم بأن أكثر الفنانين إبداعًا هم أكثرهم حساسية؛ لأنهم أكثر تفكيرًا في أسرار النفس وما وراء الأفعال وما بين السطور، فتراهم يبثون أرواحهم كلها في أعمالهم حتى لا يبقى لهم روح، ونستطيع إدراك هذه المعاني عندما نعود إلى إنغريد برغمان التي تقول: "كل ممثل يستطيع البكاء، لكن من يقنع المشاهدين أنه يبكي؟". إن الحساسية سبب الإبداع الروائي والفلسفي حيث القدرة على النفاذية في أغوار النفوس؛ لأنها تجعل الروح كمادة بلا جزيئات تخترق كل شيء حتى تصل عمقه، وكما أن النفاذية والخفة في الروح سببٌ للإبداع فهي سبب تأثر صاحبها بكل سهولة من أي حديث جارح أو مشهد مؤلم، لكننا نريد أن نحصل على المزايا دون أعراضها الجانبية! إن الحساسية صفة اختطفت كل جوانبها الإيجابية وتم تصويرها لنا على أنها البكاء في كل حين وهكذا ألقوا بركام سوئها على كل جماليتها.

لم تختطف الجوانب فقط بل تم اختطاف المسمى حيث أطلقوا على المتصفين بالحساسية "أصحاب القلوب الضعيفة" بدلًا من "أصحاب القلوب الرحيمة المتذوقون للفنون المتعمقون في الأفكار"، وتجد البعض يتهكم ببكاء أحدهم بسبب رواية أو مشهد تلفزيوني مؤلم، بل يشعرونك أحيانًا أن البكاء ضعف، وأحيانًا يتدخل الفكر الذكوري ويصف الباكي بالأنثى، أليس البكاء وعدم القدرة على رؤية ضحايا الحروب أفضل من التقلب بينها وإغلاقها وكأن شيئًا لم يحدث؟! أم أننا استسغنا الجمود العاطفي؟ لمَ لا يكون عدم تحمل رؤية القتلى والدماء رحمة وليس ضعفًا؟ لماذا لا يكون تأصيلًا لمبدأ التداعي بالألم للإنسان عندما يتألم؟ لماذا ننظر إلى جانبٍ وحيد كعادتنا ونترك بقية الجوانب؟ لن نبحث هذه المرة في الجوانب المميزة فقد ذكرنا بعضها، بل نريد أن نعلم ما إذا كانت الحساسية تعني اهتزاز الرأي وضعف الشخصية أم لا؟ بالتأكيد لا، فهاهو العقاد الانطوائي الحساس يأخذنا مرة أخرى في رحلة داخل نفسه المرهفة رغم أنه معروف بصلابة رأيه وقوة شخصيته.

كان العقاد شديد الحساسية سريع التألم والبكاء، ومن فرط حساسيته وقع نظره على جلاد يهوي بسوطه على ظهر سجين، أثناء سجنه بتهمة العيب في الذات الملكية، ثم انبثق الدم من ظهره فعاد إلى مكانه باكيًا مفطور القلب إلى الدرجة التي جعلته غير قادر على النوم ثلاث ليال حتى مرض وظلت صورة السجين تملأ عينيه واستمرت أناته تطن في أذنيه. يتحدث العقاد عن حساسيته، يقول: "يأسرني الفن الجميل، حتى إنني أبكي من مشهد عاطفي أو درامي إذا كان متقن الأداء، وأذكر أنني بكيت في أول فيلم ناطق وكان يمثله الممثل آل جولسون وكان معه طفل صغير يمثل دور الطفل الذي حرم أمه وظل مهملًا حتى الموت، تأثرت من الفيلم وبكيت ولم أستطع النوم

تلك الليلة إلا بعد أن غسلت رأسي بالماء الساخن ثلاث مرات، وأنا استعين بغسيل الرأس بالماء الساخن لإبعاد الأفكار السوداء عني عندما تتملكني". بعيدًا عن حساسية العقاد فهي واضحة إلى أبعد حد وستبدو واضحة أكثر في المقطع القادم، لكن على القارئ أن ينتبه إلى عبارة "إذا كان متقن الأداء"، إن ذوي الحساسية العالية لا يتأثرون بأي شيء، بل يتأثرون بالأشياء العميقة التي يشعرون أن من يمثلها أتقنها وكأنها حقيقة!

يختم العقاد حديثه عن حساسيته ببرهان كبير: "أصبت بنزلةٍ حنجرية حادة حرمتني النوم وكنت حينها سجينًا في غرفة مغلقة لا تدخلها الشمس وقرروا أن يأخذوني إلى المستشفى، ووضعوني في غرفة تطل على حديقة وميدان واسع، كنت أرى الداخلين والطالعين ويشرف علي الأطباء من الصباح إلى الصباح، لكني لم أحتمل أنين المرضى الذي كان يعذبني فرفضت البقاء في المستشفى واستيقظت مع فجر أول يوم وطلبت منهم أن يعيدوني إلى زنزانة السجن المظلمة فهي أرحم من أنين المرضى". هل نحن بحاجة إلى إثبات حساسية العقاد بعد ذلك؟! إنه يفضل زنزانة السجن الضيقة المظلمة على غرفة فسيحة في مستشفى لأن أنين المرضى يؤلمه، هذا كل ما في الأمر. قد يعيب البعض على العقاد هذه الحساسية لكنها كما رأينا لم تؤثر في صلابة رأيه وقوة شخصيته وكانت أساسًا لكثير من إيجابيات العقاد وأولها الغوص في شخصيات العظماء، وهي جزءٌ من شخصيته التي جعلته يعتاد على العزلة ويبدع كل هذه الكتب التي تجاوز عددها السبعين في شتى المجالات، أم تريد أن تصبغ العقاد بالكمال في كل شيء ثم يستحيل ملاكًا؟

حتى وإن قلنا في حديثنا الماضي أن هناك اجتماعيين يتصفون بالحساسية العالية فإن هذا لا يلغي حقيقة أن أغلب الانطوائيين يتصفون بالحساسية

العالية حيث يتصفون بذلك بنسبة أكثر بكثير من الاجتماعيين، وهذا ما بدا واضحًا في دراسة قامت بها إلين آرون حيث وجدت أن الانطوائيين أكثر اجتنابًا لأفلام العنف مما يدل على حساسيتهم من المناظر البشعة والدموية. قد يفرح ناقدو الشخصية الانطوائية ويقولون هاهي سلبياتهم بدأت بالظهور، لكن الأبحاث سارعت بالرد وأعادت للانطوائية رونقها حيث قامت الباحثة بإعطاء الأطفال ألعابًا قابلة للكسر، وكلما انكسرت اللعبة جاءت أم الطفل إليه وهي تبكي وتشعره بأنه كسر شيئًا تحبه أمه، وبعد فرز ردود أفعال الأطفال وجدوا أن الأطفال الانطوائيين أكثر تأسفًا وتأثرًا بدموعِ أمهاتهم وهذا طبعٌ رائع لا يأتي لوحده، فالذي يرق قلبه ويشعر بالأسى والندم عندما يرى أمه حزينة على ما فعل هو الذي سيكبر ويتجنب المناظر المؤلمة! تختم إلين آرون حديثها عن ذوي الحساسية العالية: "نعم هم يتأثرون بشكل سريع وتجرح مشاعرهم بشكل أسرع، لكنهم أيضًا أكثر اهتمامًا بمشاكل الآخرين حيث أن مشاعرهم رهيفة إلى الدرجة التي يسهل جرحها، لكن هذه النفاذية هي من يجعلهم يشعرون بآلام الآخرين بشكل أفضل ويهتمون بها". لن نعيد الحديث بعد هذا الاقتباس، كل ما عليكم معشر الحساسين أن تصنعوا من ركام الأحاسيس قالبًا متميزًا!

اجترار الألم

"إن عشت في بيئة مؤلمة في صغرك، لا تجتر الألم عندما تكبر وتوزعه على أبنائك وطلابك ومن حولك، فلا علاقة لهم بما حدث لك!"

عبد اللطيف

يمتلئ بعض المعلمين بالعقد النفسية جراء ما حدث له في صغره، فتجده يضرب طلابه بأقسى الطرق والوسائل على أتفه الأسباب وعندما تسأله لماذا؟ يأتيك بغرائب الحديث وأحيانًا يجعل التربية الحسنة الذريعة لتبرير ما يفعل حيث أن البعض يسميها تربية الرجال، لكنه في الحقيقة يمارس سلوكياته تلك متأثرًا بما حدث له في صغره من ضربٍ من قبل معلمه الهمجي الذي قد يكون أيضًا غارقًا في محاولة الأخذ بالثأر من معلمه الذي ضربه طفلًا! وبهذه الطريقة تتعاقب الأجيال وكل معلمٍ يجتر الألم الذي شعر به عند أول وخزة شعر بها من معلمه قبل عشرين سنة ويريد أن يشعر طالبه بها، هو لا يتعمد ذلك لكن اللاشعور يفعل ذلك وأكثر ويوهم عقله الواعي بتبريراتٍ شتى، وهكذا تتوارث الأجيال الألم بلا انقطاع، ذات السيناريو يتكرر مع ذلك الذي تعرض لتربيةٍ سيئة أو ظروف قاسية فيجتر ألمها ويذيق ابنه مرها، ويطالبه بأن يتحمل سوء الظروف رغم أنه بإمكانه تجنيب ابنه تلك المتاعب، لكنه يأبى إلا أن يحمله إياها قسرًا.

إن اجترار الألم أسوأ ما يكون عندما يتعلق بالتربية والشخصية، وأكثر ما أخشاه أن يأتي أحد الانطوائيين الذين لم يلقوا اهتمامًا في صغرهم وشبابهم وينقلوا سوء تجاربهم معهم عندما يبدؤون بتربية أبنائهم حيث

تجدهم يحاولون زجهم في المجتمع بشكلٍ جنوني كي لا يعيدوا تجربتهم المرة، وهم بذلك يعتقدون أنهم يبعدونهم عن العذاب وهم في الحقيقة يمزقون شخصياتهم أيما تمزيق. كل ما يمكننا قوله في هذا السياق، كونوا كأم حذيفة تلك السيدة التي كانت تمني النفس ألا ترزق بطفل انطوائي لأنها لا تريد أن يعاني كما عانت في مجتمعٍ ينبذ الانطوائيين ولا يفهمهم، لكن عندما رزقت بحذيفة الانطوائي نكصت عن رأيها وأخذت تبحث في كل الكتب عن كيفية العناية به ونسيت تجربتها كليًا، وقامت بتحريك الكراسي حيث قدمت الميم وأخرت اللام وتحولت إلى صنع الأمل بدلًا من اجترار الألم!

خير مثالٍ على صنع الأمل بدلًا من اجترار الألم نجده في هذه الرسالة التي جاءتني من انطوائية لم يكن لديها من يهتم بشخصيتها في صغرها حيث تقول: "في بداية الأمر كانت أمي تجبرني على حضور جميع المناسبات وكنت أغرق في البكاء وهي تعلق بأن هذا دلع لا أكثر، فقدت ثقتي بنفسي وأصبح حديث الناس يهزني بسهولة وسببت لي فجوة أيضًا في تعليمي". كان ألم الفتاة شديدًا لأبعد حد حيث قالت بمنتصف رسالتها: "ليس فقط المجتمع الذي يحارب الانطوائيين، إن أقرب الناس إليك يحاربك سواء كان متعلمًا أو جاهلًا وهذا بسبب جهلهم بهذه الشخصية مما يدخلنا في دوامات نفسية كثيرة"، إن هذا الحديث ليس غريبًا علينا فقد وجدناه في أبحاث تقول أن عدم تقدير شخصية الانطوائي والبيئة المفككة يؤديان إلى اظهار النسخة السيئة منه. تكمل الفتاة حديثها متنهدة: "لا تجبروا الانطوائي على شيء، لا تعاملوه على أنه كائن فضائي، أطيلوا صبركم على من حولكم، الانطوائيون لا يقيمون علاقاتهم بشكل سريع لذلك لا تنتظر منهم التجاوب بشكل سريع لكن ثق أن صبرك سيكون في محله لأنهم

سيذهلونك بشخصياتهم حين تعرفهم عن قرب". يفيض الألم من كلماتها لكنها تناسته وقالت: "بعدما رأيت من تقصير أصبحت لدي ردة فعل إيجابية، أصبحت مهتمة بشخصيات الأطفال وأحاول قدر المستطاع أن أبعد التأثيرات السلبية عنهم بل أصبحت أنفق من مكافأتي الجامعية كي أساهم في تطويرهم وإسعادهم وأعتقد أن هذا الاهتمام كان بسبب سوء معاملة أمي سابقًا".

رغم التوجع، إلا أنها أصرت على رمي الألم في سلة المهملات فلا داعي للنظر إلى الماضي طالما أن المستقبل لا يحتاج شيئًا سوى الأمل. لماذا إيقاظ الجروح وافتتاح فروع أخرى لها في خواطر فلذات أكبادنا أو من حولنا من عزيز وصديق؟، لماذا لا نأخذ من جروحنا بلسمًا نداوي به القلوب؟ إياكم أن تجتروا الآلام، تناسوها، اتركوها نائمة لا توقظوها، إياكم أن تكونوا أراضيَ خصبة تثمر فيها شجرة الآلام وتلقي بظلالها على مستقبل أبنائكم!

الفصل الثامن

آكلو البشر

"ولو أني حُبيت الخلد فردًا لما أحببت بالخلد انفرادًا"

أبو العلاء المعري

عندما يأتي مسمى الانطواء تأتي معه معاني نبذ الآخر وكراهية البشر ويحدث لبس كبير بين عدم القابلية للانفتاح على الآخر بسهولة وبين عدم الانفتاح نهائيًا إلى حد الكراهية وهذا لا ينطبق في الحقيقة على الانطوائيين، إن هروب الانطوائي من الاجتماعات المتكررة وعدم تقبله للوقوف أمام الجموع بشكل مستمر لا يدل إطلاقًا على كراهيته للبشر، ومن يعود إلى اختبارات جيروم كاجان سيرى أن المواليد الانطوائيين لديهم حساسية شديدة تجاه كل الأشياء الغريبة التي تصادفهم وليس البشر فقط، حيث أنهم يبكون عندما تتطاير البالونات أمام أعينهم وهم أكثر انزعاجًا عندما تعلو الأصوات الغريبة من حولهم. إذًا علميًا وبحثيًا لا مشكلة لدى الانطوائيين مع البشر، إنما مشكلتهم مع كل شيء جديد حتى الأماكن الجديدة يصعب تأقلمهم معها وإن كانوا من عشاق السفر تجدهم بحاجة إلى الوقت كي يتأقلموا مع البيئة الجديدة ويستمتعوا بعدها بسفرهم. إذًا تصوير الانطوائيين في صورة الناقمين على البشرية وربما آكلي لحوم البشر هو تصوير عار من الصحة.

كنت أعتقد ذلك للأمانة حتى جاءني صديقي الانطوائي وقال: "طالما أن هناك أناسًا أحبهم ويحبوني فأنا على قيد الحياة، وإن خسرتهم فأنا شبه ميّت". أليس هذا انطوائيًا؟ هاهو يخص من حوله بالحب ويتشبث بهم ويتمنى أن يبقوا بقربه ولا تكف شفتاه عن إهدائهم الدعوات الخالصة، سألت

صديقي قائلًا: كيف لك أن تحب العزلة والبشر في آن واحد؟ فأجاب: "ليس هناك أي تضاد بينهما، فأنا أحتاج إلى العزلة لمدة معينة سواء زادت أم نقصت لكني في النهاية لا أرغب بأن تكون هذه العزلة أبدية، فثمة فرق بين الوحدة والانطواء، إن الانطواء لا يعني الوحدة أبدًا، الوحدة تعني أن تبقى بلا أحد طوال الدهر وألا يهمك أحد وألا تكون مهمًا لأحد!". حاولت أن أسترجع ما أتذكره عن صديقي، وبالفعل رأيته منعزلًا في كثير من الأوقات خاصة عندما يتطلب الأمر الجلوس مع غرباء فهو يبقى صامتًا، لكن تأخره في الاندماج مع الآخرين لم يكن مؤشرًا إلى كرهه إياهم حيث وجدته يهبهم ما يريدون ويسدي إليهم خدماته والسعادة تملؤه، تصرفات صديقي أفقدتني صوابي فكيف لانطوائي أن يبحث عن مساعدة الناس ويهتم بالنجاح الذي يحققونه ويأنس بسؤالهم عنه ويسعد بأبسط الكلمات التي توجه له؟ تركني صديقي في حيرة لكن الممثلة الانطوائية أودري هيبرون جاءت مرة أخرى لتثبت أن حالة صديقي ليست استثناءً حيث قالت ذات يوم: "عندما لا يبقى أحدٌ تصنع له كوبًا من الشاي، عندما لا يبقى أحد بحاجتك، حينها تنتهي الحياة". ماذا تقول هيبرون؟ إنها ذاتها التي ترغب في قضاء عطلة نهاية الأسبوع في بيتها دون أن تلتقي أحدًا! هاهي الآن تطلق عبارات مليئة بالاحتياج إلى الآخر، شدتني هذه العبارة للبحث في اقتباساتها الملهمة علي أجد شيئًا يتعلق بشخصيتها الغريبة حتى وجدتها تعيد ما قاله صديقي: "أنا لا أريد البقاء في وحدة، أنا أريد أن أترك بمفردي"، فعلمت أن شخصيتها ليست غريبة وتأكدت أن الانطوائي ينزع إلى العزلة حبًا لها واحتياجًا وليس كرهًا في البشر، فإن كانت هيبرون تكره البشر فكيف لها أن تربط سعادتها بشخصٍ تصنع له كوبًا من الشاي وأن ترى الحياة خلال عينيه. إن هيبرون كصديقي تفرق

بين الوحدة والعزلة، إنها تكره البقاء وحيدة لكن تحب أن يحترمها من حولها ويتركونها لتختلي بنفسها بضعًا من الوقت.

كل ما ذكرناه يتنافى بشكل قطعي مع وصف الانطوائيين بالموتى حيث لا أمل لهم في الحياة، يعيشون كي يعيشوا لا أكثر ولا يهمهم ما يحدث من متغيرات اجتماعية وسياسية، فحياتهم مليئة بالرتابة ولا يكترثون بما يحدث بعدهم. كنت أعتقد هذا أيضًا حتى رأيت عالم الفن والفلسفة مليء بالانطوائيين، فإن كان الانطوائيون لا يهتمون بمن حولهم فلماذا يكون أكثر الفلاسفة انطوائيين؟ وما الفلسفة إلا رحلة عميقة في الإنسان وما حوله من أشياء، بل هي غوص في أعماق الإنسان! فكيف لمن يكره السباحة أن يسبح في المحيط! وبعيدًا عن الفلسفة والفن وارتباطهما الوثيق بالإنسان، هناك كثير من الانطوائيين يحبون العطاء ويتوقون إليه بلا مقابل، حيث وجدتهم أكثر الناس تأملًا في الغد وربما من الأكثر تضحية لأجل من يحبونهم كصديقي الذي لا يكف أبدًا عن الأعمال التطوعية ويحدثني عن آمالٍ كبيرة يعقدها على المجتمع، هل من المعقول أن يكون هذا ميتًا؟ إنه أحيا ممن يظنون أنهم أحياء، فهو ورغم حبه للعزلة يمنح وقته للآخرين ويساهم في بناء مجتمعه وتوعيته. وهاهي أودري هيبرون تثبت لنا ذلك حيث تقول: "أن تزرع حديقة فهذا يعني أنك تؤمن بالغد". هذه الكلمات صدحت بها انطوائية تفضل المشي بمفردها على أن تسير مع صديق، لكن ذلك لا يتعارض مع إيمانها بالغد حتى إن كان عن طريق العناية بأزهار حديقتها! ولم تقف هيبرون عند العناية بالحدائق بل ذهبت للانضمام إلى منظمات حقوق الإنسان والطفل خاصة ولها مساهمات لدعم التعليم في المناطق الفقيرة وتقول: "التعليم هو الحل لغد أفضل والحدائق رمز للسلام"، قل لي الآن هل كل هذا يخرج من كارهة للبشر؟

أما الآن فإلى الانطوائي الكبير عباس العقاد الذي يفترض أن يكون كارهًا للناس على حد اعتقادنا، يقول: "إني في رأي الناس رجل متكبر قاس، يعيش بين الكتب ولا يعيش مع الناس ولا يضحك ودائمًا في جد، وأقسم بكل ما يقسم به الشريف أن عباس العقاد الذي يقصدونه لا أعرفه أبدًا ولا رأيته ولا عشت معه لحظة واحدة وأنا نقيض هذا كله!"، يكمل العقاد حديثه في موضع آخر: "أنا رجل مفرط في التواضع، مفرط في الرحمة واللين ومحب للأطفال وعاشق للروايات الساخرة ومسرحيات الكوميديا". ينهي عباس العقاد حديثه عن علاقة الانطواء بالوحدة وكراهية الناس حينما استشهد بالشاعر أبي العلاء المعري الذي اعتزل الناس أربعين سنة ومع ذلك يكره الوحدة حيث قال: "ولو أني حبيت الخلد فردًا   لما أحببت بالخلد انفرادًا"، ويقصد بذلك أنه لو خيّر وقيل له اخلد في هذه الدنيا وحدك لما اختار هذا الاختيار القبيح، فانعزاله عن الناس لا يعني عدم حاجته إليهم وكرهه إياهم، ويعلق العقاد قائلًا: "ولا أحد يحب الخلود منفردًا وليس فقط أبو العلاء، فنحن نرغب في الانعزال ساعة وساعتين أو أيامًا لكن لا أحد يحب أن يبقى وحيدًا للأبد".

لم يعد هناك حاجة للبحث أكثر لأن الأبحاث والأقوال أثبتت خطأ اعتقادنا حول الانطوائيين، لكني حاولت استفزاز إحدى الانطوائيات حينما قالت لي أنها تحب المسنين وتفرط في حبهم، قاطعتها مستفسرًا: "هذا يعني أنك تحبين الموت؟ لماذا تحبين المسنين؟ فالأطفال هم رمز الحياة وليس المسنين!". فأجابت: "ماذا؟ الموت؟ ماذا تقول؟ إني أحب المسنين لأني أحب الحياة! أحب أن أبقى طويلًا، دائمًا أدعو ربي أن يمنحني عمرًا يكفي لأحلامي الكثيرة، إني أتأمل كثيرًا وأريد الحياة لأجل هذه الأهداف والأفكار فلماذا

أحب الموت؟ الموت أخذ مني أعزاء وأحباب فكيف أحبه؟ وإن أخذني الموت سيؤلم كثيرًا ممن يحتاجونني فكيف أحب ما يؤلم أحبابي؟ أما إن كنت تسألني عن المسنين على وجه الخصوص، فإن تجاعيدهم عميقة المعنى وحين أتأملها أشعر بأنهم بلا عمر! وكأنهم أعطوه هبة لأبنائهم وأحفادهم. إن شغفي لأكون مسنة كبير، أريد أن تملأ التجاعيد وجهي كي يراها أحفادي ويعلموا أنها ليست زيادة في حساب العمر بل زيادة في حساب التعب لهم ولآبائهم". لا تندهش عندما أخبرك بأن صاحبة هذه الرسالة شديدة الانطوائية ولم تتجاوز في عمرها العشرين عامًا ومع ذلك تريد أن تحيا طويلًا لا لأمجادٍ خاصة بها، بل لتضحي لأجل من تحبهم، أيليق بهذه أن تكون كارهة للبشر؟ كيف لها أن تكرههم وهي في المسنين قائلة: "المسنون ينتزعون من قلبي كل حزن، أشعر براحة كبيرة عندما أغفو في حجر مسن، أشعر وكأني للتو ولدت، أشعر أن تجاعيده تحيط بي وأتوقف حينها عن الشعور وأظن أن عمري ينتهي هنا، فهنا كل الجمال، إني أنتمي لهم كأنهم وطن، وأنتمي لأحبائي جميعًا وكأنهم أوطان".

منطق المجموعة

"لا يهمني عملك ضمن مجموعة إن كنت لا تنتمي إليها"

عبد اللطيف

عندما انطلق العمل الجماعي لم ينسجم معه الانطوائيون؛ لأنهم بشكل عام يفتقدون المبادرة ويقل إبداعهم عند العمل ضمن مجموعة مما أحدث لبسًا في نظرتنا إليهم حيث اعتبرنا أنهم أنانيون رغم أنه لا توجد علاقة بين تقبلهم للعمل الجماعي بالطريقة السلبية التي ذكرناها سابقًا وبين أنانيتهم، وحتى نحل هذا اللبس علينا أن نبدأ بتعريف العمل الجماعي بشكل بسيط، إنه عبارة عن عمل أكثر من فرد في منظومة واحدة لتحقيق هدف واحد يعود بالنفع على المجموعة ككتلة وعلى الأفراد، وهذا كله قد يتحقق دون أن نجتمع، فقد يكون لدى كل منا مهمة يقوم بإتمامها لخدمة هدفنا الموحد أليس هذا عملًا جماعيًا؟ أم يجب علينا أن نجتمع حول طاولة مستديرة ونعمل سويًا كي نقنع أنفسنا أننا نقوم بالعمل سويًا؟ كررنا كثيرًا فيما مضى أن الانطوائيين صالحون للعمل الجماعي بشرط وجود قائد منسق يحدد الهدف المطلوب ويوزع المهام جيدًا على الأعضاء، لكننا نريد أن نتحدث عن مسألة أخرى وهي قضية الانتماء. أيعقل أن يكون العمل الجماعي فعالًا دون انتماء إلى المجموعة؟ إن الانتماء إلى المؤسسة أو الوطن الذي نعمل من أجله يعزز من تضحيتنا ويرفع من دقة عملنا لأجل الهدف، وهذا غير موجود بين أسس العمل الجماعي الذي تحدثنا عنه لأنه خرج من ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية التي تقوم على مبدأ المصالح الخاصة أكثر من المشتركة لكننا اعتدنا النسخ واللصق لأنظمة

وممارسات بدأت في ثقافات أخرى مختلفة كل الاختلاف ونأتي لنسقطها على ثقافتنا بكل مساوئها.

لفهم الفوارق الثقافية عن كثب علينا أن نعقد مقارنة بين مجتمع الصين الانطوائي ومجتمع أمريكا الاجتماعي في التعامل مع مبدأ العمل الجماعي وتحديدًا الانتمائية، تقول سوزان كين عن أفراد مجتمعها الأمريكي أنهم حينما يقومون بعمل جماعي يسعون إلى أهدافهم الخاصة أولًا وثانيًا وثالثًا ثم يضعون اعتبارًا للآخرين، قد يغضب البعض ويعتبر هذا تعميمًا على مجتمع كامل لكن هذا ليس رأي سوزان كين وحدها بل هو رأي أكبر باحث في الفروقات بين الثقافات عالم الاجتماع الهولندي جيرارد هوفستيد، أبحاث هوفستيد تقوم على تقييم المجتمعات على ستة معايير من ضمنها الفردية "Individualism" وهذا المعيار يقيس مدى اهتمام الشخص بأهدافه بغض النظر عما يخلفه من آثار على الآخرين مهما كانت قرابتهم له ويدل على استقلاليته أيضًا فكلما زادت نسبة الدولة في هذا المعيار فهذا يدل على أن شعبها أكثر تركيزًا على أهدافه الخاصة بالتالي عامل التضحية والانتماء لديهم أقل. ومن المعروف بلا شك أن الاستقلالية لدى الأمريكيين تحديدًا عالية جدًا حيث أن الوالدين على سبيل المثال لا يشكلون عبئًا على أبنائهم وكل ما بينهم هو الولادة والتربية، لهذا نجد الأبناء غير ملزومين بالتخلي عن أهدافهم لأجل أهاليهم، وهذا لا يحدث في المجتمعات الشرق آسيوية ومن ضمنها الصين فتجد اهتمامهم بالآخر أكبر بكثير من اهتمام الأمريكيين، فتجدهم يهتمون بكبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة وغيرهم من أولئك الذين لا ينتظرون منهم ردًا، إنما يعطونهم على هامش العطاء والوفاء والتضحية لا أكثر. إذا كان ما مضى صحيحًا فلابد أن تكون نسبة أمريكا في معيار الاستقلالية أكبر

بكثير من الصين وهذا ما تظهره الإحصائيات حيث حققت أمريكا 91% من معيار الفردية، أما الصين فهي لم تحقق سوى 20% في هذا المعيار مما يعني أنها أقرب إلى الأهداف المشتركة والانتماء. وحتى وإن ذهبت إلى بقية الدول الآسيوية ستجد أن اليابان وتايوان وكوريا الجنوبية تحقق نسبًا أقل من 50% في معيار الفردية مما يؤكد علو الانتمائية والتضحية لدى شرق آسيا ككل.

إن الانتماء فيما أرى أهم بنود العمل الجماعي وبدونه لن يسير العمل طويلًا ولن يتمتع بالجودة الكافية، وتستطيع أن ترى معنى ما نتحدث عنه في قصة صناعة أول محرك ياباني والذي ما زالت اليابان تنعم بخيراته بل وتقدمت كثيرًا بسبب ذلك الجهد الفردي والتضحية التي قام بها الياباني تاكيو أوساهيرا عندما كان يدرس في ألمانيا وكان يخصص جزءًا من وقته ليعمل على الحلم الذي أسماه حلم الوطن وهو أن يقوم بصناعة أول محرك ياباني، وعندما نجح في ذلك قال: "أنا أعمل تسع ساعات في اليوم، ثمان ساعات لأجلي وساعة لأجل الوطن!". نعم لأجل الوطن، هذا الفعل لن تجده لدى شاب خرج من مجتمع يفضل الأهداف الشخصية على الأهداف المشتركة، أليس ما قام به تاكيو عملًا جماعيًا بكل تفاصيله؟ ألم يخدم به أمة كاملة؟ إن الانتماء يجعلك تتفانى في تحقيق هدف المجموعة ولا تركز على الأهداف الشخصية الصغيرة، الانتماء لا يعني أن يهمل الإنسان نفسه لكن أن يضحي بالأرباح القليلة إن كانت هناك أرباح مشتركة تبقى خالدة عبر التاريخ وأن يضحي بالأرباح الكبيرة إن كان هناك مانع أخلاقي، إن كنا نقول بأن الانطوائي لا يصلح للعمل الجماعي لأنه يفقد التركيز مع الضوضاء فعلينا أن نشير إلى أنه قد يكون الأنسب للعمل الجماعي لأنه يتصف بالانتمائية حيث أنه يبدو متعلقًا بمن حوله، فكما تقول الفتاة في نهاية الجزئية الماضية أنها تنتمي إلى

المسنين وكأنهم وطن وإلى من حولها كأنهم أوطان. وبعامل الانتمائية قفزت شركة كلارك التي يديرها المدير الصامت إلى قمة الشركات، وما يؤكد ذلك أنه يقول: "أعمل لأجل الشركة وليس لأجل الشهرة" وقد تقول أنه ينافق لكن هذا ما رآه المختصون بأعينهم عندما لم يجدوه باحثًا عن الأضواء بعد أن حقق إنجازاته بل عندما تقاعد من الشركة عاد إلى مزرعته ممارسًا عزلته! وذات العامل كان سبب نجاح روزا بارك التي أوقدت الحملات ضد العنصرية في أمريكا حيث لم تهتم أبدًا بأن يضاف اسمها هنا أو هناك، هي كانت تعمل لأجل من حولها ولأجل الوطن وحسب.

هنا نخلص إلى أن العمل الجماعي ليس اجتماعًا حول طاولة مستديرة، العمل الجماعي هو أن نحب ما نعمل وأن نعمل لأجل من نحب وأن نمتلك هدفًا آخر خلاف المال والمناصب والأشياء المادية، إن الإنسان يبدو أكثر إبداعًا ويقدم أشياء خالدة عندما يعمل للأشياء الروحانية، لأجل الإله والوطن وأمه وأبيه ولأجل ذلك المريض الذي لا يرجى شفاؤه ولا تعود عليه أي فائدة من الاهتمام به، ولا يوجد لدى الانطوائي أي مشكلة مع التضحية والعمل لأجل الشركة والوطن كما رأينا؛ لذلك علينا ألا ننتقد العمل الجماعي لديه بل علينا أن ننتقد فهمنا للعمل الجماعي.

طائرة إنقاذ

"أفضل الأمم والمجتمعات هي التي نجحت في استغلال واستخراج أفضل ما لدى أفرادها"

عبد اللطيف

حينما لحنا قوس الشخصيات تهنا في صحراء الشخصيات ورمالها الذهبية كلٌ يبحث عن حقيقته ولا أدري أين وصلنا تحديدًا فنحن نعاني التيه ولم يستطع أحدنا أن يعلم هل هو انطوائي مئة بالمئة أم اجتماعي مئة بالمئة، وبالتأكيد لن نستطيع لأن العقلاء كما قالت سوزان كين لا يمكن أن يمتلكوا كافة صفات الانطوائيين أو كافة صفات الاجتماعيين، نعم هناك انطوائيون واجتماعيون لكن مهما بلغت انطوائية الشخص أو اجتماعيته فهو يقتبس من الشخصية الأخرى بعض الصفات، وهذا ما وجدناه في قصص كثيرة لانطوائيين فيهم اجتماعية وتحدثنا عن مرونة شخصياتنا فتهنا أكثر، ولعلي أكثركم تيهًا حيث وجدتني أكره الأصوات العالية والإضاءة المسرفة وأتألم أشد التألم لأفلام العنف وأتجنبها كأنها حقيقة بل تصل حساسيتي هذه إلى عدم قدرتي على مشاهدة إصابة لاعب! ومع ذلك فإني أفتقد إلى الملاحظة الشديدة للتفاصيل التي يتميز بها الانطوائيون، ووجدتني أفضل المبادرة على التأني وأتقبل أن أخطئ كثيرًا ووجدتني متقبلًا لقضاء وقتي مع الغرباء ولا يزعجني ذلك، وكلها صفات اجتماعية بحتة وبين هذه الصفات وتلك لا أعلم إلى أي شخصية أنتمي، قد تقول مجددًا أني معتدل المزاج لكني أعود لأقول لا يمكننا أن نصف أي شخصية بأنها معتدلة فإن الاعتدال في هذه الحالة من صنيع عقولنا. ولأنه لا يوجد مزيد من الوقت للتيه، استدعينا طائرة إنقاذ

لتجمع شتاتنا ولتعيدنا إلى منازلنا وأعمالنا، ورغم ما أضعناه من وقت إلا أننا خرجنا بفائدة كبرى وهي احترام الشخصيات جميعها مهما كانت غريبة فكل الشخصيات تحمل في ثناياها قوة.

إن تيهنا هذا بسبب سوء فهمنا لتصنيف الاجتماعية والانطوائية التي تعتبر غطاءً عامًا لا أكثر حيث وجدنا العالم الشهير كارل يونج يتحدث عن الفروق بين الانطوائيين والاجتماعيين، وقال أن الاجتماعي يجتمع مع كثير من الناس وقليل من الأشياء والانطوائي يجتمع مع كثير من الأشياء وقليل من الناس لكنه مع ذلك يؤمن بوجود ما يقارب الست عشرة شخصية، وهذه النظرية معروفة باختبار مايرز-بريجرز ويعتبر من أدق الاختبارات، يقوم هذا الاختبار بتقييمك بناء على ثمان صفات كل واحدة فيها مضادة لأخرى، ويقوم باختيار واحدة من كل اثنتين ويضعها في ملفك وهذه الصفات هي: الانطوائية "Introvert" أو الاجتماعية "Extrovert"، ثم الحدس "Intuition" أو الاستشعار "Sensing"، ثم المنطق "Thinking" أو المبادئ "Feeling"، وأخيرًا التخطيط "Judging" أو البحث "Perceiving". وبعد الانتهاء من تحديد صفاتك الأربع سيتم إعطاؤك شخصيتك النهائية، وفيما يلي سنذكر الشخصيات الست عشرة على عجالة وعلينا أن نلاحظ أن كل شخصية بجوارها أربعة حروف، هذه الحروف تشير إلى الصفات الأربع التي تمتلك.

نبدأ بفئة المحللين ويندرج تحتها:

1- المخترع "ENTP": المفكر الفضولي الذكي الذي لا يمكنه مقاومة أي نوع من التحدي الفكري.

2- القائد "ENTJ": القائد الجريء المبتكر قوي الإرادة الذي يجد حلًا لأي مشكلة.

3- المنطقي "INTP": المخترع المبتكر المتعطش للمعرفة لأنه يحاول أن يقيس كل شيء بالعقل، وانجرافه خلف العواطف نادر.

4- المهندس "INTJ": الخيالي المفكر صاحب الخطط الاستراتيجية الذي يحاول أن يضع خطة لكل شيء.

فئة الدبلوماسيين ويندرج تحتها:

1- المناضل "ENFP": صاحب الروح الحماسية وغالبًا ما تهمه المنظمات الحقوقية ويكون سبب الابتسامة دائمًا.

2- البطل "ENFJ": القائد ذو الكاريزما الملهم القادر على جذب المستمعين.

3- المعالج "INFP": الشخص الشاعري الرقيق الحريص على مساعدة الآخرين.

4- المستشار "INFJ": المثالي الهادئ الغامض الملهم الغير مستسلم.

فئة المنظمين ويندرج تحتها:

1- القنصل "ESFJ": مهتم بالآخرين بشكل غير اعتيادي، اجتماعي وحريص على مساعدة الآخرين.

2- التنفيذي "ESTJ": إداري مميز لا يتفوق عليه أحد في عملية إدارة المؤسسات أو حتى الناس.

3- المدافع "ISFJ": المخلص الحنون ودائم الذود عن ذويه ووطنه وما شابه.

4- المفتش "ISTJ": العملي المعتمد على الحقائق ولا تشك في مصداقيته.

فئة المستكشفين ويندرج تحتها:

1- المؤدي "ESFP": الفنان العفوي الحيوي الذي يملأ الحياة بالمعاني ودونه تصبح الحياة مملة ويفتقده من حوله.

2- رائد الأعمال "ESTP": الذكي الناشط المتفهم العاشق للمخاطر.

3- المغامر "ISFP": المرن الساحر المستعد لخوض أي تجربة جديدة.

4- الحرفي "ISTP": التجريبي الجريء العملي المهني.

لو قمنا بفحص هذه الشخصيات سنجد أنها تحوي صفات انطوائية واجتماعية في آن واحد كالمغامر، فلو نظرنا إلى وصفه سنجد أنه انطوائي لكنه في الوقت نفسه يتوق لخوض التجارب الجديدة مستعدًا لها، هذا الهجين ستجده في جميع الشخصيات، أما ما إذا كنا بحاجة الجميع أم لا، فالدراسات تشير إلى أن الشعب الأمريكي متوزع بالتساوي تقريبًا على هذه الشخصيات ولا توجد شخصية منها تغطى أكثر من 14% من الشعب! وهذا غاية في المنطقية، فهل من الممكن أن يكون جميعنا مهندسين وأطباء؟ من سيقود بقية القطاعات؟ ذات المبدأ ينطبق على الشخصيات، نحن بحاجة إلى الشخصيات الست عشرة لا إلى شخصيتين فقط لذلك وجب علينا احترام الجميع وإدراك أن أفضل الأمم والمجتمعات هي التي نجحت في استغلال واستخراج أفضل ما لدى أفرادها.

عُزلة

"خيالي يكون أكثر خصوبة، عندما لا أتحدث مع الآخرين"

الروائية باتريشا هايسميث

إلى هذا الحد يجب أن نفرق بين العزلة المحمودة والمذمومة، لأن هذا الكتاب لم يُكتب ليكون عذرًا لكل من أراد اعتزال المجتمع، فهُناك من يعتزلون فقط لأنهم لا يريدون الجلوس مع الآخرين وتضيع أوقاتهم بلا تأمل ولا انغماس في الهوايات أو تطوير للنفس، فأي قوة للعزلة حينها؟ نعم تحدثنا وأثنينا وأثبتنا بالأبحاث أن للهدوء قوة وللعزلة فوائد جمة ودونها سنفقد كثيرًا من أعمال الفن والفلسفة والاختراعات وقد نخسر قادة أيضًا، لكن هل هذه الفوائد ستنجم عن كل عزلة؟ وهل يحق للانطوائي أن يصف عزلته بالعزلة المحمودة؟ بالطبع يحق له، لكن عندما تكون عزلته مشابهه لعزلة من تحدثنا عنهم! أعني ألا يكون انعزالك عن الناس لأنك تخشى أن يروا شيئًا سلبيًا لديك وتبقى منغلقًا لا ترى الناس ولا يرونك دون أن تقوم بأي نشاط حتى التأمل، وقتها لا يحق لك أن تتغنى بقوة الانطوائيين لأنه لا قوة لك. نحن نتحدث عن انطواء يجعلك خلاقًا مبدعًا، أما الهروب من الناس بسبب وجود عقدة فهذه ليست انطوائيتنا، وإن هربت لأنك تشعر بأن الآخرين لا يحبونك أو لعدم ثقتك بمظهرك وخشيتك سخريتهم، فهذه ليست انطوائيتنا كذلك! فحالتك أقرب للانعزال الدائم وليس لهذا الانعزال أي قوة. عندما تكون منطويًا بالفطرة فمحالٌ أن تكتئب من الانطواء ومحالٌ أن تبحث عن وسيلة للخروج من الانطواء، ولا تجد في نفسك حاجة لتبرير وجودك في هذه الغرفة بمفردك، ومحالٌ أن تأتي

عقلك هلاوس حول نظرة الآخرين إليك، فلابد أن نفرق بين الانعزال الناتج عن عقدة وبين الانطواء الفطري الباعث على الإبداع.

وحتى لا يساء الفهم، إن قوة الانطواء ليست حصرية على الانطوائيين، إن كثيرًا من المبدعين الاجتماعيين يلجؤون إلى العزلة عندما يريدون إتمام عمل معقد التفاصيل أو إتمام بحث علمي، بل قد تجد بعضهم متفوقًا على الانطوائيين المجبولين على العزلة في الاستفادة من خيراتها. هذا النوع من الانطوائيين له حالتان، الأولى تحدثنا عنها وهي أن ينعزل الإنسان بسبب عقدة أو سوء اهتمام أو ضغوط من حوله؛ لأنه سيبقى منشغلًا بتلك العقدة والظروف وتصبح نفسه غير مهيأة للاستفادة من قوة الهدوء. أما الحالة الأخرى فقد ظهرت مؤخرًا مع انتشار الهواتف الذكية وتحديدًا برامج التواصل الاجتماعي والتي كانت سببًا في إفساد كثير من قوى الانطواء؛ لأن قوى الهدوء لا تأتي من الابتعاد عن البشر فقط بل يجب أن تبتعد عن كل ما يستهلك طاقتك الذهنية، فتجد أحدهم مستلقيًا متقلبًا بين المحادثات الإلكترونية وينتبه بعد ثمان ساعات وينشر تعليقه: "الحمد لله على نعمة الانطواء والبعد عن البشر"! هذا الشخص ومن يفعل فعلته يعتقدون أن الانطواء والاستفادة من قواهم تكمن في البعد عن البشر فقط وهذا مفهوم خاطئ، فإن التحادث مع هذا وذاك عبر البرامج وقراءة هذا الخبر ومشاهدة هذا المقطع والتعليق على تلك الصورة كافٍ لاستنزاف الطاقة الذهنية المخصصة ليومه وبعدها لا يمكن الاستفادة من أي استرخاء أو تأمل أو تفكير! إن هذه الانطوائية المشوهة لا تجعلك منتبهًا للتفاصيل الصغيرة التي لا ينتبه إليها غيرك من الاجتماعيين المشغولين بصخب الحياة؛ لأنك قمت بتشتيت ذهنك بصخب الافتراض والمحادثات، إن قوى الانطوائية كالقدرة على التخيّل لا تأتي إلا بصفاء الذهن

كأن تخرج للمشي لفترات طويلة بمفردك أو أن تقوم بأي عمل روتيني أو أن ترتمي مستلقيًا وتطلق العنان لتفكيرك. ولتأكيد ذلك عليك أن تذهب لسير المبدعين وترى مقولاتهم ولنأخذ على سبيل المثال الروائية الأمريكية باتريشا هايسميث المعروفة برواياتها البوليسية التي تحتاج إلى خيال خصب، فكيف يعمل خيال باتريشا؟ تقول: "خيالي يكون أكثر خصوبة، عندما لا أتحدث مع الآخرين". لماذا يعمل خيال باتريشا عندما لا تتحدث مع الآخرين؟ ببساطة لأنها تسخر طاقتها الذهنية كاملة في أعمالها الروائية وتفرغ سماء تفكيرها من أي شائبة وينطلق حينها الخيال ويأتي بعجائب الأفكار والسيناريوهات، فلا تعتقد لو أن باتريشا بيننا ستستطيع أن تكتب رواياتها وهي ممسكة بهاتفها النقال تطالع آخر الرسائل! إنها لا تكره الآخرين عندما قالت إنها تعمل بشكل أفضل عندما تبتعد عن الحديث مع البشر، بل أنها تقصد البعد عن المشتتات فلو كانت بيننا اليوم لقالت أن خيالها يعمل بشكل أفضل عندما تغلق أجهزتها.

وكي نبتعد عن تحليل إبداع باتريشا وإسقاطه على زمننا الحالي سنذهب إلى شيء أقرب لواقعنا، هنا فتاة انطوائية تؤكد لنا أن إدمان ألعاب الكمبيوتر والتواصل الاجتماعي يؤدي إلى ردم ينابيع التأمل لدى الإنسان، كانت تتحدث هذه الفتاة عن تأملها في صغرها وعن أفكارها التي كانت تأتيها وقاطعتها سائلًا: "ماذا عن التأمل والتفكير بعد أن كبرتِ؟". فقالت: "للأسف فقدت التأمل بعدما غرقت في مواقع التواصل الاجتماعي، فقدت التأمل وفقدت إبداعي معه حيث أصبحت مواقع التواصل أكبر همي وتستنفد كثيرًا من طاقتي، كنت بالسابق أتأمل حتى أوراق الشجر وأبحث عن سبب خضرتها ولماذا تصفر في الخريف وأحيانًا يأخذني التفكير إلى أصل الألوان،

كان التأمل يجلب إلي أفكارًا ومحاولات لابتكارات، ومن أهم إيجابيات التأمل أنني كنت بعيدة كل البعد عن التوتر وأشعر أنه شفاء، لكن الآن لا وقت لدي للتأمل، وفي كل مرة أتوق للتأمل لكن إدمان مواقع التواصل يمنعني". لم تكن هذه الفتاة الانطوائية الوحيدة التي راسلتني وشكت فقدانها التأمل بسبب إدمانها الإنترنت وهذه الظاهرة ليست غريبة على من يؤمن بأن التكنولوجيا أفسدت على الإنسان تأمله وأضعفت ذاكرته وهذا ما تحدث عنه علي الوردي كثيرًا في كتابه خوارق اللاشعور وقال: "انتقلنا إلى المدينة وأصبحت بحوزتنا أعظم الأجهزة واعتمدنا عليها في كل شيء حتى أصبحنا لا نستخدم ما لدينا من قوى تزلزل الجبال!".

خاتمة

(1)

أخشى ما خشيته وأنا أكتب هذا الكتاب أن ينهال علي القراء نقدًا بسبب أنني أكتب في أمرٍ لست متخصصًا فيه لكن عندما استعنت بانطوائيين كما شاهدتم في أغلب الجزئيات وجدت أنهم يطابقون في أحاديثهم الأبحاث التي استنعت بها من كتاب الهدوء، وهذا ما جعلني أكثر إقدامًا على إتمام هذا الكتاب، وكانت هناك رسالة مطابقة إلى الحد الذي جعلني أقف مذهولًا. بدأت تلك الفتاة رسالتها: "حديثي هذا لا أعممه على كل شخصٍ انطوائي لأنه خلاصة تجربتي وحياتي ونظرتي لانطوائيتي ولا أعرف مدى صحة تعميمه". هذه الفتاة ليست باحثة ولا متخصصة لكنها عاشت التجربة بنفسها وهل هناك أعظم ممن يعيش الانطواء بنفسه ويحدثنا عنه؟

بدأت سرد تحليلاتها لشخصيتها قائلة: "الانطوائي لا تحدث له مشاكل إلا إن تم إجباره على التعايش مع أشياء لا يحبها وليست مجال اهتمامه وغالبًا ما يكون له عالم خاص في عزلته وتجده يشعر أنه بين الناس وحيدًا ومع نفسه يجد متعته، وغالبًا ما تجده منسجمًا مع من يشاركونه الاهتمامات نفسها وأنا تحديدًا لم أصادق إلا فتاة واحدة واستمرت معي من الابتدائي حتى التخرج، وسبب عمق العلاقة أني أشترك معها في اهتمامات كثيرة". إن هذه القطعة تتطابق مع حديث علماء النفس الذين قالوا أن الانطوائي يجتمع كثيرًا مع الأشياء، فقد تجده مجتمعًا مع السماء، مع أشجار الحديقة، مع الكتب ومع الشاطئ. ولو أخذنا نقطة انسجامه مع من يشاركونه الاهتمامات سنعود إلى أسئلة إذابة الجليد التي تحدثنا عنها وأن الانطوائي قد يخلق صداقات لكن بشرط أن يشاركوه شخصيته أو يشاركوه بعض الاهتمامات.

وتتحدث الفتاة عن تخصصها: "اخترت الأدب الإنجليزي وكنت شغوفة به لأني أستمتع بالغرق داخل أفكار الأدباء وأريد أن أنقد هذه القصيدة وتلك الرواية وأن أساهم ببصمتي في عالم الترجمة لكني صدمت بالطريقة التي يدرس بها الأدب الإنجليزي في بلدي حيث أنها خالية من الروح فهي تعتمد على التلقين، إن أساتذتنا حولوا الأدب الممتع إلى مواد ثقيلة يحشرونها في الرؤوس حشرًا دون أن تتذوقها أرواحنا، أنا أكتب لك هذه السطور بغصة وحزن كبيرين، دخلت التخصص عن شغف لكن لم تتح لي الفرصة لأنقد نصًا أدبيًا أو لتحليل قصيدة، تخيّل؟! ذهب شغفي وعالمي! شعرت بالتيه لأن حياتي سلبت مني، إن الأدب هو عالمي وهو الشيء الذي أجتمع معه في عز انطوائيتي، كان لدي صديقة أتناقش معها وننقد الروايات باستمرار ونتحدث عن مسرحيات شكسبير والدراما اليونانية ولم ندع حقبة إلا وتحدثنا عنها لكن بعدما رأيت دراستي حشوًا لا أكثر فقدت الرغبة في كل شيء وأصبحت حياتي جافة بلا معنى". لم أستغرب شغف الفتاة لأني قرأت لكثير من الباحثين يقولون أن الانطوائيين أكثر إقبالًا على الأدب والهوايات الكلاسيكية وتجدهم يتذوقونها بشكلٍ راقٍ يدهشك، ولم أستغرب حديثها عندما قالت أنها تريد الغوص في النصوص لأن هذا من صميم شخصية الانطوائي، يعشق الغوص بحثًا عن العمق والتفاصيل الصغيرة، أما عن العمق فهاهو صديقي الانطوائي يريني مقطعًا من ثوانٍ معدودة ويقول أنه عميق المعنى لكني لم أفهم منه شيئًا! وأما عن التفاصيل فإن إحدى الدراسات أشارت إلى أن الانطوائيين يستطيعون إخراج الفروق بين الصور المتشابهة أكثر من الاجتماعيين. عندما رأيت اهتمامهم بالتفاصيل واستخراجهم للمعاني العميقة أيقنت أنهم أكثر فهمًا للفن التجريدي الذي لا أفهم منه شيئًا.

وبالفعل سألت صديقي عنه وقال: "ما أجمله"، وأكدت ذلك الفتاة عندما قالت: "إنني أستطيع أن أتأمل اللوحات بشكل جيد وتستوقفني أدق تفاصيلها، أما عن الفن التجريدي فأنا من عشاقه وأشعر بأن له جمالًا خاصًا لا يستطيع أي شخص أن يتذوقه فإن به جمالًا يلامس الروح لا الأعين ودائمًا ما تعبر اللوح عن نفس الفنان ومكنوناتها، ولابد أن أكون في حالة استعدادٍ نفسي عندما أزور معرضًا للفن التجريدي لأنني عندما لا أكون حاضرة بمشاعري تفقد اللوح قيمتها، أما إن كنت حاضرة فإني أشعر أنها تلمس شيئًا في ثنايا روحي وتمسك بصري عن الانصراف عنها". صدق توقعي وصدقت أبحاث العلماء حينما قالوا إن الانطوائيين يعيشون في خيالهم ولهم تفسيرات ورؤى مختلفة ومعقدة، فهاهي الانطوائية تستطيع أن تقرأ لوحة لا أرى فيها إلا مربعات فوق بعضها وألوانًا متلاطخة تفتقر لأي معنى.

تختم الفتاة حديثها لتؤكد أن الانطوائي لا يستطيع عمل أكثر من شيء في آن واحد ويفضل تخصيص وقته لشيء محدد، حيث قالت: "هكذا هي حياتي لا يمكن أن يكون لها في فترة واحدة أكثر من محور، كانت الدراسة هي المحور الأساسي ثم أصبح الأدب وحده والآن أصبحت الفنون بأكملها محور حياتي". أما آخر سطورها فكانت تصف اختبار المواليد لتحديد الشخصيات دون أن تعلم عنه شيئًا: "الشخص الاجتماعي غالبًا في كل أمور حياته يتقبل التغيير ويتعايش معه وهذا لا يحدث مع الانطوائي الذي يتحسس من الأشياء الغريبة".

(2)

عندما كتبت هذا الكتاب لم أكن أقصد الدعوة إلى إنسان هش يجب أن تتوفر له الظروف الملائمة كي يبدع، بل كل ما أردت إيصاله أن علينا توفير الظروف الملائمة لمن حولنا ما دمنا نستطيع، فإن لم نكن انطوائيين فقد نتزوج أزواجًا يفيضون بالانطوائية وحينها يجب أن نوفر لأزواجنا مناطق الراحة ويجب أن نمنحهم الفرصة ليعيدوا شحن ذواتهم حينما يعودون من مجالس مزدحمة. والشيء ذاته مطلوب من الانطوائي إن كان زوجه اجتماعيًا فيجب أن يقدر شخصيته وأن يقف كل منهما مع الآخر ويضحي ويخرج من دائرته قليلًا لأجله، والشيء ذاته أيضًا يجب أن يحدث مع الأبناء وبين الأخوة والأصدقاء. إن القراءة في كتب تطوير الذات وتحليل الشخصيات تجعلك أكثر تفهمًا لشخصيات من حولك خاصة الأصدقاء والأطفال مما يجعلك قادرًا على تكوين هجين رائع مع أصدقائك ويمكنك من تلمس مواطن القوة لدى طفلك. إن كل ما أدعو إليه في هذا الكتاب هو ترسيخ ثقافة "هارون-موسى" وأن يبحث كل منا عمن يكمله كي نكون أكثر قوة، فلا أحد يستطيع أن يستغني عن قوى وخدمات الآخر ولا يوجد أحد منا يستطيع أن يحقق كل شيء لوحده.

(3)

قد يعترض البعض على ربطي لآية كريمة بموضوع اجتماعي والمشكلة هنا أننا اعتدنا قراءة القرآن على الصيغة التعبدية والاستشفائية فقط بينما أن هناك مآرب أخرى للقرآن وبه آيات تحمل معاني سامية جدًا، وربما نستطيع أن نستخلص من كل آية كتابًا كاملًا، فعندما نأتي لهذه الآية: "اعملوا آل داوود شكرًا" فإننا نرى أثر الامتنان والشكر في نفسية البشر ونستطيع أن نربطها بأبحاث وأعمال فكرية أخرى تختص بالشكر ووقعه على النفس البشرية، وإن أتينا إلى قصة يوسف عليه السلام مع أخوته نستطيع أن نستخلص دروسًا في أهمية عدم التفرقة بين الأبناء وأثر ذلك على مستقبل العلاقات الأخوية.

(4)

الحمد لله الذي جعلني أستطيع إكمال هذا الكتاب، وأتمنى أن يكون وفق طموح من انتظره، للأمانة أعترف أنني أهملت كثيرًا من المراجع لأنني لو أخذتها جميعًا في الاعتبار لما انتهيت من الكتابة، وأنا لست متخصصًا في هذا المجال ولست متفرغًا له، والسبب الأهم إرادتي أن يكون الكتاب بسيطًا إلى أبعد حد لأني أستهدف به القارئ غير المختص بتبسيط الأبحاث التي قرأتها في كتاب الهدوء، فلا أستطيع أن أسهب في ذكر الأبحاث والأمثلة، والسبب ذاته جعلني أهمل البحث في الشخصيات العربية والإسلامية لأن البحث فيها سيتطلب جهدًا كبيرًا ووقتًا أطول، ورأيت أن الموضوع مستعجل لا يحتمل تأجيله فاكتفيت بعباس العقاد وغازي القصيبي كمثالين على الانطوائية من العرب، وكلي إيمان أن الساحة العربية مليئة بالأمثلة الرائعة للانطوائيين لذلك أدعوا الباحثين المختصين إلى البحث عن هؤلاء، فإني أعتقد أن هذا الكتاب قابل للامتداد إلى مؤلفات كثيرة. في ختام هذا الكتاب، أشكر كل من ساعدني ودعمني لإتمام هذا الكتاب وأتمنى أن يكون إضافة إلى المكتبة العربية وألا يكون نقصًا وإن أخطأت فمن نفسي، وإن أصبت فمن الله ثم دعم من حولي. هذا والله أعلم.

عبد اللطيف القرين

الفهرس



تقول الباحثة والمتخصصة في علم النفس لوري هولج أن الانطوائيين غالبًا ما يُرسمون في هيئة كئيبة المنظر حتى في أفلام الكرتون، وحتى وإن طلبت من أحد الانطوائيين أن يرسم صورة عامة لانطوائي ستجده يعطيك رسمة شاحبة الملامح، مليئة بالحزن والكآبة وتظهر على بشرته العيوب، ومن هذه الظاهرة تنبثق الأسئلة: لماذا ارتبط الانطواء بالكآبة والحزن وكراهية الحياة والبشر؟ وما مدى صحة أنها مرضٌ عضال يجب علاجه في أقرب وقت؟ الأجوبة تأتي بها الأبحاث العلمية ويأتي التاريخ ليناقض الأساطير ويذكرنا بعظماء كثر يتصفون بالانطوائية بداية بنيوتن وبيكاسو وبيل غيتس وصولًا إلى غاندي والعقاد وغازي القصيبي، ويذكرنا باختراعات وفنون لم تكن إلا نتاج الانطوائية كأجهزة أبل وروايات هاري بوتر وجورج أورويل.

"أعترف أنني مطبوع على الانطواء، لكني خالٍ من العقد النفسية".

عباس العقاد

"إني أتهيب لقاء أناس لا أعرفهم، ولا أزال حتى اليوم منطويًا ولا أشعر بالراحة عند ملاقاة جمهور كبير".

غازي القصيبي




9 789948 022473